من ميامر عيد الميلاد المجيد

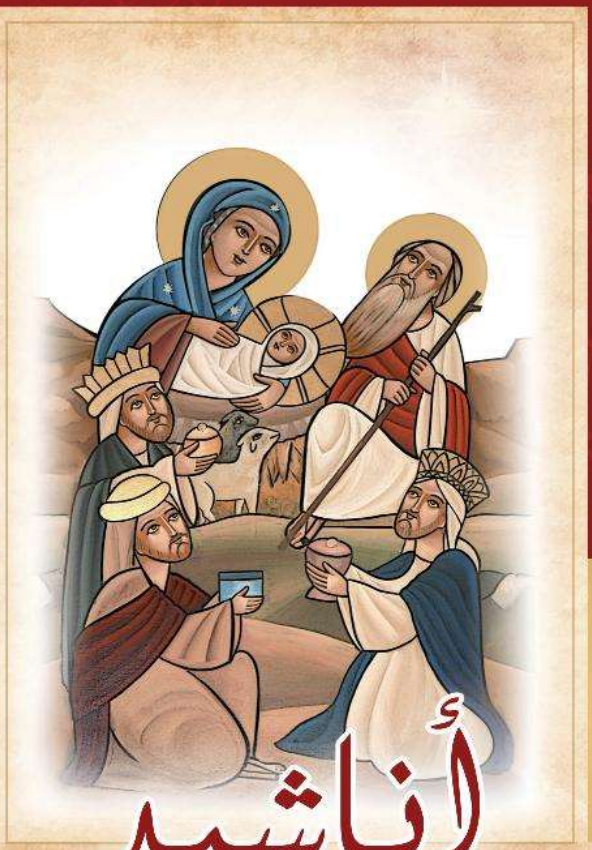

أناشيد مُفرِحة

حول عيد الميلاد المجيد

للقدِّيس مار يعقوب السروجي

إعداد وتعليق
القمص تادرس يعقوب ملطي
كنيسة الشهيد مار جرجس بسبورتنج

أناشيد مُفرِحة

حول عيد الميلاد المجيد

١ – ٦

للقدِّيس مار يعقوب السروجي

الطبعة الثانية

٧ يناير ٢٠٢١

إعداد وتعليق

القمص تادرس يعقوب ملطي

كنيسة الشهيد مار جرجس بسبورتنج

مقدمة

باسم الآب والابن والروح القدس

الله الواحد، آمين.

في السنوات الأخيرة التهب قلبي شوقًا أن أتمتع مع بقية إخوتي بمشاعر الفرح العجيبة التي تهز قلب القديس مار يعقوب السروجي. فمع كل ميمر أقرأه له، أشعر بالحق أن أعماقه الداخلية تتمتَع بعربون السماء المُتهلِّلة بحب الله الفائق نحو خلاص البشر ومجدهم الأبدي.

كثير من إخوتنا الآباء السريان ومن الدارسين لكتابات القديس مار يعقوب ينشغلون بفحص كتاباته ودراستها وترجمتها إلى اللغات الحديثة، وهذا عمل علمي رائع، لبنيان كل نفسٍ حريصة على التمتُّع بحق الإنجيل ونموها في الروح. أما ما اشتهته نفسي ليس كدارسٍ، وإنما كخادمٍ مُشتاق إلى رفع كل قلوب البشرية إلى خبرة عربون السماء، فقد وضعتُ في قلبي أن أُرَكِّزَ على فكر القديس. هذا ما دفعني إلى اقتباس بعضًا مما ورد في كتاباته عن عيد الميلاد المجيد.

وقد جاءت كتاباته في هذا الصدد تُصَوِّر لنا الكثير مما يسند قلوبنا في هذا العالم حتى نلتقي بكلمة الله المتجسد المهتم بأن يُعِدَّ لنا مكانًا في أحضان أبيه ليأتي بموكبه السماوي على السحاب، ويضمنا إليه، وينطلق بنا إلى الأمجاد الأبدية بروح الفرح والتهليل.

سمات كتاباته عن عيد الميلاد

١. **عمل الثالوث القدوس:** ما يلهب قلب القديس مار يعقوب السروجي أن الثالوث القدوس يشغله محبوبه الإنسان، فإن "الله يريد أن جميع الناس يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون" (١ تي ٢: ٤). فإن كان كلمة الله يُحبنا وتجسد لأجلنا، فإنه هكذا أحب الله (الآب) العالم وبذل ابنه الوحيد لأجلنا، والروح القدس الذي يقوم بتقديسنا الدائم لنحمل أيقونة المسيح القدوس هيّأ القديسة مريم البتول للتجسد.

٢. **ظهور آدم الجديد وحواء الجديدة:** في كتابات القديس يعقوب السروجي يكشف عن مرارة البشرية قبل تجسد كلمة الله وميلاده الجسدي. عانت البشرية من الفساد الذي حلّ بها، واللعنة التي حلت بالأرض، والعنف مع الظلم والكراهية التي سادت المجتمعات كسماتٍ لمملكة إبليس، حيث انتشرت عبادة الأصنام، ووُضع العالم في الشرير. أما وقد جاء المسيَّا المخلص، آدم الجديد كعريس سماوي، أقام من البشرية الفاسدة عروسًا عذراء طاهرة عفيفة (٢ كو ١١: ٢) دستورها الحب وغايتها التمتع بالحياة السماوية. هذه هي حواء الجديدة التي تلد بالمعمودية أولادًا لله، يقودهم روح الله القدوس، ويقدّسهم ويجددهم على الدوام، ويُشكّلهم على صورة الخالق.

تحوّلت حياة المؤمنين إلى عرسٍ سماويٍ، فلا يشغلهم سوى العريس الذي يُعد لهم مكانًا ليأتي ثانية

ويأخذهم إلى سماواته. كتابات القدّيس بوجه عام تدفعنا للانشغال بمركزنا الجديد والتمتع بالإمكانيات الإلهية التي يقدمها لنا آدم الثاني نحن أعضاء كنيسته، حواء الجديدة.

٣. **حوارات مُفرِحة:** جاءت ميامر مار يعقوب تضم حوارات كثيرة مُمْتِعة، تبعث روح الرجاء والفرح في حياة المؤمنين. يدخل في هذه الحوارات ملائكة، وشياطين؛ القديسة مريم والقديس يوسف النجار، القديسة اليصابات، والمجوس الحكماء والرعاة، وهيرودس الملك، والقيادات اليهودية.

٤. **انهيار مملكة إبليس:** خصَّص القديس ميمرًا يكشف فيه عن خيبة أمل إبليس وكل قوّاته، إذ رأوا شمس البرّ يشرق، فتتبدَّد ظلمتهم، وينهار سلطانهم على البشر. بنظرة إنجيلية مفرحة يتصور القدّيس انعقاد مؤتمر خطير تحت قيادة إبليس نفسه وعضوية ملائكته الأشرار، يدرسون فيه ما تعرّضت له مملكة الظلمة، بميلاد شمس البرّ، الذي يشرق على الجالسين في الظلمة (لو ١: ٧٩) ، والشفاء في أجنحته. خلال هذا المؤتمر يستعرضون بعض أحداث ميلاد السيد المسيح، ويدرسون خطة معلمهم العظيم إبليس للخلاص من هذا المولود. في هذا المؤتمر تكشف الملائكة الأشرار عن نظرتهم لإبليس كمعلمٍ خطيرٍ، ومدبّرٍ لمملكته، له سلطانه كما له فكره الجبّار وقدرته على التنفيذ. مع كل هذه الإمكانيات لم يملّ القدّيس من ترديد ما وُهب للمؤمن من سلطان يتحدّى إبليس وكل ملائكته وخططهم ومؤامراتهم وخداعهم!

٥. **مجد عجيب وتواضع فائق:** يقارن القديس بين عمل الله مع حكماء بابل (المجوس)، فيُرسل لهم كوكبًا خاصًا، ليُدرِكوا مجد ذاك الذي جاء لأجل خلاصهم، بينما يذهب كلمة الله المتجسد المتواضع بنفسه في طفولته إلى أرض مصر التي استعبدت شعبه طويلاً. إنه المخلص الممجد والمتواضع الذي يستخدم كل وسيلة لخلاص البشر محبوبيه.

من ميامر على عيد الميلاد المجيد ١

أناشيد مُفرِحة

حول عيد الميلاد المجيد(١)

للقدِّيس مار يعقوب السروجي

ميمر على ميلاد ربنا يسوع

الاحتفال بالأعياد السيدية

كثيرون يمارسون الأعياد كعادة، أما أصحاب البصيرة المستنيرة، فتمتلئ نفوسهم تهليلاً بالعيد، فيشعرون مع كل عيدٍ كأنه فريد، أما علّة ذلك فهو الآتي:

١. يفحصون **سبب العيد**، فيكتشفون محبة الله الفائقة للبشر، يُسَرُّ بهم، ويطلب لهم التجديد المُستمِر والنمو الدائم.

٢. بمعرفة ما وراء العيد يحلُّ بهم روح التمييز والحكمة والمعرفة.

٣. كرامة العيد لا تمجيد الله، كمن هو محتاج إلى مديحنا له أو شكرنا أو تسبيحنا، إنما كرامته في تمتُّعنا بشركة أعمق مع مصدر حياتنا وفرحنا ومجدنا، بهذا يتمجَّد الله فينا.

٤. بروح الاستنارة تتحوَّل الأحداث التي تمت منذ قرون طويلة كميلاد السيد المسيح ودخوله الهيكل، وهروبه إلى أرض مصر، وعماده الخ، إلى خبرة جديدة وتمتُّع بعربون الأبدية. فما كان يبدو بعيدًا يصير في أعماقنا، قريبًا منَّا للغاية.

❖ كلما احتفلتَ بأحد أعياد ربنا، ضع أولاً في نفسك سبب العيد، وبمعرفة السبب **يحلُّ بك التمييز** لتعطي الكرامة لكل عيدٍ كما يستحق.

لا يوجد شيء يفيد النفس مثل أن يُحَرِّكها التمييز إلى عملها.

كثيرة هي الأعمال التي تُمارَس بالعادة وليس بالتمييز. أما أنتَ إذًا يا محب الفوائد الروحية، فليُحرِّكك التمييز إلى عملك لا العادة. لننظر اليوم إلى العيد بعين النفس النيرة التي يسهل عليها أن **ترى الأشياء البعيدة كأنها عن قربٍ**[١].

القديس مار يعقوب السروجي

من أنا حتى أتحدث عن سرِّ تجسدك الإلهي؟!

في كل الأحداث ينشغل القديس مار يعقوب السروجي بموقف المؤمنين وردِّ فعلهم ومشاعرهم، إذ يشعر أنهم أصدقاء له، سيلتقون معه يومًا ما وجهًا لوجه، ويعيشون معه إلى الأبد.

إذ يقف القديس يُسَبِّح طفل المذود وينشد له، يشعر بالعجز، فيتطلع إلى طغمة الكاروبيم، يجدهم هم أنفسهم في دهشةٍ، كيف صار الحالّ على العرش طفلاً في المذود دون أن يفارق المركبة الكاروبيمية.

مع تفسير أمر تجسده للقديسة مريم بواسطة الملاك جبرائيل، تقف القديسة مريم في دهشة، فإن سرّه يفوق كل عقلٍ وكل لغةٍ.

---

[١] ٢١٨ ترجام على جمعة الألم (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني) بتصرف.

❖ ميلادك مُدهِش يا ابن الله؛ وفمي صغير لينطق بخبرِك العظيم.
فمي حقير، واستعلانك مُرتفِع من جميع الأفواه؛ كيف أقدر أنا الضعيف أن أقول خبر ميلادك.
لا يستطيع العالم جميعه يا سيدي أن يُخبِرَ بمجدك؛ فكيف أزاحم أنا الحقير على خبرك.
أبوك فقط يعرف كيف هو ميلادك؛ فبأي فمٍ يتكلم التراب والغبار عنك.
استعلان تأنسك أيضًا مخفي من أمك؛ فمن هو الذي يتكلم عن مولدك الإلهي...
ليس من فم كاف أن يتحدث عنك إلاَّ أباك؛ كيف وبماذا يمتد لساني على خفيتك.
خبرك مخفي عن الملائكة؛ فبأي صوت أُرسل لك أصوات كلامي الحقيرة.
لا يعرف الكاروبيم المرتبطون مكانك؛ فلأي جهةٍ يسافر ضميري ليتكلم عنك[1].

القديس مار يعقوب السروجي

أين أطلبك وأُغَنِّي لجمالك يا أيها الابن العجيب؟

في حيرة يتساءل القديس مار يعقوب السروجي تُرَى هل يتغنَّى بعظمة جلاله المُعلنة على مركبة الكاروبيم، أم يتحدث عن عظمة حبه وتواضعه، إذ صار طفلاً تحمله القديسة مريم على ركبتيها؟!

❖ أين أطلبك أيها الابن غير المحدود، فأنت مخفي جدًا...
إلى أي مكان تطير حواسي لتتصيدك؟ وفي أي ميعاد أتفرس فيك، وأنظرك أيها المُحتجب؟
أين يدرس العقل طريقك ويطلبك هناك؟ وبأية وسيلة تتحرَّك الكلمة لتُغَنِّي لجمالك؟
أين توجد؟ على المركبة أم عند مريم؟ عند أبيك السماوي أم عند يوسف؟
في أرض يهوذا أم في حضن أبيك؟ أو بالحق في أحشاء مريم؟...
هل يجدك الإنسان على أجنحة النار والريش المتواتر، أم في حضن الأم الصبية تتعظم؟
هل أنظرك على ظهر الكاروبيم، أم على الركب المؤتمنة حيث حلَّت عظمتك؟
هل بهاؤك بداخل عسكر شعاع النور، أم في المذود ملفوف بالأقماط كالمساكين؟...
فوق العجلة الناطقة (النارية) أنت محمول، أم على يديّ ابنة داود تتكرَّم؟...
هل أطلب أن أراك أسفل، أم أن أتفرس فيك فوق؟[2]

القديس مار يعقوب السروجي

هل أنشد عند ميلادك أم أصمت؟!

كثيرًا ما يقف القديس في حيرة بين الشوق الشديد والغيرة المتّقِدة نحو التسبيح وبين الالتزام بالصمت لعجزه عن التعبير. ففي حبه لله وتذوُّقه لعذوبة التسبيح يود ألاّ يتوقف، وفي شعوره أن كلماته قد تُشَوِّه

---

[1] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

[2] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

الحق لعجزه عن التعبير يشعر بالالتزام بالصمت. هذا ما يدعوه أن يصرخ إلى الله، أن يتقبَّل كل الحديث فيه ككنارة (تشبه القيثارة) تلعب أصابع الرب عليها، ويُقَدِّسها روحه القدوس، فتخرج الكلمات كما من عند الرب نفسه. كان القديس يحسب التسبيح عطية إلهية تُقَدِّمها له نعمة الله.

❖ إن اخترتُ السكوت يتولَّد فيَّ الضجر؟ وإن تجاسرتُ وتكلمتُ، فهو رُعْبٌ عظيمٌ لأني ضعيف.
انضغطت بين الاثنين، أيهما أختار! إن سكتُ أضجر، وإن تكلمتُ أرتعب، فماذا أعمل؟
لك أعطي يا رب كنارة (تشبه قيثارة) كلامي، حرِّكْها بإصبعك وبنعمتك يمجدك الصوت.
بحركات الروح يلد لساني قول تسبيحك، ولأني غير أهلٍ لترتيل قولك، تكلَّم أنت فيَّ.
أنا مزمار، وخبر الصوت والكلمة والروح؛ أمسكني أنت فيك، فأرتل لكَ من الذي لك.
بقوتك حرِّكْ كلام لساني على خبرك، وبموهبتك أُرَتِّل سُبْحَ ميلادك.
ولأن ميلادك الأول مخفي حتى عن الملائكة، أهِّلني أن أُرَتِّل هذا الأخير الذي من ابنة داود[1].

القديس مار يعقوب السروجي

تقدمة التسبيح المقبولة

يرى القديس أن التسبيح عطية تُقَدَّم من الله لمحبِّي التسبيح، غير أنهم يعودون فيُقدِّمونها له بالحب كمن يصنعون تاجًا من عمل الله نفسه، وقربانٍ وذبيحة تسبيح وفلسا الأرملة الفقيرة (مر ١٢: ٤٢).

❖ اعقد تاجًا من ألفاظي وأُقدِّمه له؛ لأن عاقد التيجان وضع نفسه بين المساكين (بتجسده وميلاده).
آخُذ أصناف أصواتي المُتَّسِعة، وأدخل قدَّامه؛ لأن لابس البهاء لبس جسدًا من ابنة داود.
أتقدَّم وأُعطِي قربان كلامي، وأسجد للكاهن الآتي ليكون ذبيحًا عوض الخطاة.
ألقي فلسي على المائدة بتمييزٍ، للراعي الذي نزل ليكون حملاً وسط حملانه.
أضاعف كلمتي على خبره، وأمتد إليه، لأنه "الكلمة" الذي جاء وصار جسدًا ولم يتغيَّر[2].

القديس مار يعقوب السروجي

حوار الملاك جبرائيل مع القديسة مريم

يرى القديس مار يعقوب السروجي أن الله أرسل الملاك جبرائيل للقديسة مريم، لئلا تتحيَّر عندما تنظر الحَبَل في أحشائها بدون زواج. كما يُصَوِّر لنا حوارًا عجيبًا حين سمعت صوته. قال لها: "**سيدي معكِ**"، فأدركت أن الذي يكلمها عبد، ودُهشت من السيد الذي يحمل عبده هذا البهاء العجيب!

هكذا يُقَدِّم القديس مقارنة بين الملاك جبرائيل والحالّ في أحشاء القديسة مريم، وذلك على لسانها:

١. إن كان الملاك الرسول والعبد **يرتدي بهاءً كالبرق**، فماذا يكون بهاء سيده الذي يتجسد فيَّ.

---

[1] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

[2] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

٢. ظهور الملاك في البيت ملأه بدخانٍ نواراني مجيد، فكيف تحتمل الجبال حضور الحالّ فيها؟
٣. مع خطوات الملاك في ظهوره ينثر جمرًا سماويًا، فكيف لا تبيد الجبال حين يطأها سيده؟
٤. إن كان صوت الملاك أرعد في أذنيها، ألاّ يزلزل صوت سيده الأرض، ويُشَقِّق الصخور؟
سألته القديسة عن اسم سيده ومكانه، أجابها إنه مخفي، وهو يحلُّ فيها. مكانه بعيد عن الكل، هو وحده يكشف لها عن سرِّه إذ صارت أمَّه.

❖ إن كنتَ وأنت عبد ترتدي ما هو مثل البرق، إذًا فسيِّدك كله نور كما تقول.
إن كان وجهك شمسًا عظيمة الإشراق، فالشمس لا تستطيع أن تتفرَّس في سيدك...
بمجيئك صار البيت يُدَخِّن، لأنك نوراني، فالجبال لا تحمل سيدك، إذ تنحل قدامه.
إن كانت خطواتك تنثر الجمر، فكيف يطأ سيدك الجبال ولا تبيد؟!...
إن كان صوتك كصوت الأقوياء يرعد في إذني، فالذي أرسلك كلامه يزلزل الأرض.
إن كان الرعد يخرج من شفتيك، فسيدك إن أرسل صوته يشقق الصخور...
إن كنتَ عبدًا فمن هو سيدك. لا تُخْفِ عني، اكشفْ لي خبرك المُدهِش، وفسِّره لي.
ما هو اسم سيدك؟ وأين مكانه؟ ومن معه؟ هل هو بعيد جدًا أم هو ابن هذا المكان أو حال في كل مكان...؟ أجابها الملاك: كفي أيتها الصبية... سيدي مخفي، ومكانه مخفي، واسمه مستور.
هو مرتفع عنا، ومخفي منكِ، وبعيد عن الكل. هو في أبيه، وحالٌ عندِك، فكيف تُفتِّشين عنه؟
لم يُظهِرْ لي (سرَّه)، لعله يُظهِره لكِ فأنتِ أمه. هو مُختَفي عنا، ولا أعرف أن أتحدَّث عن سرِّه.
سمعتُ صوته، ولم أكن أهلاً أن أراه. قَبلَتْ أُذُني صوته، أما هو ففائق عن نظرهِ بعيني.
سمعت منه أنه يأتي إليكِ، وها أنا أبَشرِكِ، انظري، ها هو يحلُّ فيك، وتعلمي منه بتدقيق[١].
القديس مار يعقوب السروجي

إصرار البتول على معرفة السرّ الإلهي

في أكثر من موضع قارن القديس بين حواء الجديدة القديسة مريم وحواء الأولى. هذه تعرف متى تصمت ومتى تتكلم، أما حواء الأولى فأخطأت حين تكلمت وأيضًا حين صمتت.

حواء الأولى دخلت في حوار مع الحيَّة بخصوص الوصية الإلهية فتشككت في الوصية. أما حواء الجديدة فسألت الملاك لتتمتَّع بمعرفة السرّ الإلهي، وحين أدركت أن الأمر صادر من الله، خضعت قائلة: "ليكن لي كقولك" وصمتت. صارت تتذكر الأحداث وتتأملها في قلبها (لو ٢: ١٩، ٥١).

يرى **القدّيس إيرينيؤس** أن طاعة القدّيسة مريم قد حلَّت موضع عِصيان أُمِّها حواء؛ الأخيرة بعِصيانها عقَّدت الأمر، وجاءت ابنتها تحِلُّ العقدة بالطاعة.

[١] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

❖ اندهشت مريم من كلام الملاك العجيب، ولم تَقْبَلْ ألا تسأل... أصرَّتْ أن تتعلم الحكمة منه...
أيها النوراني، إن لم تُعطِني تفسيرًا لن أقبل كلامك... وضِّح لي كلمتك، ولا تكلمني بالرمز.
لستُ أنا غبية بالاستعجال مثل أمي حواء؛ التي من صوت واحدٍ صدَّقت وحملت الموت.
لم تسأل مُبَشِّرها (الحية) كيف يمكن للاهوت يبلغ إلينا من الشجرة. فلو أنها سألت لَمَا انهزمت...
أنا لست طفلة مثل (حواء) تلك التي صارت فخًا لرجلها. فإن لم أعرف الأمر لا تنتقل من هنا.
تلك طلبت أن تكون إلهًا، وأنت تبشرني بولادة من غير زواج... لن أسمع كلامك دون دراسته[1].
القديس مار يعقوب السروجي

كيف يكون هذا؟

يقول **القدّيس أمبروسيوس:** [لم ترفض مريم الإيمان بكلام الملاك، ولا اعتذرت عن قبوله، بل أبدت استعدادها له، أما عبارة: "كيف يكون هذا؟" فلن تنم عن الشك، إنما هو تساؤل عن كيفيّة إتمام الأمر. إنها تحاول أن تجد حلاً للقضيّة... فمن حقِّها أن تعرف كيف تتم الولادة الإعجازيّة العجيبة.]

يقول **القديس مار يعقوب السروجي:** [كيف يمكن أن يحدث ما سمعته منك، وأنا لم يعرفني رجل منذ وُلدت؟... أي أرض أعطت ثمرة بغير زارعٍ؟ وأي عنقود نبت من الكرمة بدون تلقيح؟
أية شجرة أعطت ثمرة بدون سقي؟ وأي حقل جاء بِغَلَّةٍ بدون فلاح؟...
نظرها مجتهدة أن تفحص الحق، واستعد أن يُظهِر لها الحقيقة...
أنا أُعظِّم سيدي، وسلامه أعطيتكِ؛ لم أعيب فيه قدامكِ كما فعلت تلك (الحيَّة) مع أمكِ.
لم أعرِّكِ المجد كمثل التي في الجنة؛ إنما أتيت برداء لتكسي به فضيحة أبيكِ.
لم أنسج لكِ لباسًا من ورق العار، إنما أتيت بحلة المجد لتتجسم بكِ.
سيدي هو الحق، ولساني يكرز بالحق، تسأليني: كيف يكون هذا؟ اسمعي وليكن لكِ تمييز[2].]

الروح القدس يحلُّ عليكِ

جاءت إجابة الملاك تكشف عن سرّ عمل الله فيها لتحقيق هذه الولادة: "**الروح القدس يحلُّ عليك، وقوّة العليّ تظلّلك، فلذلك أيضًا القدّوس المولود منك يُدعَى ابن الله**". الروح القدس يحلُّ عليها لتقديسها، روحًا وجسدًا، فتتهيَّأ لعمل الآب الذي يُرسِلُ ابنه في أحشائها يتجسّد منها. حقًا يا له من سرّ إلهي فائق، فيه يُعلن الله حبَّه العجيب للإنسان وتكريمه له!

❖ الروح القدس يأتي إليك بالقداسة، وقوة العلي تحلُّ عليكِ بالمحبة.
مصوِّر الأطفال يصوِّر ويلبس منكِ جسدًا... هو يحلُّ فيكِ حيث لم يبعد عن أبيه...

---

[1] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

[2] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

لن تحتاجي لزواجٍ لتقبلي الحبَل، لأن الذي يحلُّ فيكِ هو مَنْ برمزه ينجب الزواج (أطفالاً)...
لن يتقدم إليك رجل لتنجبي منه، لأن قوة العلي تُثمِر في بتوليتكِ.
لن ينحل الختم المحفوظ بشبابكِ، لأن النور النقي يُشرِقُ وينزل ويَحلُّ فيكِ.
اطرحي الأفكار الجسدانية من ضميركِ، ولا تفحصي حَبَل بطنك، لأنه ابن الله.
وأيضًا أعطي علامة لمعرفتكِ، ها اليصابات نسيبتك هي حُبْلَى.
العجوز العتيقة التي لها مدة عاقر، ها هي حامل بطفلٍ في آخر أيامها...
إن كانت العاقر، الكرمة التي خربت، أعطت ثمرة، كيف يصعب قبول الحبَل لبتوليتكِ؟[1]

القديس مار يعقوب السروجي

بين تساؤل زكريا وتساؤل مريم

شك زكريًّا الكاهن في إنجاب زوجته، والبتول آمنت، وفي طاعتها قبِلَتْ عمل الله. يقول **القدّيس أمبروسيوس:** [سَمت بإيمانها على الكاهن؛ فالكاهن أخطأ وتوارى، والعذراء قامت بإصلاح الخطأ.] هكذا صمت زكريًّا بسبب شكِّه وحملت العذراء بالكلمة المُتجسِّد أو النطق الإلهي الذي لن يصمت...

❖ لام الملاك الكاهن الذي سأل: كيف يكون؟ وأعطى الصبية التفسير ولم يلمها.
حواء لم تتشكك فحبلت الموت، ولأنها صدَّقت ولم تدرس الأمر هُزمت.
زكريا الكاهن الشيخ لما سأل ارتبك، لأنه لم يكن مضطرًا إلى السؤال.
فتشت مريم تفتيشًا صغيرًا، وبسؤالها عن الفحص مدَّت المتجاسرين بالصمت...
مباركة هي مريم لأنها أعطت سببًا للخبر الخفي، لكي ينجلي بكلام الملاك[2].

القديس مار يعقوب السروجي

قوة العلي تُظَلِّلُكِ

يرى البعض أن قول الملاك: "قوة العليّ تظللك" يشير إلى دور الآب" في التجسد الإلهي، ويرى القديس مار يعقوب السروجي أن "قوة العليّ" تشير إلى كلمة الله نفسه، كقول الرسول: "بالمسيح قوة الله وحكمة الله" (١ كو ١: ٢٤).

❖ إن كان الروح وقوة العلِّي حلاَ على الصبية، فما هو الذي ينقص الميلاد الكامل باللاهوت؟
قوة العلي هو الابن الحقيقي بغير فحصٍ؛ هو قوة العليّ وعظمة اللاهوت[3].

---

[1] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).
[2] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).
[3] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

هوذا أنا أَمَة الرب ليكن لي كقولك

بقولها "**ها أنا أَمَة الرب**" كشفت القديسة عمّا بداخلها من إيمان وتسليم، وأظهرت أن تساؤلها "كيف يكون لي ذلك؟" لم يحمل شكًا، إنما أبرز رغبة في معرفة السرّ.

❖ سمعت الصوت إن قوة العلي تحلّ عليكِ، ولم تناقش كيف ولماذا ومن أجل ماذا...
أضاءت بالحب هيكلها الطاهر قُدَّام القدوس.
كنست البيت بالقداسة في الداخل، وزيَّنت أساسه من الأشكال المُكرَّمة...
علت الأصوات الممجدة بنار حبها، وهبَّت ريح الطيب المختار من اعترافها...
أجابت: هوذا أنا أمة الرب كما أنتَ عبده، وإن كان اختياره جذبه إليَّ، فأنا لا أهرب.
قالت: ليكن لي كقولك يا سيدي؛ أعطت فمها، وحينئذ أخذت الثمرة في حضنها.
فتحت الباب باختيارها، ودخل ابن الملك، لأنه بالحرية يُكرَّم ختم البتولية الكامل...
بشَّر موسى الشعب أن العلي ينزل، ولما تقدَّس حينئذ نزل الآب على الجبل.
هكذا جاء الملاك بالبشارة إلى المؤتمنة، ولما سمعت واستعدت حينئذ حلَّ عليها[1].

القديس مار يعقوب السروجي

الكائن مع الآب أشرق من مريم

أحنت القديسة مريم رأسها في خضوع وإيمان، فتحقَّق التجسد الإلهي بطاعتها وقبولها لخطة الله. للحال حلَّ فيها شمسُ البرّ. صارت القمر المُنِير. استنارت القديسة مريم بذاك الذي تجسد منها، وحملت بهاءه في داخلها، وتزيَّنَتْ به؛ صار سرّ جمالها الداخلي.

❖ أشرق في البطن، بينما يُشرِق نوره على المركبة (الإلهية)، في البطن تم حَبَله.
هو في مريم بكليته، وفي أبيه بكليته، وهو في الكل؛ يُرعِب الكاروبيم... وموجود عند الكل.
سلطانه مُمْتَد على الخليقة، وحالٌ في مريم، ضابط العلو والعمق، حالٌ في أمه...
حين حلَّ فيها أضاء أفكارها بالإيمان؛ فحملت البهاء، وأشرق الجمال بشبابها.
أرعدت المقصورة بالملك الذي دخل وحلَّ فيها، وابتهجت البتول بالرب القدوس الذي حملت به.
وحيث تدهش، تتباهى بزرعٍ، وتفتخر برهبةٍ، وأيضًا بالمخافة والتشجيع المُبهِج والتفاوض النقي[2].

القديس مار يعقوب السروجي

زيارة القديسة مريم لأليصابات

إذ تجسد الكلمة الإلهي في أحشاء القديسة مريم، صارت سماءً ثانية تحمل المراحم الإلهية، تُمطر

---

[1] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

[2] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

على كل أرض ظمآنة تلتقي بها، فتأتي بثمرٍ روحيٍ. لقد صارت مُمثِّلة للبشرية المؤمِنة، أو ممثِّلة للكنيسة بكونها قبلت الإيمان بوعد الله، وانحنت ليحلَّ كلمة الله فيها. فإذ تمتَّعت بالكلمة داخلها لم تستطع إلا أن تنطلق "**بسرعة إلى الجبال إلى مدينة يهوذا**"، لتلتقي بنسيبتها اليصابات. صورة حيَّة للكنيسة الحاملة للعريس فيها، والتي لن تستريح، بل تنطلق عَبر الأجيال كما على الجبال لكي تُقدِّم عريسها لكل إنسانٍ في العالم. بالمنطق البشري كان يلزمها أن تتوارى، وتبحث الأمر في نفسها ومع خطيبها، لتدبير أمر الحبل والميلاد، لكنها وقد حملت ذاك الذي يقوم بتدبّير أمور الخليقة السماوية والأرضية، بروح الخدمة انطلقت إلى الجبال إلى مدينة يهوذا تخدم اليصابات. إن حملنا مسيحنا في داخلنا ننطلق بقلب مُنفتِح، ونخرِج عن "الأنا"، فنحب الجميع، مشتهين خدمة الكل!

همست البتول الوديعة في أذنيّ نسيبتها، فتحرك الجنين يوحنا المعمدان، ليرقص أمام الجنين الجرو الأسد الذي يربض على الصليب. تحرك الجنين الكارز برهبة مع بهجة وتهليل. قام بأول عمل كرازي له قبل أن يكتمل نموّه ويولد، ودعا أمه أن تسجد للكلمة المتجسد. امتلأت أليصابات من الروح القدس، ومارست التسبيح كما مع الملائكة.

❖ صعدتْ مريم السحابة المملوءة رحمة، لتمضي وتسقي الأرض الظمآنة التي صار فيها ثمرة.
جلس الملك على المركبة المملوءة قداسة، ليخرج ويفتقد عبده بغناه...
قامت البتول وتعالت إلى بيت العجوز، لكي تكثر الدهشة بالصبية والعجوز...
زأر جرو الأسد في بطن أمه كما كتب يعقوب (تك ٤٩: ٩)، وارتعد العجل ابن العاقر لما سمع صوته. همست الصبية في أذني العجوز بهدوءٍ، ودبَّ الصوت، ودخل حرَّك كاروز الحق.
تحرَّك الطفل برهبةٍ أمام ابن داود؛ رقص مُبتهِجًا أمام التابوت.
أشار إلى أمه أن تسجد بغير تأخير، لسيده الآتي إليه على الباب.
فاض الروح من القديسة للعجوز العاقر؛ وسكب فيها قوة لتكرز لأمه بالحقيقة...
امتلأت ابنة اللاويين بالروح القدس؛ ورتلت بشفتيها الأصوات المملوءة مجدًا[١].

القديس مار يعقوب السروجي

تسبحة اليصابات

شعرت القديسة اليصابات بفرح جنينها وبهجته، مع مخافته للكلمة المتجسد. حسبت ابنها المحبوب لديها جدًا قشًّا بجوار كلمة الله النار الإلهية. أدركت أن ابنها سراج صغير أمام حضرة شمس البرّ!

يقول **القدّيس أمبروسيوس:** [ظهرت في الحال بركات زيارة مريم ووجود الرب، لأنه عندما سمعت اليصابات صوت سلام مريم، ارتكَض الجنين بابتهاج في بطنها وامتلأت من الروح القدس.

[١] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

كانت اليصابات أول من سمع صوت مريم، لكن يوحنا كان أول من تأثر بالنعمة...

عرفت اليصابات قدوم مريم، وشعر يوحنا بوجود المسيح، شعرت المرأة بوجود المرأة، والجنين شعر بوجود الجنين، وبينما كانتا تتحدَّثان عن النعمة، كان الجنينان يحقّقان في الداخل عمل المراحم الإلهيّة. ارتكَض الطفل ثم امتلأت الأم، إذ لم تمتلئ قبل الطفل.]

❖ كم أنا سعيدة، لأني استحققت أن أنظر الطوباوية، السماء الجديدة، التي جاءت ودخلت عندي... بطنكِ مخوف أكثر من السحاب الذي لطور سيناء، لأن هوذا فيكِ الذي يرتعد أمامه الكاروبيم... امضي أيتها العظيمة إلى مكانك لتلدي...

امضي، اخفي شبل الأسد في مسكنك الهادئ، لأن الحمل الذي في أحشائي يخاف منه أن يولد!... ليس حسنًا أن تقوم النار (يسوع) قدام القش (يوحنا).

لهذا جلس في الأحشاء ولا يخرج، لأنه خاف لئلا يضني من اللهيب الحال فيكِ.

لتمضي الشمس، فيشرق السراج الصغير على الأرض. انتقلي من هنا، لئلا تُهان ثمرتكِ منا[1].

القديس مار يعقوب السروجي

يوسف البار

يصوِّر لنا القديس مار يعقوب السروجي موقف القديس يوسف بعد رجوع القديسة مريم، وقد ظهرت عليها علامات الحَمْل. فالحَمْل يصرخ بأن جنينًا في البطن، وفي نفس الوقت خبرته مع القديسة مريم لا يمكن تجاهلها، حياتها تكشف عن كونها حمامة طاهرة بهيَّة. ارتبك للغاية، إذ رأى الطاهرة مريم قد أدركت ما بفكره، فقالت في داخلها: "ها ابني يشهد أنه من العلو، وأنا لم أشعر برجلٍ قط."

❖ نظر الخطيب البار بطنها، وصار في دهشٍ، نظر الصبية إنها عفيفة ورعة، فارتعب قلبه. شكلها عفيف، وأحشاؤها مملوءة، فماذا يقول؟ منظرها ورع، وبطنها حامل، فكيف يتفرس؟... تعجب جدًا ببهاء كرامتها، وارتعب جدًا من منظر الحَبَل.

كلما أطال يوسف روحه على ما حدث، تصرخ البطن الحبلى أن الطفل حال فيها.

تقدَّم بهدوء، وبدأ يقول بلطفٍ: قولي لي أيتها الصبية، ماذا حدث لكِ...

أيتها السفينة المحفوظة، أين توقفت سرعتك؟ أي بحر خطف تجارتكِ بين أمواجه...

أيتها الحمامة البهية، من الذي قصّ جناحك الحسن، ونتف ريش صحة ورعكِ وأخذه.

أيتها الورعة، من الذي سرق جوهرتكِ... واقترب إلى الأختام المحفوظة وأفسدها.

أيتها البهية كل يومٍ، متى نقصت كرامتك، وفي أي يوم سقط اللصوص وسرقوا غناكِ.

أيتها المدينة الحصينة، من الذي سبى سورك واقتلعه، وأخرج النهب مع السبي إلى الغرباء.

---

[1] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

أيتها الحقل المحفوظ، من طرح فيك زغلاً مسروقًا، لأن هذا العارض ليس هو منا.
فقالت مريم: ... جوهرتي محفوظة عندي لم تُسرق، وختم بتوليتي قائم لم يفسده أحد...
ها ابني يشهد إنه من العلو، وأنا لم أشعر برجلِ قط[1].

القديس مار يعقوب السروجي

حوار بين يوسف ومريم

يتصوّر القديس مار يعقوب السروجي أن القديس يوسف، وقد سمع ما قالته القديسة مريم بأن الذي في أحشائها من الأعالي، ولم يمسّها رجلُ ما، تعجّب. ولكن كيف يتحقق من أمرٍ لم يحدث من قبل ما يُشبِهه عبر كل الأجيال السابقة: أن بتولاً تَحْبَل بدون زرع بشر.

أجابته القديسة مريم موضّحة له أن الطبيعة تسمح بميلاد أبناء دون زواج فتاة برجل:

١. فبمن تزوجت الأرض، حين أنجبت ابنها آدم (تك ٢: ٧)؟
٢. وكيف ولد آدم الرجل حواء بغير زواج (تك ٢: ٢١ الخ)؟
٣. كيف أنجبت الشجرة كبشًا مربوطًا بقرنيه ليُقدِّمه إبراهيم ذبيحة (تك ٢٢: ١٣)؟
٤. بمن تزوجت الصخرة، فأنجبت أنهارًا شرب منها الشعب في البرية (خر ١٧: ٦)؟
٥. كيف أفرخت عصا هرون الجافة أغصانًا (عد ١٧: ٨) على غير العادة؟
٦. كيف أنجب فك الحمار الميّت ماء شرب منه شمشون الجبّار (قض ١٥: ١٨)؟

هذا حدث خلال الطبيعة على غير العادة، فهل يستحيل أن يتجسد كلمة الله القدوس في البتول؟ أما عن الكتاب المقدس، فتبقى عبارات إشعياء النبي شاهده أن بتولاً تحبل وتلد ابنًا يُدعَى عمانوئيل (إش ٧: ١٤).

❖ قال يوسف: من يقدر أن يتحقق من هذا، إذ لم يحدث ما يُشبِهه، ولا نظر أحد ما يُشبِهه.

لم يُسمَعْ قط أن يكون حَبَلُ للبتولية بدون رجلٍ؟ يعسر عليَّ أن أصدق كلام فمكِ الجديد هذا. لم يُعلِّمْ بهذا لا بالطبيعة ولا بالكتاب المقدس؛ فكيف يمكن أن يكون منكِ ما هو ليس بحسب العادة.

قالت مريم: إن كنتَ تطلب شهادة لكلامي، سهل أن تسمع للطبيعة وللكتاب. من تزوج بالأرض وولدت آدم (تك ٢: ٧)؟ أو بمن التصق الرجل حتى ولد حواء (تك ٢: ٢١ الخ)؟ من تزوج الشجرة فولدت الكبش (تك ٢٢: ١٣)؛ أو من عرف الصخرة فولدت الأنهار (خر ١٧: ٦)؟

بأي زواج أفرخ القضيب على غير العادة (عد ١٧: ٨)؛ وبأية مباشرة أنسل الفك المائت الماء ليسقي (قض ١٥: ١٨)؟ من أنجب بهذه الأحضان هؤلاء الأطفال؛ إن كان هذا عندي وحدي، فهو غير حقيقي. اقرأ في الأنبياء وانظرْ الأخبار المشابهة لي في الأسفار التي كرز الروح بها للأنبياء.

[1] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

ألم تسمع إشعياء حيث كرز، يقول: "ها البتول تحبل وتلد عمانوئيل" (إش ٧: ١٤)؟!...
حوَّلتْ عينيها نحو حضنها، وتوجهت بمحبة إلى الكائن في أحشائها، وقالت:
أيها الحق الذي به ظُلمت، أشرق حقك، لا تحجب عن المسكين حقيقة أمك.
اظهر فعلك للأب المستعار (يوسف) الذي لك في الأرض؛ لئلا يبتعد منه سرّ ميلادك.
أيها الرحوم أشفق على برّه كما رحمني؛ وباستعلانك فرِّح قلبه وانزع عنه حزنه.
يا ابني لا تحجب حَبَلك عنه، لئلا يهلك؛ اعتذر له عوض والدتك، لئلا يتشكك...
صربتُ أهلاً أن أتحد بخطبته؛ أهِّله أيضًا أن يكون قريبًا لميلادك المملوء قداسة.
لا تتركه يختنق بالشوك من أجل حَبَلك؛ بل الصقه بميناء إيمانك المملوء رجاءً[١].

القديس مار يعقوب السروجي

ملاك الرب يظهر ليوسف

يرى القديس مار يعقوب السروجي أن الذي كرز للقديسة مريم بالحق (الملاك جبرائيل) طار إلى يوسف، ليطرد عنه فكر الشك. يصفه القدِّيس أنه هبّ كالريح، وأبرق حوله، واشتعل كالنار، وتكلم معه كما بصوت الرعد. خرجت كلماته من فمه كجمر نارٍ، وبظهوره امتلأ البيت بالسحاب. بهذا الظهور في الحلم العجيب ارتعب يوسف البار، فقدم له رسالة تطمئنه، أن الجنين هو عمّانوئيل!

❖ لما استراح البار بنومٍ في هدوء الليل، أشار ابن البتول للملاك، فأتى إليه.
نزل الرسول الذي حمل البشارة لحضن أمه، وجاء يظهر ليوسف رجل المؤتمنة.
أتى الكارز بالسرّ ليُظهِرَ الحق لذاك المُتشكِّك؛ ويوضح خفية الحق بطريقةٍ ظاهرةٍ.
طار الروحاني، وبلغ إليه بسرعة، ليطرد عنه أفكار الشك...
أظهر وأراه إقبالاً موهوبًا ممجدًا ومدهشًا؛ لكي بالهدوء يسمع من الخفيات.
هبَّ كالريح، وحلَّق كالبرق، وبلغ إليه؛ اشتعل كالنار، وتكلم معه كالرعد...
أولد البروق من لهيبه؛ أشرق كالشمس وملأ البيت من شعاعه.
أبرق بهاء اللهيب وارتعب يوسف؛ فتح الملاك فمه وأمطر الجمر من ألفاظه.
مدَّ ريشه وألبس البيت سحاب نوره؛ بدأ يتكلم، وارتعب البار على سريره.
دعاه قائلاً: يا يوسف بن داود لا تَتَشَكَّكْ. أعطاه إكليل رأس كلامك أنه ابن داود...
إن جنس (خطيبتك) من يهوذا، من بيت داود، فمنها يُشرِقُ ذاك الذي له التدبير.
لا ترتعب ولا تخف منها بالشك، لأن الحال فيها هو ابن العلي بالحقيقة...

[١] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

ها هو عمانوئيل بخطيبتك الذي تفسيره الله معنا[1].

القديس مار يعقوب السروجي

يوسف يضم مريم إلى بيته

بحديث الملاك مع القدّيس البار يوسف تحوّل الأخير إلى اليقين المفرح، أن من معه هي أم الملك، مركبة ملك الملوك، حاملة الرب بالحق، رب الملائكة الذي تخضع له الطغمات النارية السماوية، لأنه ابن الله. اعترف لها أن شكّه إلى حين حوّله إلى الالتزام بعملٍ كرازي، يشهد للحق أمام المقاومين الظالمين. تحوّل النجار البسيط إلى خادم نقي، صاحب قلب ناري.

❖ تركه الملاك، واستيقظ يوسف خائفًا مُرتعِبًا، في دهشةٍ وخشيةٍ، يرهبه الرعب.
صار مُعترِفًا بالحق، ومملوءًا بالفرح، مُتَّكِلاً (على الله) مُتشدِّدًا مُمجِّدًا، ومُعترِفًا، مُعظِّمًا، ساجدًا.
نظر الطاهرة، وانحنى قدامها، وقال: السلام لك يا أم الملك الآتي لشعبنا.
أنحني لكِ أيتها البطن، مركبة سيد الملوك، أعترف لكِ أيتها الصبية، حاملة الرب الحق.
إن الحال فيكِ هو رب الملائكة، تطيعه صفوف النار، لأنه ابن الله... الآن تعلمت، ولن أهدأ من تمجيده، وأصير كارزًا للحق قدام الظالمين. ولأني تشكَّكتُ وقتًا قليلاً لأجل حبَلَكِ، يكرز لساني مدة حياتي بحقيقة المولود منك... أخذ يوسف المؤتمنة ودخلتْ بيته، وباحتفاظ سكنت البتول مع القديس... صار النجار كارزًا للتجسد للمسكونة. وتَسَلَّم الخدمة بنقاوةٍ وخوفٍ عظيمٍ[2].

القديس مار يعقوب السروجي

الاكتتاب في بيت لحم

انشغل قيصر بعمل اكتتاب، حتى يدفع كل إنسانٍ جزية للدولة الرومانية المستعمرة للبلاد. بينما جاء ملك الملوك ليسجل أسماء المؤمنين في سفر الحياة، فيُعتقوا من عبودية إبليس. طلب الملك الأرضي أن يذهب كل إنسانٍ إلى بلده ليُكتتب فيها، وأراد الملك السماوي أن يكتتب آدم وبنيه لا في جنة عدن، بل في سفر الفردوس السماوي.

❖ ملكان بآنٍ واحدٍ يحصيان الشعب. يكتب قيصر (أسماء) الناس للجزية، ويرسم الابن أولاد آدم في سفر الحياة. يتحايل الواحد ليخضع له بنو البشر، ويهتم الآخر أن يحل أسْرَ المشجوبين.
تزامنت الكتابة الناطقة التي للملكين: الملك على الأرض، والابن في العلو، يكتبان الأسماء...
حين قدَّموا إحصاء الناس للعبودية، كُتِبَ تمتعهم من العبودية من العالي.

---

[1] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

[2] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

خرج الأمر أن يُكتَب اسم كل واحدٍ في بلده، إذًا كُتِبَ اسم آدم في عدن لأنها بلده[1].

القديس مار يعقوب السروجي

في بيت لحم

انطلقت البتول مع خطيبها يوسف إلى بيت لحم أفراثة لتلد في مغارة مصوّر الأطفال. وُلد في مغارة حجرية، لكي يقيم منها سماءً جديدة. وُلد السيد في مكان مستعار، وهو الغني يقطن مع الفقراء.

❖ حملت البتول سيد الملوك في حضنها الطاهر، وتحرَّكَتْ وصعدت مع يوسف إلى أفراثة...
ضرب الحَبَلْ أم الصبي لتلد الطفل، لأنه بلغ وقت مولد مُصوِّر الأطفال.
عرف قرية داود، ودخل ليحلَّ فيها، لكي في أماكن الملك أبيه يُكرَم.
وإذ لم يكن لأمه في بيت لحم مكان، مالوا إلى المغارة، السماء الحجرية، ليحلوا فيها.
دخل الغني مع المساكين في مسكن مستعار، وحلَّ الضعفاء مع القوي في الوكر المجوَّف...
الحمامة الطفلة حلَّتْ لتلد في بتوليتها، ذلك النسر الشيخ ملك الطيور، في العش الصغير[2].

القديس مار يعقوب السروجي

لم يزل إلهًا، جاء وصار ابن بشر!

المولود من الآب أزليًا، المخفي ميلاده عن السمائيين، وُلد بين البشر. مخفي بلاهوته، ومنظور بناسوته، من يقدر أن يفحص سرّه الإلهي؟!

❖ (المولود) هو الله الذي حملته البطن بالبتولية؛ وأيضًا هو إنسان، لأن حضن مريم ولده جسدانيًا.
واحد هو ميلاد الابن الحقيقي الكامل المُدهِش؛ مولود من الآب، ومخفي عن الملائكة، ومسجود له من الناس. **الوحيد من الأزلية ومن الإنسانية، ابن العظمة وابن مريم، المُخلِّص الواحد.**
واحد هو سيد الكل من العالي ومن ابنه داود؛ واحد هو العزيز من النورانيين والجسدانيين.
مخفي بألوهيته وظاهر بإنسانيته من يفحصه؟! مستور بطبعه ومحققُ بجسده، وبالجميع مدهش...
يُرعِبُ الكاروبيم ولابس الجسد، وهذا هو الدهش! يُعطِي المطر ويرضع الثدي، وهذا هو العجب![3]

القديس مار يعقوب السروجي

المجد لله في الأعالي

من يقدر أن يصف مواكب السمائيين النورانيين التي أسرعت قادمة من السماء لتُضيء الليل ببهائها في مغارة مُستعارة؟! اهتزّت السماء، فقد نزل السمائيون ليمجدوا ذاك الذي وُلد كإنسانٍ، فحوّل الأرض

---

[1] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

[2] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

[3] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

سماءً.

❖ أشرق النورانيون، وهبَّ الروحانيون، واجتمعت الصفوف. مجدَّت الألوف مع الربوات بأصواتٍ تدهش.
أرعد المجد من صفوفهم السمائية، وشقَّ بهاء الملائكة الليل بقوته...
نزل العاليون، وساروا على الأرض، وجعلوها سماءً...
اختلط العاليون مع السفليين، وعقدوا التاج من الاعتراف للواحد سيد الكل[1].

القديس مار يعقوب السروجي

الملائكة والرعاة

تحركت السماء في دهشةٍ عجيبةٍ، واشتاق الكل أن يسجدوا للمتجسد محب خليقته. بينما ساد الأرض صمت رهيب. تحرك السمائيون، ليوقظوا رعاة بسطاء ساهرين في رعايتهم، لينطلقوا إلى راعي الرعاة السماوي، مخلص البشرية. ملك الملوك ومخلص العالم في مذود بسيط لا يرتدي تاجًا ولا ثيابًا ملوكية، ولا يحمل سيفًا، ولا أُعدت له مركبة ملوكية، فهو ليس في حاجة إلى مظاهر السلطة والقوة.

❖ أسرع الملائكة ليُبَشِّروا الرعاة؛ جاء راعي القطيع الناطق الهالك!
صرخ العاليون: نُبَشِّركم أيها السفليون. لقد أشرق لكم المسيح الرب في قرية داود.
ها المخلص جاء للمسبيين ولم يشعروا به، والراعي العظيم قام وسط غنمه ولم تنظره...
قوموا امضوا وانظروا الملك الآتي ليُخَلِّص شعبه؛ محتقَر ومتواضع، ويعمر الأرض بهدوئه.
ليس كمثل منظره هكذا هو سلطانه، لم يصور بلباسه سلطان قوته.
وإذ هو المخلص ليس بيده حربة ولا سيف، ولا أيضًا مركبة مزينة تحته. هو الملك، ولم يحتفظ لكرامته بشيءٍ يتعظَّم به، في مذود صغير ملفوف بالأقماط، وموضوع كالأطفال[2].

القديس مار يعقوب السروجي

لنذهب إلى بيت لحم

مع صغر المغارة وفقرها المادي، صارت مُلتقى السمائيين مع بسطاء البشر. سبّح الكل بلغته، هذا العمل الإلهي الفائق. وقفت البتول في دهشةٍ أمام ما يحدث، وتطلع القدِّيس يوسف برهبةٍ إلى الموقف. نظر إلى الطفل المضطجع العجيب.

❖ حمل الأطهار الحقيقيون قرابينهم وجاءوا، الحمل للكاهن، واللبن للطفل، والتمجيد للملك.
أسرع البسطاء، وزاحموا بين الملائكة إلى المغارة؛ دخلوا ونظروه، وسجدوا قدامه بقرابينهم...
اختلطت النغمات السماوية بترتيل البشريين، وأصعدت للابن ترتيلاً ملونًا من كل الأفواه...

---

[1] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

[2] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

الطفل صامت، والصفوف امتدت وعلت الأصوات؛ الملائكة يُسَبِّحون، والناس يُرتِّلون ويعترفون[1].

القديس مار يعقوب السروجي

العذراء تناجي يسوع

يتصوّر القديس مار يعقوب السروجي القديسة مريم وقد رأت القوات السماوية من ملائكة وكاروبيم وسيرافيم وعجلات سماوية نارية الخ، فطلبت أن يسمح لها أن تتحدث معه. وقفت الفتاة البتول الضعيفة أمامه تسأله أن يفسح لها مجالاً تسجد أمامه، ويهب ذراعيها قوة كالكاروبيم، فتستطيع أن تحمله، ويهب لسانها روح التقديس العظيم كما يسبحه السيرافيم، ويهب رجليها قوة العجلات السماوية فتنطلق به إلى أرض اليهودية.

❖ دُهِشَتْ مريم وقامت بالعجب عند المولود؛ هربت أوجاعها، وبغير ألمٍ سجدت لابنها يسوع.
ضمَّت يديها، وخرَّتْ قدامه في صلاةٍ، فتحت فمها وناجت ابنها بدالة:
يا ابن المظلومة، ائذن لأمك أن تكلمك، سيد أُمه، لتأمر لأُمَتِك أن تُحدِّثك. اصرف الجنود ليصعدوا إلى مكانك بغير اضطراب؛ ها أنت هنا، فلتمضِ الملائكة إليك في العلو. انتهر النورانيين، ليفسحوا لي أن أتقدم إليكِ. أَعطِ لذراعيّ بقوَّتك عصمة الكاروبيم، لكي يحركاك بين المساكين الذين أكرمتهم... ضع على لساني التقديس العظيم الذي للسرافيم، لكي ينطق لك فمي التقديس بغير فتورٍ. ارسم في ضميري حركات الكاروبيم العظيمة ليبارك اسمك العظيم المخفي من الكل. هب لرجليَّ حدة العجلات المُسرِعة، لتنقلك إلى أرض اليهودية كما يحسن لك... أعطِ يا ابن الملك المجد العظيم لحضن أُمَتِك، لكي يكون مثل المركبة تتكرَّم بها بالبهاء العظيم[2].

القديس مار يعقوب السروجي

هذا هو اليوم العظيم

كل الأيام هي للرب، فكم بالأكثر يوم ميلاده، كابن البشر، ليحقق الخلاص الذي يشتهيه الثالوث القدوس. إنه يوم الرب المفرح لآدم الذي سقط حين ظن أنه مع حواء يصيران كالله ففقدا حياتهما وجمال طبيعتهما. الآن صار لهما حق شركة الطبيعة الإلهية حيث يتمتعان مع أبنائهما المؤمنين بأيقونة المولود! اليوم يفرح الأنبياء والملوك الأتقياء، فقد جاء عمّانوئيل الذي تنبأوا عنه.
اليوم تهلل الذين في القبور، حيث يشرق شمس البرّ عليهم.

❖ في يومك العظيم هذا تُسر الأرض وكل ما عليها، وعوض الشوك تنبت الخيرات من ميلادك!
في هذا اليوم يفرح آدم رئيس الأجناس... في هذا اليوم تفرح حواء أكثر من آدم، لأنه أشرق منها

---

[1] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

[2] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

طفل بغير ألامها وأوجاعها. في هذا اليوم تُسَرُّ الجنة وأشجارها، لأن بك يُرَد الوارث المطرود (لجنة) عدن مسكنه. في هذا اليوم تعرَّفت على الشعوب في جميع الأقطار، لأنهم كانوا مُبدَّدين بجميع العبادات، وتجمَّعوا بك... في هذا اليوم تفرح صفوف الأنبياء، لأن استتارهم اتضح بميلادك. في هذا اليوم يشد داود أبوك أوتاره، ويُرَتِّل بالكنارة (مثل القيثارة) لميلادك الآتي للظهور. في هذا اليوم يشعر إشعياء في قبره أن عمانوئيل تقدَّم كما تنبأ عنه... في هذا اليوم يُشرِقُ مجدك على قبور (الأنبياء) ويوقظهم ليُمَجِّدوا بقيثاراتهم[1].

القديس مار يعقوب السروجي

فلنسبح مع الملائكة

يتلمس القارئ مشاعر القديس مار يعقوب السروجي، وقد اقترب من ختام الميمر. يتطلع إلى القديسة مريم، وقد امتزجت مناجاتها لابنها بتراتيل السمائيين له. يرى في القديسة تمثيلاً للكنيسة العروس المتهللة بعريسها. بميلاد هذا الطفل العجيب انتهت فترة الحزن التي سادت على البشرية منذ سقوط الأبوين الأوّلين، وجاء وقت الفرح المجيد. إذ صارت البشرية **العروس المتهللة مع السمائيين**.

كانت عبدة ذليلة، يستعبدها عدو الخير، مربوطة بعبادة الأصنام، فصارت العروس الحرّة التي حررها عريسها من قيود الشيطان. كانت حبيسة الظلمة، أشرق عليها شمس البرّ فاستنارت.

كانت كمن بلا مأوى، لأن مسكنها سقط، وجاء المهندس السماوي وبنى لها بيتًا أبديًا.

كانت تحمل متاعب آدم المضطرب، فصار لها سلام آدم الجديد.

❖ في هذا اليوم رتَّلَتْ مريم هذه الأصوات، وأنشدت البتول للطفل الهادئ ترتيلاً حلوًا.

اختلطت مناجاتها بترتيل السمائيين، والتصق صوتها بالرعد العظيم الذي للسيرافيم.

غلب تسبيحها هتاف الملائكة العلويين، لأنه بدالة رتَّلت لابنها عندما ولدته...

عظيم هو مجد هذا اليوم أكثر من كل الأيام، ومجد جمال هذا العيد من كل الأعياد.

استيقظي أيتها الكنيسة بتراتيلك الحسنة، وقرّبي للابن أصناف الأصوات في يوم ميلاده...

في هذا اليوم ابتهجت التي كانت متروكة في الحزن، لأن العريس جاء وابتدأ يجمعها من بين الصور. في هذا اليوم انتهت مدة الحزينة، لأنه صار العرس لتتعزَّى فيه من حزنها.

في هذا اليوم صار العتق للمُستعبَدة؟ لأنها كانت مرتبطة بخدمة الأصنام.

في هذا اليوم انحلت الرباطات، لأن الجبار قام وكسر القيود التي حبستها.

في هذا اليوم اقتنت الحرية مسبية الشياطين، لأنهم هربوا من الرب الحق، واسترد ما له.

في هذا اليوم خرجت المسجونة في الظلمة، لأن النور أشرق، وحطَّم أبواب الظلمة...

---

[1] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

في هذا اليوم بنى المهندس البيت الذي سقط، وسنده باللاهوت لئلا يقع.

في هذا اليوم صار تحقق الرضا على آدم من قبل سيده، لأن الابن أشرق وألقى السلام بينهما.

القديس مار يعقوب السروجي

هو الراعي والطبيب والمُخَلِّص

في هذا العيد تحوّلت العبدة الأسيرة إلى عروس متهللة حرّة تشارك السمائيين حياتهم، وتعرّفت القطعان البشرية على راعيها السماوي. الفريد في رعايته وحبه. تتجلّى رعايته في الآتي:

١. يُعلن مجده بحبه، فيحمل الخروف الضال، ويدخل به إلى المرعى السماوي، الفردوس!

٢. يحطم خطة الذئب "إبليس"، الذي لا يكف عن عزل الخراف عن راعيها.

٣. يربط عدو الخير المتمرد، ويحطم مسكنه، لينطلق بالخراف إلى الحظيرة السماوية.

٤. يُدعى المحرر، فهو وحده قادر على حلّ رباطات الخطية وقيودها.

٥. إنه الراعي الطبيب، يضمد الجراحات، ويشفي الأمراض.

٦. يقدم نفسه ملحًا يُصلح ما حلّ بنا من فسادٍ.

٧. يشدد النفوس المرتخية، ويزيل خداع الشهوات.

٨. بميلاد الابن يقدم الآب كنوزه ليُغني الكل.

❖ في هذا اليوم وجد الراعي الخروف الضال، وحمله على كتفه بتعظيم، ودخل به إلى الفردوس.

في هذا اليوم رجع قطعان الشعوب الذين كان قد عزلهم الذئب الخفي من راعي الكل...

في هذا اليوم قام القوي على المُتمرِّد، وربطه بالقيود، وحطم مسكنه المخصب.

في هذا اليوم جاء المُخَلِّص للمسبية، وربط السابي بالعصمة، وردّ الذين له. في هذا اليوم جاء الطبيب للمضروبين، وضمَّد وشفى... في هذا اليوم نزل الملح من العلو، ليصلح طعم جميع المذاقات. في هذا اليوم تشددت النفس المرخية، ونست خداعات الشهوات التي التصقت بها...

في هذا اليوم خرج الأمر من بيت الملك، أن في إشراق يوم وحيده يُغنِّي الكل[١].

القديس مار يعقوب السروجي

ثمر الحياة

في وسط البرد القارص لا يجد الإنسان عنقودًا على فروع الكرمة، لذلك تقدم كلمة الله المتجسد كعنقودٍ إلهيٍ يتسلمه المؤمن ويبتهج به.

❖ في هذا الشهر الذي لم يكن فيه ثمار، أرسل ثمرة الحياة ليقوتنا بصحته... في هذا الشهر الفارغة فيه جميع الأغصان؛ نالت البتول عنقودًا في داخل حضنها. في هذا الشهر الذي فيه الأوراق منتثرة

[١] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

من الأشجار، تعوّضت أوراق آدم بلباس النور... في هذا الشهر الذي فيه الأرض منزوع عنها كل بهجةٍ، أُرسل الخير العظيم لجميع النفوس[١].

القديس مار يعقوب السروجي

على الأرض السلام

في هذا اليوم يحل السماوي على الأرض فتحولت إلى أرض معركة عنيفة.

١. جاء ملك الملوك واهب السلام.

٢. صدر بالمخلص مرسومًا لينعم الأموات بالمراحم الإلهية.

٣. انفتحت أبواب السماء، ونزلت الملائكة تُسبّح المخلص، فتشترك الشعوب معهم في تسابيحهم.

٤. في هذا العيد وُهب الأرضيون حق مشاركة السمائيين عبادتهم على مستوى سماوي.

٥. في هذا العيد حوَّل حياتنا إلى رحلة عظيمة مُبهجة.

❖ في هذا اليوم تجدّدت الأمور العتيقة، وفيه تعوَّضنا عن الأولويات بسيد الملوك...

في هذا اليوم كثرت الترتيبات الخاصة بالأحكام؛ وفيه أُرسل الحكم بالمراحم للأموات.

في هذا اليوم أمر الملوك بأمور جديدة؛ وخرج الأمر أن تتجدَّد الأرض ويملك السلام.

في هذا اليوم هتفت الملائكة بكناراتهم (أو بقيثاراتهم)، وفيه اعترفت الشعوب المخلصون بألسنتهم.

في هذا العيد يخدم السمائيون الابن؛ ويتمجد بالسجود من الأرضيين.

في هذا العيد رتَّلت المجد لميلادك؛ وفي يومك العظيم أنظرُ تحنن لاهوتك[٢].

القديس مار يعقوب السروجي

ما هي هدايا العيد!

ختم القديس مار يعقوب السروجي ميمره بالكشف عن هدايا العيد؛ فما هي؟

١. في هذا العيد يقدم مار بعقوب للكنيسة هذا الميمر **ليبث روح الفرح في الجميع**.

٢. تقدم الكنيسة للبشرية **شخص الابن المتجسد** الذي يجعل المؤمنين إخوة في الميراث الأبدي.

٣. يطلب القدّيس **تمجيد الثالوث القدوس**، الذي يسكب رحمته على البشرية على مستوى أبدي.

يقول **القديس مار يعقوب السروجي:** [لقد قدمتُ في هذا العيد لكنيستك أصناف أصواتي؛ في ذاك الأبدي لأكون نديمًا في بيت عُرْسِكَ. في هذا العيد لأبيك المجد، ولك العظمة، والروح القدس إكليل الاعتراف؛ وعلينا رحمتك إلى الأبد، آمين.]

---

[١] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

[٢] دير القديس مقاريوس: ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

المصادر

١. دير القديس مقاريوس: ميمر "على بدء بشارة القديس يوحنا: في البدء كان الكلمة" إعداد الأب مينا المقاري، نسخ القمص بطرس السرياني.

٢. - ميمر "على الوحيد الكلمة" إعداد الأب مينا المقاري، نسخ القمص بطرس السرياني.

٣. - ميمر "على اسم عمانوئيل" إعداد الأب مينا المقاري، نسخ القمص بطرس السرياني.

٤. - ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" إعداد الأب مينا المقاري، نسخ القمص بطرس السرياني.

٥. - ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد وإبطال ضلالة الشياطين" إعداد الأب مينا المقاري، نسخ القمص بطرس السرياني.

٦. - ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد وعلى الكوكب الذي ظهر للمجوس وعلى قتل الأطفال" إعداد الأب مينا المقاري، نسخ القمص بطرس السرياني.

٧. - ميمر "على دخول ربنا الهيكل وشهادة سمعان الشيخ" إعداد الأب مينا المقاري، نسخ القمص بطرس السرياني.

٨. - ميمر "على قول سمعان إن هذا قد وُضِعَ لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل، ولعلامة تُقاوَم" إعداد الأب مينا المقاري، نسخ القمص بطرس السرياني.

٩. الميمر ٦ على النجم الذي ظهر للمجوس وعلى قتْل الأطفال (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني).

١٠. الميمر ٩٤ على الإيمان (راجع الأب بول بيجان – ترجمة الدكتور سوني بهنام).

١١. الميمر ٢٠١ ميلاد مخلصنا في الجسد (راجع الأب بول بيجان – ترجمة الدكتور سوني بهنام).

١٢. ميامر أي مواعظ السروجي، مطبعة مصر بالفجالة، ١٦٢١ ش ١٩٠٥م ، تحت إشراف يوسف بك منقريوس، الميمران ٢٢، ٢٣.

١٣. دير السرّيان: تأمّلات في الميلاد، ١٩٥٨.

١٤. مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب سروج الملفان، دمشق، ١٩٩٣.

١٥. ٢١٨ ترجام على جمعة الآلام (نص بول بيجان، ترجمة الدكتور بهنام سوني).

١٦. القس أغسطينوس البراموسي: القديس يعقوب السروجي، ١٩٨٨

من ميامر على عيد الميلاد المجيد ٢

أناشيد مُفرِحة

حول عيد الميلاد المجيد (٢)

ابن الله العجيب!

ابن الله العجيب!

المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة (لو ٢: ١٤)

في وسط البهجة بعيد الميلاد المجيد، انطلق قلب القديس مار يعقوب إلى المذود في بيت لحم، وإذ به يرى ذاك الذي لا تسعانه السماء والأرض راقدًا في مذود، فتجلَّت أمامه أحداث الميلاد:

١. أمال بأذنه لينصت إلى أنشودة ملاك الرب وحوله فريق من الملائكة يغنون بتسبحة وهم متهللون. تُرَى لمن هذا الاحتفال القادم من السماء، هل هو للسماء في الأعالي، أم للأرض أي للبشر؟ لقد **أعطى المجد للسماء، والسلام للأرض، والمسرة أو الرجاء للبشر**. إنها تسبحة تُعلن سعادة السمائيين مع الخليقة الأرضية، خاصة بني البشر.

٢. رأى ذاك السماوي قد نزل، وصار عضوًا في أسرة بشرية، بل عضوًا في العائلة البشرية كلها. وها هو **يفتح لنا باب البنوة لله، فنصير نحن أعضاء في الأسرة الإلهية**.

٣. عاد بذاكرته إلى آدم الأول وقد ارتدى ثوبًا من أوراق التين، وها هو آدم الثاني **يرتدي قماطات الأطفال**، لنعود ونرتدي نحن برَّ المسيح!

٤. بالسقوط عاد الإنسان إلى التراب، فصار مأكلاً للحية (تك ٣: ١٤) وجاء الديان المُخلِّص يلغي الحُكْم، ويُمزِّق الصك، ويفتح الفردوس.

٥. أدرك أن باب الفردوس انفتح ليدخل الإنسان، فيجد الحية المخادعة لحواء صامتة، والكاروب حارس جنة عدن يلقي حربته، إذ لا عمل لها وآدم ألقى ثوب ورق التين ليلبس ثوب النور الإلهي.

٦. انزعج القديس من تخطيطات الكتبة ومجادلاتهم ضد المولود، لكن سرعان ما رأى إشعياء النبي يعزف بقيثارته للمولود البتول (إش ٧: ١٤).

٧. سأل نفسه: تُرَى أنا في مذود حيوانات، أم في خدر العريس السماوي، القادم ليخطب البشرية.

٨. عاد إلى الماضي، فرأى يعقوب نائمًا في الطريق لا يخشى الوحوش ونظر سلمًا نازلاً من السماء والملائكة صاعدين ونازلين. الآن يرى الرب في المذود، لينطلق المؤمنين إلى العرش.

٩. صرخ بكل قلبه: اليوم لا يُسبِّح السمائيون وحدهم، بل يشاركهم البشر، فصار لتسبيح الملائكة طعمًا جديدًا مُفرِحًا للسمائيين والبشر!

١٠. دعا العذارى ليفرحن مع العذراء مريم، ودعا الأمهات ليفرحن إذ صارت القديسة مريم أمًا!

لأتعجب بك ولا أجادل في ميلادك

بالإيمان المملوء حبًا، يلتقي الإنسان مع طفل المذود، ويتلامس مع حبه الإلهي، ويختبر عذوبة خلاصه والشركة معه. غير أن الإيمان لا يحطم دور العقل ولا يتجاهله، لذا إذ تساءلت القديسة مريم: كيف يكون لي هذا وأنا لست أعرف رجلاً؟ شرح لها رئيس الملائكة سرّ التجسد، ودور الثالوث القدوس،

وبإيمان قالت: "ليكن لي كقولك." كما أن الإيمان لا يصاحب الجدال الجاف، الذي يُخضع الإلهيات والسماويات للفكر البشري، فيقف الإنسان في تشامخٍ، متجاهلاً النعمة الإلهية والإعلان السماوي في الكتاب المقدس. يقدّس الإيمان العقل ويسمو به ويرفض التشامخ العقلاني الجاف.

في حياتنا اليومية وخبرتنا الزمنية، يقف العلم عن تفسير حتى ما يمس جسدنا وفكرنا وأحاسيسنا، فكم بالأكثر يليق بنا أن نخضع لإعلانات الله في تسليم ومحبة، لنختبر عذوبة الأسرار الإلهية!

❖ ربنا، ساعدني لأتعجب بك، وأسجد لك، ولا أعقب على ميلادك وأنا أجادل.
تهتُ في طلبك ولم أجدك بين التحديدات، فالتجأت إلى الإيمان ووجدتك.
خرجتُ لأفتش عنك مع الحكماء وتعثرتُ؛ عدتُ ومشيت مع البسطاء بلا عثرات.
تعلمتُ الإيمان من صيادي السمك، فلا تلزم حكمة العالم في الإيمان.
هوى كثيرون من حكمة العالم هذه، وبجدالهم على ابن الله سقطوا من سموه...
الكلمة هو الخالق مع أبيه وكل الخليقة مملوءة منه ولا يُحد.
إن كان إلهًا، فكيف احتواه البطن، وصار جنينًا، وحملته الركبتان، ورضع اللبن؟[1]

القديس مار يعقوب السروجي

كيف يمكن لله غير المحدود أن يحل في بطنٍ صغيرةٍ؟

يتجاسر البعض، فيدخلون في جدال جاف عوض الإيمان والحب لله. في جدالهم يعترضون: كيف يمكن للإله غير المحدود أن يُحبل به ويحل في بطن البتول الصغير. يجيب القدِّيس هكذا:

١. الله لا يحدّه المكان حتى السماء والأرض لا تسعانه؛ ولا يضايقه المكان الصغير.

٢. إننا نقبل حلول الله في العليقة الملتهبة نارًا حين ظهر لموسى النبي (خر ٣: ٤). لم يستخف الرب بالعُليقة، وهي نبات ضعيف. السماء مع اتساعها لا تحده والعليقة مع ضيقها لا تضايقه.

٣. كيف دخل الرب خيمة إبراهيم حين ظهر له ومعه ملاكان (تك ١٨: ٢)؟

٤. نحن نؤمن أن الرب يحل في الهيكل المقدس، فلماذا نستصعب حلوله في البتول القديسة؟

❖ البطن صغير، والله أعظم من المخلوقات، ألم تعرف بأنه يسهل عليه أن يحل في الصغير؟
إذًا لم يحل في العليقة على جبل سيناء، ولم يدخل إلى الخيمة عند إبراهيم كما هو مكتوب،
ولم يحل في الهيكل المقدس كما تقول، وحيث لا يوجد موضع كبير لا يحل فيه،
بجسارتك فتش له عن محل كبير وادعه ليدخل ويحل هناك كما لو كان في ما هو محدودٍ...

[1] ميمر ٩٤ على الإيمان (راجع الأب بول بيجان – ترجمة الدكتور سوني بهنام).

العليقة صغيرة، والسماء كبيرة وواسعة، والسماء والعليقة متساويتان بالنسبة له ليحل فيهما[1].
القديس مار يعقوب السروجي

ابن الله العجيب

من ضمن الأسماء التي قدمها إشعياء النبي عن ابن البتول، أنه يُدعى عجيبًا، للأسباب التالية:

١. من أجل محبة أبيه للبشرية أحنى هذا العجيب نفسه، وصار ابنًا للفتاة البتول.

٢. ظن البعض أنهم قادرون على التعرف على حقيقته دون حاجة لنعمة الله.

٣. من يريد أن يحدّه يسلبه لقبه "العجيب".

٤. مولود البتول عجيب، إذ حلّ في بطنها، وحملته يداها، وزفّته ركبتاها، واحتضنه صدرها، وناغاه فمها، واحتواه كتفها، وأمسكته كطفلٍ وهو رب الجميع، إنه بالحق عجيب.

❖ أحنى ابن الله نفسه بمحبة أبيه، وأتى ليصير ابنًا للشابة لأجل هدف...
بما أن مريم ولدت الله في بتوليتها، فقد صار عجيبًا، ومن يتشكك من العجب؟
للمسيح اسم "عجيب" في النبوة (إش ٩: ٦)، وإذا وُجد أحد يحده فلا يكون عجيبًا.
لا يخطف أحد منه اسمه، ويبدله ليصير محدودًا بدل كونه "عجيبًا" كما في الكتب.
يا ابن الله أتيت من العلو وأنت عجيب، وحللت في البتول، ولهذا فإن اسمك عجيب.
حملك البطن، وكفاك المذود، وحملتك اليدان، وزفتك الركبتان، واحتضنك الصدر، وناغاك الفم.
واحتواك الكنف، وكنت تمسك الثدي مثل طفلٍ، وفي هذه الأمور كلها التي صارت: أنت عجيب[2].
القديس مار يعقوب السروجي

ولدته والباب مغلق

تحققت ولادة البتول لأن الله يجتاز في الطبائع الصمّاء، فيعبر دون حاجة إلى فتح الباب أو الشبّاك. فالمواد الصمّاء ليست عائقًا لتحركات الله. هذا أمر نقبله بالإيمان، لكن من يقدر أن يفسره؟

لم يسلك أحد من قبل في الطريق الذي سار فيه كلمة الله، أي التجسد الإلهي، ولا يسلك فيه أحد من بعد، لهذا عندما أتى إلى العالم بتجسده لم يتمكن الحكماء من فحصه. ومن أراد أن يفحصه ويجادل فيه، يستحيل عليه أن يسلك فيه، ولا يقدر المعلّمون أن يتعقّبوه ليفحصوه. إذ ولدت البتول التف حولها الحكماء والمجادلين والفاحصين والمقاومين، والكل يريدون أن يدرسوا الأمر بجسارة. هذا الأمر أعظم من أن يكون له تفسير سوى بالإيمان. في نفس الوقت ليس من يقدر أن ينكر بتوليتها ولا ولادتها للابن المتجسد، فهي متهللة بالحدث، والإيمان وحده يفسره.

---

[1] ميمر ٩٤ على الإيمان (راجع الأب بول بيجان – ترجمة الدكتور سوني بهنام).

[2] ميمر ٩٤ على الإيمان (راجع الأب بول بيجان – ترجمة الدكتور سوني بهنام).

❖ عندما أتى إلى العالم، دخل من باب غير مفتوح، ولهذا لا يعرف المعلمون أن يتعقبوه.
ولكونه إلهًا لم يفتح الباب عندما خرج إلى طريق الولادة ليأتي إلى العالم جسديًا...
البتول ولدت، وماذا يقول المتكلم، إن طالبوه أن يُفسِّر الموضوع الذي لا يُفسَّر.
يعترف بأنها ولدت، ولا يدرك أحد كيف ولدته؟ ومكثت بتولاً حين ولدته، لأن ابنها إله.
يجتاز الله حتى في الطبائع الصماء، وعندما يمشي لا يخرج ولا يفتح الباب...
مريم ولدت ببتوليتها، فبرز جموع المعقبين والمجادلين والفاحصين...
إن دخل الإيمان ووقف ليتكلم، فخبره جميل ومملوء عجبًا، لأنه لا يُفسَّر.
عندما يحرك الله عملاً ليصير حقيقة، فليسكت المتكلم، ويلبس الاندهاش.
وقفت البتول بين الجموع لتظهر نفسها للجماعات وصوتها عال، ووجها مبتهج.
تقوم في درجة البتولات بدون زواج، وتحمل ابنًا مثل الأمهات بدون نقاش.
اللبن في ثدييها، والبتولية على أعضائها، وموضوعها جميل والإيمان يصفه[1].

القديس مار يعقوب السروجي

ما بين البتول والعليقة

يرى القديس مار يعقوب السروجي أن صعوبة قبول تجسد الكلمة الإلهي من البتول يرجع إلى عدم إدراك مدى اعتزاز الله بالإنسان، الذي خلقه على صورته ومثاله، وأيضًا الإستخفاف بجنس المرأة.

يتعجب القديس أن الله حلّ في العليقة حين ظهر لموسى، حلّ وسط الأشواك ولم يستقبح أحد ذلك؛ بينما إذ حلّ في أحشاء البتول ابنة داود، ابنة إبراهيم تضطرب أفكارهم. أيهما أكثر لياقة أن يحل الله وسط الأشواك، أم يحل على البتول التي خلقها الله على صورة الله ومثاله؟!

يرى القدِّيس أن التجسد الإلهي كان في فكر الخالق حين خلق الإنسان، إذ خلقه على صورة الله ومثاله (تك ٢: ٢٦)، خلقهما ذكرًا وأنثى. خلق آدم وأعطاه صورته، وخلق حواء أيضًا على صورته، لأنه يحل في البتول المملوءة أقداسًا وجمالاً في ملء الزمان. جاء إلى خاصته، وحلّ في صورته في بنت آدم الحاملة صورة الله.

❖ قارن الآن البتول بالعليقة إن كنت تعرف، وأشهد أي محل كان جميلاً ليحل فيه؟
ابنة داود، ابنة إبراهيم ضلع آدم، البتول التي هي ابنة الجبابرة المشهورين.
استحقت الطبيعة الطاهرة أن تصير صورة الله، ولهذا نزل وحلّ ابن الله فيها.
حل بين أشواك العليقة ولم يُعير، ولكون البتول حملته فيقولون: إنه ليس إلهًا!
من هو جميل أشواك العليقة، أم ابنة داود؟ وأي موضع كان لائقًا ليحل الله فيه؟...

[1] ميمر ٩٤ على الإيمان (راجع الأب بول بيجان – ترجمة الدكتور سوني بهنام).

الموضوع سهل لمن يسمع بوضوح: مريم البتول هي بهية وطاهرة ومملوءة جمالاً.
لا يستنكف ذاك الذي حلّ فيها وجعلها أمه، لأن صورة الناس ليست غريبة عن الله...
الكلمة الذي هو الوحيد ابن الله حلّ في البتول المملوءة أقداسًا ولم يستحِ[1].

القديس مار يعقوب السروجي

مريم، الرسالة المختومة المملوءة أسرارًا!

يقارن القدّيس بين حواء الأولى وحواء الثانية. الأولى استقبلت كلمة الحيّة المخادعة، فسقطت في العبودية. لذلك نزل ابن الملك، كلمة الله، وحلّ في أحشاء الثانية ليرد المسبيّة إلى الحرية.

❖ الآن هلم وانظر إلى الطريق التي نزل إليها ابن الله عند الأرضيين، وفكر كم هي جميلة!
السبي الذي سباه قتّال الناس من الفردوس، نزل ابن الملك ليعيده من العبودية إلى موضعه.
خرج بجبروتٍ وراء عقب السارق، وقادته الطريق إلى إذن حواء البتول.
ولكونه الكلمة فقد استقبله باب الأذن، وصار محبولاً به ليأتي إلى الولادة جسديًا.
صارت مريم كالرسالة المملوءة أسرارًا وكانت مختومة بقداسة بالبتولية...
أخذ من بطن الطوباوية شبه العبد، وتفقد العبيدَ بشكل العبيد وحررهم.
حل في ابنة الناس ومن هناك صار ابن الإنسان، دون أن يفقد كونه إلهًا مع أبيه.
ولأنه أتى في طريق الولادة، ضل الجسورون، وأخذوا منه اسم الله الذي هو ملكه[2].

القديس مار يعقوب السروجي

ميلادان للابن وميلادان لنا

المولود أزليًا من الآب، قَبِلَ بالتجسد أن يولد زمنيًا حسب الجسد، حتى يصير لنا نحن الترابيون ميلادان: أحدهما أرضي، والآخر سماوي. يقول **القديس أغسطينوس:** [صار الرب السماوي أرضيًا لكي يجعل الأرضيين سمائيين. غير القابل للموت صار قابلاً للموت، بالتحافه شكل العبد، وليس بتغير طبيعة الرب، وجعل المائتين خالدين، بمنحهم نعمة الرب، وليس بالدفاع عن معصية العبد[3].] كما يقول: [لنا ميلادان: أحدهما أرضي، والآخر سماوي. الأول من الجسد، والثاني من الروح. الأول صادر عن مبدأ قابل للفناء، والثاني عن مبدأ أبدي. الأول من رجل وامرأة، والثاني من الله والكنيسة. الأول يجعلنا أبناء الجسد، والثاني أبناء الروح. الأول يصيرنا أبناء الموت، والثاني أبناء القيامة. الأول أبناء الدهر، والثاني أبناء الله. الأول يجعلنا أبناء اللعنة والغضب، والثاني أبناء البركة والمحبة. الأول يقيدنا بأغلال

[1] ميمر ٩٤ على الإيمان (راجع الأب بول بيجان – ترجمة الدكتور سوني بهنام).
[2] ميمر ٩٤ على الإيمان (راجع الأب بول بيجان – ترجمة الدكتور سوني بهنام).
[3] Letter to Consentius, 205.

الخطيئة الأصلية، والثاني يحلّنا من رباطات كل خطيئة[1].]

❖ صار من امرأة لنصير نحن من الروح القدس، للابن مولدان، ولنا (مولدان) اثنان أيضًا.
هو مولود من الآب، ويسمو على التفسير، ومن مريم أيضًا: ميلاد جديد مليء عجبًا.
وإذ هو إله ولدته جسديًا في جسم الإنسان، ليصير إنسانًا بدون تغيير.
خرج من البطن بجسدٍ طاهرٍ، ونفسٍ ناطقةٍ وعقلٍ كاملٍ ليجدد الكل بميلاده.
لبس أعضاء وصار منا، ليُلبسنا أيضًا الروح والقوة لنصير منه. بميلاده الثاني فهمنا ماذا نعمل: يلزمنا ميلاد آخر لنتجدد به، صارت المعمودية بطنًا ثانيًا ووُلدنا... يدخل شيخ عتيق الأيام إلى حضن المياه، فيصير جنينا بميلاد المعمودية الجديد. عندما كان ميلاد الناس من آدم حقيقيًا، صرنا أبناء بالروح والمياه من الله. منذ (عهد) ربنا، حواء التي ولدت ليست أمنا، الروح حبل بنا ووُلدنا لنصير أولاده. بطن حواء ولد اللحم من الزواج، والمعمودية ولدت الروح والحياة بدون تغيير. ربنا نفسه أظهر قدوة ليُفهمنا بأنه جاء إلى الميلاد، بينما هو قديم بولادته...
قديم الأيام صار ولدًا بميلاده الجديد حتى يتعلم الشيوخ الطريق ويأتوا إلى الولادة. كيف يقدر الرجل العجوز أن يعود إلى بطن أمه ويولد أيضًا بعد (فوات) وقته؟ فسر ربنا لمن كان قد سأله حتى يتعلم منه بأن هذا (الأمر) يتم من المياه والروح (يو ٣: ٥)...
المعمودية هي لنا مريم الثانية، وهي أمنا في الميلاد الكامل الحقيقي...
توجد لنا ولربنا ولادتان جديدتان، لربنا مريم، ولنا المعمودية. ذاك الذي هو روحي جعل الجسدانية أمه، ولنا نحن الجسدانيين وضع أمًا روحية لتلدنا. هو أخذ الجسد، ونحن الروح[2].

القديس مار يعقوب السروجي

الابن الكلمة لا يحده موضع صغير مثل الإنسان

الله كما نعلم السماء والأرض مع اتساعهما لا يسعانه، وفي نفس الوقت يوجد الله في كل مكان مهما بدا صغيرًا، ومهما ظهر ضيقًا. أما الإنسان فيبدو كمن هو لا شيء بالنسبة لاتساع السماء أو الأرض، وإن وُجد مكان أصغر منه في الحجم لا يقدر أن يسكن فيه بكامله ولو إلى لحظات.

❖ (يقولون) لأن بطن مريم صغير لم يحتوِه. أيها الأشقياء إنه ليس صغيرًا بالنسبة له، لأنه هو الله.
الموضع الصغير يضغط عليك، لأنك تحتاج إلى موضع على قدر قامتك كي يحتويك...
لو وُجد موضع أصغر منك لا يحتويك، ولا تقدر أن تحدد الموضع الكبير.
موضع الله لا يُعرف بالمقياس لكي يتطلب موضعًا كافيًا لقياسه وبعدئذ يحلّ فيه.

---

[1] In Joan. hom 19.

[2] الميمر ٦ على النجم الذي ظهر للمجوس وعلى قتل الأطفال (راجع نص بول بيجان والترجمة الدكتور بهنام سوني).

لو أراد أن يحل في السماء أو في البتول فهما متساويتان له لأنه الله. ولو أراد لا تكفيه السماء كلها، ولو شاء تكفيه الشابة وهي متسعة له. لا تحبسه المواضع بموجب سموه، لقد حبسه حضن المقفرة بإرادته. لا يُهان ولا يُعير ولا يُلام ولا يُستقبح لأنه تعاطى (هذا الأمر) لأجل الخلاص[1].

القديس مار يعقوب السروجي

ثلاثة منازل للابن: مريم والعماد والهاوية

❖ مشى في عالمنا معنا، ومثلنا، ولأجلنا. وحلّ في ثلاثة منازل: في بطن البتول، وفي نهر الأردن، وفي مدينة الموت، لأنه كان متجهًا ليلج إلى هذا المنزل الثالث حيث كان آدم سجينًا.

صورة (آدم) الجميلة فسدت في الهلاك. لا يقدر أن يدخل ذلك الموضع من لم يمت. وليس من السهل أن يموت من هو بلا جسد، لهذا حلّ أولاً في البتول، وتجسد منها، ليسهل عليه أن يموت بحكمة، وحياة طبيعته محفوظة فيه. وليكن واضحًا ومعروفًا بالحقيقة، أنه وإن كان ميتًا فهو حي... لو لم يمت لما دخل إلى موضع الموت، ولو لم يكن حيًا لما حلّ آدم المربوط[2].

❖ أتى إلى العالم في الطريق التي دخل فيه جنس الناس إلى العالم، وأراد أن يحّل في كل المنازل الموجودة فيه.

حلّ في **البطن** الذي كان المنزل الأول، وخرج في الجسد بطريق الولادة ليفتقد العالم.

وفي وسط الطريق صادفته **المعمودية**، وبها اعتمد حتى يقدسها هي أيضًا عندما حلّ فيها.

نهاية الطريق هي **موضع الموتى**، وفي ذلك الموضع كان آدم مربوطًا فأتى ليحله.

دخل الجبار إلى موضع الموتى إلهيًا، وقدر أن يدخل لأنه أتى جسديًا.

أتى في الجسد، ولهذا قبله القبر، واستأصل الهاوية، لأنه نزل فيها إلهيًا.

المعمودية ومريم والهاوية أصبحت له في الطريق كمنازل، وشاء أن يحلّ في الثلاثة.

حلّ الكلمة في مريم، لأنه أراد أن يصير جسدًا، فتجسد من جسد الطوباوية.

أتى إلى العماد ونزل ووضع في المعمودية حلة المجد التي فقدها آدم لتصير له (مجدًا).

دخل إلى الهاوية ليحل المربوطين الموجودين هناك، وأتم كل طريقه في المنازل الثلاثة.

حلّ في البتول، واتى إلى الولادة وهو الله، وقبلته المعمودية أيضًا وكان إلهًا.

ونزل إلى الهاوية وشعر العالم بأنه إله، لأنه لم يعرفه إلى أن بلغ إلى أبواب الهاوية.

في الولادة لُفّ بالاقماط مثل الجنين، وأتى إلى العماد عند يوحنا مثل الإنسان.

وعندما وصل ليدخل إلى الهاوية خافت الأرض ونهض الموتى وعرفت العوالم أنه الله[3].

القديس مار يعقوب السروجي

---

[1] ميمر ٩٤ على الإيمان (راجع الأب بول بيجان – ترجمة الدكتور سوني بهنام).

[2] الرسالة السادسة والثلاثون (الدكتور بهنام سوني).

[3] ميمر ٩٤ على الإيمان (راجع الأب بول بيجان – ترجمة الدكتور بهنام سوني).

من ميامر على عيد الميلاد المجيد ٣

أناشيد مُفرِحة

حول عيد الميلاد المجيد (٣)

تجسد الكلمة

للقدِّيس مار يعقوب السروجي

تجسد الكلمة

يؤكد الله الآب حبه لي بإرساله الابن فدية عنّي. أراد الآب للابن أن يُصلب، و هو الذي أقامه من الأموات. ليس لأن الابن لا يريد التجسُّد أو الصلب أو عاجز عن أن يقوم بمشيئته وسلطانه، إنَّما يريد **تأكيد دور الآب وعمله في الفداء**، حتى لا نسقط فيما سقط فيه الغنوصيون. فنظن في الآب القسوة، وفي الابن الحب! "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣: ١٦). "وبهذا أُظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به... إنه هو أحبنا، وأرسل ابنه كفارة لخطايانا" (١ يو ٤: ٩-١٠). بهذه المحبة أحيانا مع المسيح (أف ٢: ٥).

❖ اختار الملك أن يرسل ابنه ليعمِّر الأرض التي سباها الشرير، ويسترد النهب من السابي (الشيطان).
القدِّيس مار يعقوب السروجي

العليقة المتقدة والإعلان عن التجسد الإلهي

❖ شعر موسى وعَلِمَ بالنبوة أن وحيد الآب سيُرسَل من أجل خلاص الخليقة، ولأجل هذا طلب من الآب الممجد قائلاً: "استمع أيها الرب، أرسل بيد من ترسل" (خر ٤: ١٣). غضب الرب على موسى، لأنه أراد أن يعلن عن السرّ في غير وقته. لما ظهر الصليب استضاءت به كل الخليقة، ماعدا اليهود الصالبين مُبغضي النور ومُحبِّي الظلمة، فلم يريدوا أن يستنيروا به. لهذا فهم مرذولون إذ يقولون: "نحن تلاميذ موسى." لو كانوا تلاميذ موسى لما صلبوا رب موسى."[١]
القديس مار يعقوب السروجي

المسيح العجيب!

جاء ابن الله متأنسًا ليحمل نير الصليب باسمنا، فيهبنا كل إمكانيات الخلاص. إذ يقول النبي: "لأنه يولد لنا ولد ونُعطى ابنًا، وتكون الرئاسة على كتفه ويُدعى اسمه **عجيبًا** مشيرًا إلهًا قديرًا أبًا أبديًا لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبرّ من الآن وإلى الأبد، غيرة رب الجنود تصنع هذا" (إش ٩: ٦-٧).

❖ دعته النبوة "**العجيب**" (إش ٩: ٦). العجيب، لأنه لا يُفسر.
العجيب، لأن البتول ولدته بدون زواج.
العجيب، لأنه حلّ في حضن الأم البتول، ولم ينتقل من حضن الآب القدوس.
العجيب، لأنه نزل إلى العمق، وقد مكث في العلو.

[١] الرسالة السابعة.

العجيب، لأنه نزل وصعد، وبنزوله هو سامٍ، وبصعوده هو متواضع. الآن الذي نزل هو نفسه الذي صعد. عندما نزل لم يترك السماء، وعندما صعد لم يترك العالم. "أنا معكم إلى انقضاء الدهر" (مت ٢٨: ٢٠؛ يو ٣: ١٢)[١].

القديس مار يعقوب السروجي

الكلمة حلّ في مريم تسعة أشهر لتدبير موته وقيامته

❖ نزل وحلّ في الرحم الطاهر المملوء نعمةً، هذه العذراء التي نروي قصتها.

حلّ بداخلها وسكن تسعة أشهر بدون اضطراب، وهكذا جاء الميعاد للولادة.

أراد وُلد، وفي الأردن اعتمد (مت ٣: ١٣-١٧)، صنع معجزات وشفى مرضى وطهّر البرص. احتمل تجارب (مت ٤: ١-١٥) وقهر الشيطان وغلبه. سبحه الأطفال واستقبلوه بأغصان النخيل. اختار لنفسه رفقاءه الاثني عشر (لو ٦: ١٢-١٦) المملوئين نورًا، وظهر منهم يهوذا ذو الروح الماكرة التي لإبليس الشرير.

خان سيده وحطم نفسه، وأصبح مخزيًا، وسقط من مكانته الرسولية بإرادته.

ثم اقترب ربنا من الموت كما قلنا، مات وخلصنا، وقام من الأموات، وأصعدنا معه إلى العلا[٢].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

تجسد في رحم البتول

❖ لما جاء دخل إلى العالم من باب غير مفتوحٍ، لهذا لم يفتح الباب عندما دخل إلى عالمنا (حز ٤٤: ٢)، لئلا يعثر الحكماء على خطواته.

وإن نظرت إلى بداية دربه، لن تجد له أثرًا، ولا تعرف هناك الخطوات، لأنه يسير لا ليُفحص، ولم يبدأ في درب تدبيره لكي يُدرك.

البتول قد ولدت. ماذا تقول؟ إنه لا يُوصف حسب الطبيعة. لا تتجاسر وتفسر. لقد غُلبت الطبيعة. بحسب الطبيعة، البتول ليس لها ولد. تعجب إذن بالتدبير، ولا تصارع مع الطبيعة.

عندما تلد البتول، فالمولود منها إله. ذاك الذي يستطيع أن يعبر في الطبائع الجامدة دون أن تُفتح، ولا يحتاج أن يُفتح له الباب عندما يدخل، أو يترك أثرًا عندما يخرج.

❖ لقد دعته النبوة أعجوبة (إش ٩: ٦)، لأن درب تدبيره في الجسد مملوء عجبًا. إن حددتَّ المسيح، كما تظن وأنت الضعيف والخائف، يجب أن تُسمى أنت أعجوبة... فتكون قد نسبت اسمه إليك.

الآن يلزم أن يُعجب بك، لأنك جعلت من لا يُحد محدودًا (في فكرك)، وفحصت من لا يُفحص،

---

[١] الرسالة الثالثة (الدكتور بهنام سوني).

[٢] ميامر عن والدة الإله للقديس مار يعقوب السروجي، تعريب، ناهد فؤاد.

وتعقبت من لا يُبحث عنه...
ها أنت تصف بكلامك، مفسرًا ذاك الذي خاف النبي من أمره، وقال متحيرًا: "من يصف جيله؟" (إش ٥٣: ٨)[١].

❖ حافظَ على بتولية أمه حين خرج منها، وحطم أبواب الجحيم لما دخل منها، لكي تمكث مريم في بتوليتها... كان يليق به أن يحفظ بتولية البتول لمّا حلّ فيها، وكان يجدر به لما دخل الجحيم أن يجعله قفرًا من (الأمور) الجديدة التي فعلها[٢].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

موقف القدّيس يوسف من الحَبَل العجيب

يُعلّق **القدّيس يعقوب السروجي** على هذا التصرّف النبيل من جانب القدّيس يوسف، قائلاً:

❖ نظر الشـــيخ إلى بطنها، تلك المخطوبة له، وتعجّب الصِـــدّيق! رأى صـــبيّة خجولة عاقلة، فبقى داهشًـا في عقله! شـكلها متواضـع، وبطنها مملوءة، فتحيّر ماذا يصـنع؟! منظرها طاهر، ورؤيتها هادئة، والذي في بطنها يتحرّك! طاهرة بجســـدها، وحبَلها ظاهر، فتعجّب من عفّتها والمجد الذي لها، وبســـبب حبَلها كان غاضـــبًا... كان البار حزين القلب على حبَل العذراء النقيّة، وأراد أن يسألها فاستحى... وفكّر أن يطلّقها سرًا[٣].

القديس مار يعقوب السروجي

طفل المذود

❖ الجالس على المركبة السمائية، حملته البتول في حضنها!
تعطيه الصبية اللبن كطفلٍ، وهو يعطي المطر لزروع الأرض!
الطفل الماسك الثدي ويرضع منه اللبن، منه تطلب الطبائع ليعطيها قوتَها!...
هذا هو المولود الذي صوَّر أمه في بطن أمها، بالأمس صنعها، وأتى اليوم فوُلد منها!
صنع له لبنًا ووضعه في ثديي الجسم الطاهر، ورجع فرضع من ذاك الذي صنعه!

❖ لم يستطع إنسان أن يتكلم عن أزليتك، فلأتكلم عن مجيئك يا معلمي بالدهش.
لو لم تتنازل إلى عالمنا، ما كنا نتكلم عنك، فمن يستطيع أن ينطق بمكانك، لأنك مخفي عن الكل!... لم أتفرس في العلو، المكان الذي ترتعش فيه النار منك، بل نظرت في العمق، ههنا في بلدنا أخبر عنك. **جذبك الحب لتأتي إلى بلدنا من أجلنا...**

---

[١] الرسالة الثانية.

[٢] الرسالة الحادية والعشرون.

[٣] دير السرّيان: مخطوط ٢٠٨، تأمّلات في الميلاد، يناير ١٩٥٨م، ص١١.

حبك خلطك معنا بالجنس، لنرتل لك. صرت معنا وممنَّا، إذ أنت ربنا.
هوذا عمانوئيل معنا بجوارنا، ومن أجل هذا تكلمت الألسن غير المتأهلة لك.

القدِّيس مار يعقوب السروجي

من يستحق الحديث عنك يا ابن العلي؟

❖ أيها البار الذي يفتح بابه للأشرار والخطاة، امنحني أن أدخل وأرى جمالك في انبهار.
يا كنز البركات، الذي منه يرتوي حتى الظالمون، هل تسمح لي أن اقتات بك؟ لأنك أنت الحياة لمن يلجأ إليك. أنت هو الكأس الذي يروي النفس الجافة، فتنسى آلامها، هل تمنحني أن أشرب منك، وأكون حكيمًا بك، وأروي قصتك؟
أنت يا من عظَّمت جنس البشر الغير مستحق. إن كلماتي تمدح معاني جميلة بمزاميرك الرائعة.
يا ابن العظمة، الذي صار طفلاً صغيرًا، امنح ضعفي لأتكلم عن عظمتك. يا ابن العلي، الذي أراد أن يكون مع المخلوقات الأرضية، امنحني أن ترتفع كلماتي إلى العلا لأتحدث عنك.
أنت يا إلهي الكلمة الناطقة، المملوءة بالحياة؛ والميمر العظيم الذي يعطي الغنى لمن يسمعه[1].

في حضن الآب وحضن البتول

❖ موضع الكلمة هو حضن الآب، وحضن الشابة (إش ٧: ١٤). بطن البتول مليء به، ولم يفرغ منه حضن أبيه. كامل هو في كلا الموضعين! في الآب، ليس له بداية؛ وفى الأم جعل له بداية منذ بشارة الملاك. إنه موجود في بطن البتول بأكمله دون نقصٍ، وكله موجود في حضن الآب دون تجزئة[2].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

عيد ميلاد المخلص الإلهي

يتطلع **القديس مار يعقوب السروجي** في يوم عيد ميلاد السيد المسيح، الذي جاء ليقدم نفسه ذبيحة عن العالم ويحرره من عبودية إبليس. فقد صُلب لكي ترى الأمم التي استُعبدت لإبليس زمانًا هذا مقداره، أنه قد جاء زمن تحررها بصلب المخلص الإلهي. بالصليب يعلن أنه هو المحرر القدير، والفنان القادر على إصلاح الصورة البشرية، والمهندس الذي يُصلح بناء البيت الساقط، والراعي الذي يرد الخروف الضال، والطبيب القادر أن يشفي النفوس مع الأجساد ويضمد الجراحات ويعصب المنكسرين، ويهب قوة للضعفاء. يا لعظمة مراحم كلمة الله القدير المصلوب، والعجيب في حبه!

❖ في هذا اليوم صدرت الحرية للمُستعبدة، لأنها كانت مربوطة لخدمة الوثنية.

---

[1] ميامر عن والدة الإله للقديس مار يعقوب السروجي، تعريب، ناهد فؤاد.

[2] الرسالة الرابعة.

في هذا اليوم حُلت المربوطة منذ مدة طويلة، لأن الجبار قام وكسر قيود سجنها.
في هذا اليوم اقتنت أمة الأبالسة الحرية، لأن الرب العظيم هزمهم، واسترجع خاصته.
في هذا اليوم خرجت السجينة من الظلمة، لأن النور أشرق، وكسر باب بيت الظلام.
في هذا اليوم نقى **المصوّر** صورة آدم، ولما فسدت خلط فيها الدواء الذي لا يفسد.
في هذا اليوم شيد **المهندس** البيتَ المنهار، ولئلا يسقط دخل إليه سندُ اللاهوت.
في هذا اليوم **تصالح الرب مع آدم**، لأن الابن الذي أشرق ألقى الأمان بين الجهتين.
في هذا اليوم **وجد الراعي الخروف الضال**، وحمله على كتفيه، ودخل به إلى الفردوس.
في هذا اليوم **عاد قطيع الشعوب**، لأن راعي الكل حطم الذئب الخفي.
في هذا اليوم **دخل الذين في الخارج**، وصاروا في الداخل، وخرج أهل البيت من بيت الملك غاضبين...
في هذا اليوم **قام القوي على المتمرد**، ومسكه وربطه، وخرّب داره المخصبة.
في هذا اليوم أتى **المحارب** عند السبي، وربط السالب بقوة، واسترجع خاصته.
في هذا اليوم أتى **الطبيب** عند المرضى، ليضمد ويشفي...
في هذا اليوم أتى **مُضمد جميع المنكسرين**، ليسند ويداوي ويشفي ويُشبع بعنايته.
في هذا اليوم أتى **مقوي جميع الضعفاء**، ليمسك ويقيم ويثبت ويشبع بعنايته[1].

القديس مار يعقوب السروجي

دعوته ابن الإنسان

❖ كما أن الأصنام دُعيت آلهة بالضلالة، قَبِلَ (الله الكلمة) وهو الله أن يُدعى ابن الإنسان (دا ٧: ١٣؛ مت ٩: ٦)، حتى ترى الضلالة أن الله دُعي إنسانًا، فتخجل من ذاتها، لأنها تجاسرت أن تدعو البشر آلهة بتسمية لا تخصهم[2].

القديس مار يعقوب السروجي

نزل إلينا عمانوئيل يحمل ما لنا، فنحمل ما له!

أخلى ابن الله ذاته، وقبِل طبيعتنا البشرية مولودًا حسب الجسد، لكي يفتح لنا بروحه القدوس ميلادًا روحيًا، فنتقبل غناه فينا، وصارت أغنية الكنيسة التي ترددها عبر الأجيال: "صار ابن الله ابنًا للإنسان لكي يصير بنو البشر أبناءً لله". فيقول **العلامة أوريجينوس:** [صار مثلهم ليصيروا هم مثله، مشابهين صورة مجده (رو ٨: ٢٩). في مجيئه الأول صار مشابهًا لجسد تواضعنا (في ٣: ٢١)، إذ أخلى نفسه

[1] ميمر ٢٠١ على ميلاد ربنا (راجع الأب بول بيجان – دكتور سوني بنهام).
[2] الرسالة التاسعة عشر.

وأخذ شكل العبد، حتى يدخل البشر إلى شكل الله، يجعلهم على شبهه[1].] ويقول **القديس إيرينيؤس:** [صار الله إنسانًا لكي يصير الإنسان إلهًا[2]]، **والقديس إكليمنضس الإسكندري:** [صار كلمة الله (اللوغوس) إنسانًا حتى تتعلم كيف يصير الإنسان إلهًا[3].]

❖ صار فقيرًا لأجلنا، وجعلنا أغنياء بمراحمه. **صار ابن الإنسان، وجعلنا أولاد الله. أصعدنا من انحطاط العبيد، وأقامنا في درجة الأبناء الأعزاء** (٢ كو ٨: ٩؛ يو ١٥: ١٥).

صار ميتًا بإرادته، وسلمنا للحياة التي لا تموت، لئلا يتسلط الموت بعد علينا. أضاء المسكونة التي كانت مظلمة، وعهَّد طريق الحياة للبشر، ليذهبوا عند أبيه المجيد[4].

القديس مار يعقوب السروجي

المسيح واهب الاستنارة

أشرق شمس البرّ، مخلص للعالم، لينير البشر.

❖ يا نور المسيح، الذي ينير العيون المظلمة، دعْ نورك يضيء على ضعفي، حتى استنير بك.

القديس مار يعقوب السروجي

❖ كما لا تُمسك الشمس القريبة منا كذلك لا يُحد الابن القريب منا! من يتجاسر أن يربط أشعة الشمس؟ أو من يقدر أن يصطاد الشمس لو أراد؟ إن أمسكت شعاعًا صغيرًا من النيّر، فقد قبضتَ على كل الشمس كما تقول. من هو هذا الذي جنّ هكذا، وتجاسر ليمسك بأصابعه النور جسميًا؟ نزل عندك شعاع من كرة الشمس، أستتر به واهدأ، لأنه يخضع لك لتمسكه.

وإذ كان إشراق الشمس قريبًا جدًا ويمشي معك مخفيًا عنك، والشمس هي والدته.

الشمس هي في العلو، وإشراقها ينزل إلى جوارنا، ليس لتمسكه، بل لتنعم بنوره.

إن أردت أن تمسك الإشراق لأنه قريب منك، إذًا يسهل عليك أن تمسك الشمس كما تقول.

أتى ابن الله من موضع أبيه العالي ليصير عندنا ومعنا في موضعنا ولأجلنا.

إن أردت أن تفحصه لأنه اقترب وأتى عندك، تُضل نفسَك، لأن الابن خفي مثل أبيه.

إنه تواضع وأتى عندنا ليزور الأرض، هل تظن أنه يُمكن تعقبه بسهولة لأنه اقترب منك؟

إذًا ستُمسك إشراق الشمس الذي نزل لينير الأرض، لأنه اقترب من جوارنا.

---

[1] Comm.Matt. 12:29.

[2] Adv. Haer 3:10:2;19:1.

[3] Prot. 1;Strom 4:23; 7:3; 7:10; 7:13.

يؤكد القديس أثناسيوس الرسولي أن تعبير "يؤله" لن يعني شركة في جوهر الله، إنما هو عمل إلهي به يسترد المؤمن صورة الله، ويصير على مثاله، خاصة التمتع بعدم الفساد عوض الفساد وعدم الموت عوض الموت.

[4] الرسالة السابعة.

أشرق المخلص للعالم لينير البشر، وإذ كان معنا كان عند أبيه في موضعه السامي.
كان في العالم قبل أن يأتي إلى العالم في الجسد، وكان عند أبيه عندما كان في عالمنا جسديًا.
ابن العلي الذي نزل وصار من السفليين، مكث في موضعه عندما نزل إلى موضعنا.
عندما نزل لم يفرغ الموضع العالي، وعندما كان معنا لم يبتعد عن أبيه.
ولأنه شاء أن يصير معنا ولأجلنا، فقد تخطى الجسوريين ليتعقبوه بجدالهم[1].

القديس مار يعقوب السروجي

المسيح مصدر كل الخيرات

يقول المرتل متهللاً: "الرب صالح للكل، ومراحمه على كل أعماله" (مز ١٤٥: ٩). المسيح واهب الصلاح. في ميمره على زكا العشار **يقول القديس مار يعقوب السروجي: [**إن السيد المسيح وهب بالتوبة الطيور الجارحة أن تصير حمامًا. وهو الراعي الصالح الذي يصطاد الذئاب لتصير خرافًا في قطيعه.]

❖ المسيح علة كل الخيرات، منه تنبع كل المواهب للمحتاجين. هو **الغنى** الحقيقي (أف ٢: ٤)، وليس غنى خارجًا عنه. وهو **الأمان العظيم**، صالح بدم صليبه ما في السماء وما على الأرض (كو ١: ٢٠). منه **المحبة**، ومن يحب أخاه يتعلم منه كيف يحب... كل من يحب أخاه يسكن المسيح فيه، لأنه الحب الحقيقي الذي نقض سياج العداوة (أف ٢: ١٤) الذي شيدته الحية بين آدم والله[2].

القديس مار يعقوب السروجي

❖ هو **السبيل** التي يسير عليها المرء ليرى أباه، وهو **باب الحياة**، ومن يدخلون فيه ينتصرون على الموت (يو ١٤: ٦، يو ١٠: ٩).
هو **الطبيب**، ومنه تجري كل المعونات، وهو **الينبوع** الذي يتدفق حياة لمن هم حوله.
به يُطرد الأبالسة والشياطين من الإنسانية، وتُشفي أمراض وقروح المرضى.
وبه تتنقى حياة النفس ومنه تستنير، وبه تُذبح خطايا العالم التي كانت كثيرة.
هو يبرر العشارين بقوة كرازته، وبالغفران يجعل الخطاة كاملين.
هو طرد إبليس من الكنعانية التي طلبت منه، وهو يطفيء هوى نفسك إن كنت تنظر إليه.
هو الذي يحمل ثقل العالم بجبروته، وعليه تستند كل الخلائق، وبه توجد.
هو شمس البرّ والنور العظيم، وهو الطبيب والشافي لجميع المرضى (مل ٤: ٢).
هو الغنى، وابن الغني، ومثري الكل، وهو قوة كل الضعفاء، وبه يتقوون (٢ كو ٨: ٩؛ أف ٢: ٤).

---

[1] ميمر ٩٤ على الإيمان (راجع الأب بول بيجان – دكتور سوني بنهام).
[2] الرسالة الثالثة.

يضمد الأوجاع والأمراض ويطرد الأبالسة، مبارك من نزل وافتقد العالم وشفى أمراضه[1].

القديس مار يعقوب السروجي

❖ لم يستطع أحد أن يتكلم عن أزليتك، فلأتكلم عن مجيئك يا معلمي بالدهش...
الحب جذبك لتأتي إلى بلدنا من أجلنا... صرت معنا ومنا وأنت ربنا!
هوذا عمانوئيل معنا بجوارنا، ومن أجل هذا تكلمت الألسن غير المستأهلة لك[2].

القديس مار يعقوب السروجي

ليس مِنْ شبعٍ بدون المسيح!

❖ إن لم تلبس النفس هذا الواحد، كل ملابسها تعلن عن العري، وتُعتبر كل سعادتها ويلات. تتحول كل فوائدها إلى خسائرٍ، وفي كل حياتها تتولد عذابات. مصفوفة في كل دروبها عثرات. وفي أطعمتها يكمن الجوع. وفي تسبحتها يُرسم الخجل. غناها يعلن عن الفقر، ويلحق الموت بحياتها، ومن الحية تتقبل المشورة، ومن التينة تُطلب الورقة، وتتعب من لباس العار، وتقف كل يومٍ عارية. ليس لمقتنياتها وجود، وبناؤها يسقط، وغناها يزول، وسلطانها ينحل. تتحول شهوتها إلى مذلةٍ، وحلاوتها إلى مرارةٍ، وتتعب مع الأحلام. كأنها تعد نسيج العنكبوت، وتتعلق برؤى الليل... تحتضن الورد وقد ذبل، أغناها الزمن ثم عبر، خسرت ما تملكه، ولا تنال ما ليس يخصها. تركت الأبدي، ولم تبقَ بقرب الزمني[3].

❖ **نشرب منك ماء الحياة،** لأنك الينبوع. مياه العالم جعلتنا أمواتًا، فأقمتنا أنت. قيء الحية أفسد مياه العالم. يا ابن البتول كن دواءً وأصلحها. إن خشبة موسى جعلت المياه المُرة حلوة (خر ١٥: ٢٣)، ليعطِ صليبك حلاوة لكل مرارتنا[4].

❖ أيها الناظر إنك غير كفؤ، اترك كل هذا، وهلم أُنظر إلى الابن الذي منظره مملوء بكل لذة. إنه **الينبوع الذي تجري منه كل الخيرات،** فتعجب وتنعَّم به، لأنه يوزع الحياة للناظر إليه. فعندما تنظر الزهرة إلى الشمس تأخذ لونها، وتحمل منها حلة جميلة تتزين بها. أُنظر أيها العقل إلى المسيح بعجبٍ، وها أنك تغتني به، وخذ أشكاله، وها أنك قد وصفته بالمحبة[5].

القديس مار يعقوب السروجي

---

[1] ميمر ١٧ على الكنعانية (مت ١٥: ٢١-٢٨؛ مر ٧: ٢٤-٣٠) (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

[2] الحب الإلهي، ١٩٧٠، ص ٢٤٤.

[3] الرسالة الخامسة والعشرون.

[4] راجع الدكتور الأب بهنام سُوني: الإنسان في تعليم مار يعقوب السروجي الملفان، ١٩٩٥، ص ٢٧١.

[5] راجع الدكتور الأب بهنام سُوني: الإنسان في تعليم مار يعقوب السروجي الملفان، ١٩٩٥، ص ٣٠.

المسيح محررنا

جاء السيد المسيح ليحرر الإنسان من عبودية الحرف القاتل للناموس، ومن عبودية الخطية، وأيضًا من عبودية إبليس. إن كان الله قد أرسل موسي ليحرر شعبه من عبودية فرعون، إنما كان رمزًا للمحرر الحقيقي الذي يعلن: "إنكم إن ثبتم في كلامي، فبالحقيقة تكونون تلاميذي، وتعرفون الحق والحق يحرركم... إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية" (يو ٨: ٣١-٣٤). ليس من ينكر أن ما قدمه السيد المسيح من مفاهيم للحرية، دفع بطريقة أو أخرى إلى اهتمام الإنسان بحرية أخيه، لا على المستوى الديني فحسب، وإنما على المستوى الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والنفسي أيضًا. فالمؤمن يشتهي أن تتحول الأرض كلها إلى سماء، ويمارس كل إنسانٍ كمال حريته. فلا يطلب الإنسان حريته وحده، وإنما يود أن يشاركه الكل الحرية الداخلية. كما يشتهي مع سيده المسيح أن يستعبد نفسه للغير، كي يربح الأكثرين كقول الرسول بولس (١ كو ٩: ١٩).

❖ واحد هو الذي جاء من العلو، ونزل ليجس اللجج، ودخل عند الموتى بالجسد، وحلّ الأسرى من الجب الذي لا ماء فيه. غطس كالسبّاح في الجحيم، هوة الموتى، وأنقذ فيه تلك الصورة البهية التي كانت متمرغة في الحمأة. وهدم أسوار الهاوية، مدينة الجبابرة العالية، وخرَّب أبوابها الفخمة، وحطم متاريسها المتينة، وحلّ وأطلق أسرارها، وأخرج إلى النور سجناءها. وجمع المخلصين، وأخذهم وصعد بهم عند أبيه[١].

القديس مار يعقوب السروجي

نزل إلينا ليعطي نصرة للطبيعة البشرية

❖ ضل الشيطان، وصنع معك معركة مدهشة... طلب ابن الله أن يفي ديون العامة، لهذا احتمل تجربة الشيطان. لأن آدم لما جُرِّب سقط في المعركة، وتجددت المعركة ليُغلَب المضِل.

غُلب آدم وعلَّم بنيه أن يُغلبوا، وابن الله علَّمهم كيف يَغلِبون.من أجل هذا نزل غالب الكل للمعركة، ليكون مثالاً لكل من انحني مغلوبًا، وأظهر للناس كيف يَغلِبون.

من أجل هذا صنع الجهاد بجسد الناس. بجسدٍ من جنس البشر وصار إنسانًا، وصنع القتال كمثل إنسانٍ... أمسك بالصوم في بدء معركة الجهاد، لأنه نظر أن بالأكل اِنهزم آدم. نزل الجبار ولبس التواضع، وتنازل إلى أقصى تنازل.

القديس مار يعقوب السروجي

جاء ليقدم نفسه نموذجًا ومثالاً لنا

يليق بنا الإقتداء بالسيّد المسيح والحياة معه وفيه ولأجله.

---

[١] الرسالة السادسة عشر.

❖ متى رأت العين الله يُولد من امرأة؟ أو متى سمعت الأذن أن المياه تُحفظ في المنديل؟ والنار تُلف بالأقماط؟ أو على بال من يخطر أن أحد الثالوث يُعد واحدًا من البشر؟ أو يُطالب معهم بدفع الجزية (مت ١٧: ٢٧)؟[١]

القديس مار يعقوب السروجي

المسيح قيامتنا

❖ هو وحيد الآب الذي أسلمه أبوه إلى موت الصليب لأجل خلاص العالم. لم يفزع من الموت، لأنه لم يفزع من التجسد. أتى إلى التجسد ليأتي إلى موت الصليب. ومات بالحقيقة بدل البشر. وحياة طبيعته محفوظة فيه، وصار دواءً للموت، لأن الحياة هي موت الموت.

هكذا ابتلعه الموت كما يبتلع التنين كريات (طعام على شكل كور هو خليط من الشحم والقار والشعر). كانت الحية البابلية تظن وهي تتناول الطعام من يدي دانيال أنه طعام، وهكذا اشتمته وتناولته بلذة كأنه طعام شهي، ولما نزل ذلك الطعام إلى تلك المعدة المرة التي كانت تهضم كل الأطعمة بقوة وجدت عملاً جديدًا، فقد قُتل التنين الذي تناوله بحماسٍ (دا ١٤: ١-٤٢). هكذا أيضًا رأى الموت ربنا على الصليب وهو متجسد ومُمدد بالجسد بين اللصين، ولأنه تشبَّه بنا ابتلعه مثلما ابتلعنا، وحالما دخل إلى بطنه، فزعت الهاوية وارتعد الموت وتعثر وسقط، وعلا هتاف بلد الموتى بالحي الذي نزل إليه، وعاشت الحياة التي كانت مخفية في ذلك الميت، وشقت التنين الضخم الذي لم يقدر أن يمضغها مثل بقية الموتى. ولأجل هذا أخفى خميرة الحياة نفسه في جبلتنا ليُصلح به كل طعم الجبلة[٢].

القديس مار يعقوب السروجي

المسيح طبيبنا السماوي

❖ لا يوجد طبيب يقطع جسده ويضمد الجروح، إلا أنت الذي ألقيت جسدك على ضرباتنا. لا يوجد طبيب يسكب دمه على القروح إلا أنت الذي ثُقب جنبه لأجل شفائنا. يأخذ الأطباء الدم من الأجسام، أما أنت **فقد سكبت دمك ليشفينا كلنا**[٣].

القديس مار يعقوب السروجي

المسيح الفلاح الفريد

❖ يا له من فلاح حرث الأرض مرة فاستطاع أن يغير الزوان إلى الحنطة. وقد سقى الأشواك الرديئة

---

[١] الرسالة الرابعة.

[٢] الرسالة الحادية والعشرون.

[٣] راجع الدكتور الأب بهنام سُوني: الإنسان في تعليم مار يعقوب السروجي الملفان، ١٩٩٥، ص ٢٢-٢٣.

بمياه تعليمه، فأعطت الثمار الحلوة في العالم كله[1].

القديس مار يعقوب السروجي

المسيح رجاؤنا في الحياة الأبدية

❖ تحرك بالصلاة، واطلب الحنان بتواضعٍ، وخذ من واهب الحسنات... **إنه هو القابل كل الصلوات والطلبات، لا تدخل صلاة لأبيه بدونه، ولا تخرج عطية منه إلا بيديه...**

لقد **قبل صلاة حنة** في هيكل المقدس، وخرج إليها بالمراحم من بيت أبيه.

لقد **أنصت إلى صلاة يونان** في جوف الحوت، وأدخلها إلى أبيه كتقدمة.

لقد **أنصت إلى الفريسي والعشار** في هيكل المقدس، لما قاما للصلاة وسمع الطلبة...

إنه **يسمع لجميع المسكونة**، ولا ينسى أن يقدمها كما خُدمت.

القديس مار يعقوب السروجي

ابن داود الملك الأبدي

❖ أنت لا تسكن إلا في بيت نظيف ونقي، وتلحقك الإهانة إن سكنت في بيتٍ قذرٍ.

كيف يحل ملك الملوك ورب جميع الأرباب في نفس مملوءة حمأة نتنة؟

اطرد من نفسك كل شر الأهواء الشريرة، حينئذ يحل عندك الملك وجيشه العظيم[2].

القديس مار يعقوب السروجي

المعلم الصالح

❖ نزل فقيه عظيم من السماء، وصار معلمًا للعالم. استنارت المسكونة بتعليمه، لئلا يشتهي أحد بعد المقتنيات الزائلة[3].

القديس مار يعقوب السروجي

المسيح نور ونار

❖ ربنا نور لمن يحبه، لكنه نار لمن يدنو منه ليستقصيه.

القديس مار يعقوب السروجي

كيف شابهنا في كل شيءٍ، ولا يسقط في خطية؟

---

[1] راجع الدكتور الأب بهنام سُوني: الإنسان في تعليم مار يعقوب السروجي الملفان، ١٩٩٥، ص ١٩٨.

[2] راجع الميمر لأجل يوم الأربعاء من الجمعة الثانية من الصوم المقدس، قبطي.

[3] الرسالة الأولى.

يقول الرسول بولس: "لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثي لضعفاتنا، بل مُجرب في كل شيء مثلنا بلا خطية" (عب ٤ : ١٥)". نزل إلينا كلمة الله القدوس، وبتنازله صار مجربًا في كل شيءٍ، لكنه بلا خطية، حتى يسكب برَّه على كنيسته، ويتمتع به كل مؤمنٍ حقيقي، كعضوٍ في جسده. لقد تنازل ابن الله بتجسده، لكنه لم ينزل به التنازل إلى الخطيئة، لأنه القدوس.

❖ تشَّبه بنا الوحيد من مريم يوم صار شبيهًا بنا، ولم تقترب الخطية منه، لأنه الوحيد، وقد تشَّبه بنا في كل شيءٍ ماعدا الخطية (عب ٤: ١٥)، ولم يشبه ذرية آدم بالخطية[١].

القديس مار يعقوب السروجي

انحدر الجبار ليعمّر الأرض الخربة

❖ أشرق ابن الله في العالم كالنهار، وتبدد الظلام الذي اختنقت به كل الخليقة.
أظهر شمس البرّ العظيم نفسه، وطرد الظِلال الحزينة من الجهات.
أتى إلى العالم، وكان في العالم قبل أن يأتي، وجاء إلى خاصته، ولم يُقبل من قبل الأثمة.
كان مخفيًا في أبيه وهو مولود بدون بداية، وتجلى في آخر الأزمنة ولم يُقبل.
أتى المخلص ليحل المسجونين ويخرجهم، وأبناء الإثم ثبتوا له الصليب على الجلجثة.
انحدر الجبار ليعمّر الأرض الخربة، وأدخله الجهلة الذين ضلوا وسجنوه وأخرجوه وصلبوه.
تنازل ليُصلح العالمَ الذي كان قد فسد، ويفتح الباب للناس ليدخلوا عند أبيه.
أحب العالمَ لأن العالم صار به، وأتى إلى خاصته ليجدده ويبنيه، لأنه كان مهدومًا.
ذاك الذي كان قبل أن يكّون العالم والأرض، هو الذي أتى ليُتقن العالمَ في مسيرة دربه.
قتّال الناس أعمى البشرَ، ولم يعرفوه لما تنازل ليخلصهم[٢].

❖ اختار الملك أن يرسل ابنه ليعمر الأرض التي سباها الشرير، و يسترد النهب من السابي.
نزل الرب ليعيد المسبي إلى موضعه

❖ ابن العلي انحدر من أعالي أبيه الخفية، ليفتقد العالمَ كما أُرسل من قبل أبيه.
خرج إلى الخليقة جسديًا بطريق الولادة، ليشفي بتجليه أوجاع المرضى.
أحنى السماء ونزل إلى الأرض ليسير عليها، ويسبي المسبي من السابي الذي كان يعذبهم.
ذاك المارد كان قد سبى آدم من الفردوس، وأنزله إلى العالم وسحبه في موضع الأشواك.
أشفق الرحوم لأنه رأى المسبي متضايقًا، فأرسل ابنه ليربط المارد بقوة.

---

[١] راجع الدكتور الأب بهنام سُوني: الإنسان في تعليم مار يعقوب السروجي الملفان، ١٩٩٥، ص ١٧٤-١٧٥.

[٢] الميمر ٨١ ظَل ربنا على الأرض ثلاثين سنة، وبعدئذ اجترح العجائب في العالم؟ (لوقا ٣: ٢٣) (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني). الميمر ٢٦ من إجل ماذا أقام ربنا ثلاثين سنة وبعد ذلك اعتمد وفعل القوات، قبطي.

ويعيد المسبي الذي خرج من الفردوس إلى موضعه، ويتعزى به الطريدان اللذان آتيا من العثرات.
جاء ربنا ليعيد المسبي، كما أُرسل ومهّد دربه ليمشي في أسواق العالم[1].

القديس مار يعقوب السروجي

خضوعه للنظام الطبيعي

❖ من أجل أن الكلمة نزل وأتى ليكون جسدًا مع الجسدانيين، سار في طريق كل المولودين، وبقي في العالم ثلاثين سنة بتواضعٍ، حينئذ بدأ يعمل بقوة جبروته.
عجيب أنه كان ساكنًا في بيت النجار، ومختلطًا بهم، ويسلك حسب عادتهم...
العجب أن السماوات ممتلئة من تمجيده، وقد اكتفى ببيتٍ صغيرٍ يتربى فيه!...
حفظ السرّ ولم يعرفوا من هو أبوه، بل كانوا يظنون أن أباه يوسف ولم يشعر أحد بالسرّ إلا البتول فقط. أما يوسف النجار فكان متحفظًا لئلا تُفتضح...
صار طفلاً ورضع اللبن ولم يمل... صار صبيًا وقاس الأسواق بخطواته... صار شابًا وتعبد في بيت النجار. صار رجلاً، وأحنى رأسه قدام يوحنا، ومع التائبين نزل للتعميد بتواضعه...
لم يطلب أن يُظهر نفسه في العالم من هو، إلى حين بلغ امتلاء سن الثلاثين.
لنصدق أنه أتى وصار جسدًا، لا بالتشبيه بل بالحق. صار إنسانًا ليشعر العالم أن آدم الثاني اظهر نفسه ليجدد العالم عوض الأول الذي لدغته الحية.
لو بدأ يفعل القوات من صباه لكانوا يظلمونه أنه لم يتجسد بالحق. وأن جسده خيال ولم يكن جسدًا.
من أجل هذا ثبت ربنا ثلاثين سنة، وحينئذ بدأ يسير بطريق القوات. ليكون بالجسد رجلاً كاملاً يشبه آدم. لأنه خرج ليخاصم العدو (الشيطان) عوض آدم.

القديس مار يعقوب السروجي

ختانه وخضوعه للناموس

❖ أعطيَ الناموس لموسي على الجبل مع أبيه، وأتي ليُكمِّل الترتيب الذي علَّم بأقنومه! أتى للختان لكي لا ينكر أحد تأنُّسه، وأتى بالذبيحة ليُرى أنه ليس غريبًا عنَّا! تقدم باليمام الذي صاغ رمزه!
حملت مريم (بالمسيح) قابِل قربان الكل، ليأتي بالذبيحة لهيكل القدس حسب الناموس. حمل يوسف الفراخ، وجاء من أجل الصبي، ولبيت القدس صعد ليقدَّم كالناموس.

القديس مار يعقوب السروجي

---

[1] الميمر ٨١ ظَل ربنا على الأرض ثلاثين سنة، وبعدئذ اجترح العجائب في العالم؟ (لوقا ٣: ٢٣) (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني). الميمر ٢٦ من إجل ماذا أقام ربنا ثلاثين سنة وبعد ذلك اعتمد وفعل القوات، قبطي.

خضوعه للصوم

❖ صام أربعين يومًا كمثل موسى وإيليا، ليسير في الطريق التي درسها أنبياء أبيه. تقدموا، ذاقوا بالنبوة نظرة الأسرار، وبصومهم صوَّروا صومه ليتشبهوا به.

❖ على كل خاطئ أن يتفقد نفسه بالبرّ، **مبارك من أعطانا الصوم لنضمد جروحنا**[1].

❖ بك (بالصوم) أسقط مخلصنا عدوَّنا في المعركة، وفي نهايتك خرّب الهاوية لأجلنا.
الصوم سلاح، لو لبسه ضعيف لصار قويًا، وانتصر به في معركته.
قوموا مثل أذكياء أقوياء أدركوا ما هو الصوم، واقضوا الصوم ببرّ بشكله:
بالإيمان الذي هو سرّ الحسنات، وبالمحبة البشرية التي تقرّبكم من الله.
وبالسلاح المصاغ بالصلوات والصدقات، بالبرّ من اليمين ومن اليسار.
وبالتواضع الذي يقدّم خدّه لمن يضربه، وبالمحبة الصافية التي لا تغضب على قريبها (مت ٥: ٣٩؛ ١ كو ١٣: ١-١٣).
وبالهدايا التي تخرج من عتبتك للمحتاج، وبالصدقات التي تطير منك إلى المتسولين...
الصوم سلاح أعطاه يسوع لجميع الظافرين! يا عبيد الملك خذوا الدروع في معركة الدم... وضع كل الطبيعة كما لو كانت في كور النار مدة أربعين يومًا، وصاغها لتجمُل لأنها كانت قد صدأت.
بصومه الكبير أضعف بأس العدو، وأقام الساقطين الذين كانوا مطروحين.
هوذا الدَّين العمومي يُوفى بصوم الابن، وكل واحد مُلزم ليتعب معه لأجل خلاصه.
وإذا كان الظافر قد نزل إلى الجهاد بدل المذنبين، كيف يبطل المذنب من المعركة؟
في هذا الصوم شنّ ثلاث معارك مع القوي، وفي ثلاثتها أهانه وداسه...
صفّ في المعركة محبة البطن ومحبة المجد ومحبة الغنى مع الصائم الذي شاء وجاع...
وإذ قام القوي بيقظة وحافظ على فخاخه، كسرها المستيقظ بصومه وجعله سخرية.
محبة البطن داسها بالجوع الذي احتمله، ومحبة المجد كانت تُقهر بتواضعه.
شهوة الغنى داسها بمحبة الفقر، وبصومٍ واحد قُهرت الشهوات الثلاث...
وبخ آدم لأنه لو أجاد الحرب لما كان قد خسر في معركة الشهوة والشراهة.
احتقر الغاشم الذي أنزله إلى المعركة، ووقف وحارب وخسر القوي، فانتصرت الطبيعة التي كانت قد أذنبت. كان ابن الله يقاتل بشخص آدم، والغلبة التي أحرزها الرب أعطاها لعبده[2].

القديس مار يعقوب السروجي

---

[1] الميمر ٢٣ على الصوم المقدس الأربعيني (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

[2] الميمر ٢٥ على الصوم المقدس الأربعيني (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

الابن يعلن عن الآب

❖ ابن الله هو نسيم البنوة، لولاه لم يخرج استعلان عن أبيه...
أي غنى للشمس إلا نورها؟ وأي سرٍ للآب إلا ابنه، وبغيره لا يُعطى استعلان لأحدٍ.
بيده تخرج الأسرار للظهور من بيت الآب، وهو سرّ كل أسرار البنوة...
اشتهى ابن الله أن يصير إنسانًا، من أجل هذا كمثل إنسانٍ نظره حزقيال.
من ذاك الحين استعد أن يحلّ في البطن، ولأجل هذا صنع له كرسيًا يجلس عليه.
اختار أن يتنازل إلى المستوى البشري. لهذا لبس أشباهًا متواضعة. لم تحده السماء والأرض بتخومها، وانضبط بالكرسي كما شهد لنا حزقيال...
رآه دانيال آتيًا على السحاب، ممجدًا كشبه ابن إنسان ليدين العوالم بقواتها.
وأيضًا رآه حزقيال على الكرسي العظيم، على المركبة جالسًا، كمثل إنسانٍ وهو الله...
يتطلع على أجنحة السمائيين من قبل أن يكون على ما صار إليه في ملء الزمان...
قبل أن يتجسد أظهر شبه الجسد، حتى لا يجدف أحد من المتجاسرين عندما يتجسد.
صنع لكرامته مجلسًا وكرسيًا ومركبة، لأنه اختار أن يتنازل إلى الحياة البشرية.
لصقت به الأدوار السفلية التي لنا، لكي عندما يتنازل لا تهينه قواته.
من أجل هذا نظره حزقيال كمثل إنسانٍ، لكي عندما يصير بالحق ابن البشر يعرفونه.

القديس مار يعقوب السروجي

النفس تسترد صورة الله

❖ نفس الإنسان هي صورة اللاهوت العظمى، يا ابن الله بك تطهر وتقتني جمالها،
خلقتها أسمى من الخلائق الجميلة، لقد سقطت بالإثم أقمها أنت، أيها الوارث الصالح[1].

القديس مار يعقوب السروجي

على اسم عمانوئيل

اشتاق القديس مار يعقوب السروجي أن ينشد قصيدة عن "**اسم عمانوئيل**" الذي سبق فتنبأ عنه إشعياء النبي حين تحدث عن ميلاد كلمة الله بالجسد من العذراء البتول، إذ قال: "ولكن يعطيكم السيد نفسه آية: ها العذراء تحبل وتلد ابنًا، وتدعو **اسمه عمانوئيل**" (إش ٧: ١٤). التهب قلبه بنار الحب الإلهي، وفي مخافة مقدسة صادقة تطلع إلى هذه النبوة، ودُهش كيف يجسر الإنسان الترابي القش أن يقف أمام اللهيب الإلهي ليفحصه ويجادل في أمره. رأى في أعظم الطغمات السمائية، الكاروبيم، الذين يمثلون العرش الإلهي، وقد غطوا وجوههم بأجنحتهم حتى يستطيعوا أن ينشدوا لحن التقديس لله، ويغطون

[1] الميمر ٣٠ (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

أرجلهم حتى يجسروا ويقفوا في حضرته دون فحصٍ وجدالٍ. حقًا كعادته شعر القديس بالعجز البشري، فحسب نفسه قيثارة تبقى أوتارها صامتة بلا نفع ما لم يحرك الرب نفسه أصابعه لينشد تمجيدًا لائقًا به. إنه ليس في حاجة إلى تسابيحنا، إنما بتسبيحنا له نتمجد!

أما عن اسم عمانوئيل الذي تفسيره "**الله معنا**"، ففي حديث شعري خلاصي أوضح النقاط التالية:

أولاً: نزل إلينا يحمل ما لنا، لنحمل ما له!

ثانيا: يبقى سره مخفيًا ما لم يعلنه الآب الذي وحده يعرف الابن، كما يعلن الابن عن الآب، بكونه وحده العارف بأسراره.

ثالثا: غاية نزوله تقديم نفسه ذبيحة حب على الصليب:

❖ بالصليب أوفى ديوننا. بالصليب أبهج الفردوس حيث انفتحت أبوابه المغلقة.
بالصليب أغلق أبواب الجحيم ومتاريسه كي لا يدخله المؤمنون به.
بالصليب سحق الحية القديمة، وأبطل خداعها. بالصليب رد للمرأة كرامتها.
بالصليب انتهت الأزمنة الشريرة، وانفتح عصر النعمة المفرح.
بالصليب نزع عن أدم وحواء ونسلهما ثياب العار وقدم لهم ثوب المجد الفائق.

القديس مار يعقوب السروجي

قيثارة تبقى أوتارها صامتة بلا نفع ما لم يحركها الرب

❖ لا تقدر القيثارة أن ترتل من نفسها إن لم يضرب عليها الحامل لها، وإلا تبقى خرساء صامتة.
الذي يضرب على القيثارة يحرك إصبعه بمهارة، فيوقظ فيها صوتًا...
الوتر هو النفس، وهى صامتة عن تمجيدك، أضرب عليها، فترتل بأصوات المجد بدهشٍ عظيمٍ.
إنك لست محتاجًا لتمجيد الأرضيين، بل تعظيم الجنس البشري هو المحتاج إليك يا أيها الغني.

القديس مار يعقوب السروجي

نزل إلينا عمانوئيل يحمل ما لنا، لنحمل ما له!

❖ أرسلك أبوك لتعظم البشر، وتقيمهم من دمار المزبلة. خلطتك المراحم بالبشر الذين كانوا هالكين.
وباختلاطك بهم وجدتهم لكي تردهم. صرت منا، وها أنت معنا بجوارنا.
أنت عمانوئيل الذي جاء يحرر عبيد أبيه، يا أيها الابن الحبيب. ها أنت معنا، وأنت إلهنا. بالنبوة كُتب عنك أنك عمانوئيل. إنه اسم موافق، وضعه إشعياء لابن الله، إذ تعلم هذا بإعلان النبوة.
صار إشعياء رقيبًا بارتفاع النبوة، فتطلع وإذا بابن الله يصير ابنًا للبشر، وأتى ليختلط بنا.
بعين الروح نظر الأسرار، ودُهش إذ رأى إلهنا هو معنا بالميلاد الثاني.
من أجل هذا تحرك ودعاه عمانوئيل. يا له من اسمٍ حسن، يكرز بالحق بغير جدلٍ.

نظره أنه هو الله، جاء ليكون معنا... روح النبوة هبَّ من عند الآب وعلَّمه أن يدعو الابن عمانوئيل.
لم يكن يعرف النبي بماذا يدعوه، فإنه ليس من يعرف الابن سوى أبوه.
هو في حضن الآب، ولد منذ الأزل... إنه معنا حين ولدته الأم البتول جسديًا، وجاء بالجسد.
في دهشة نظره العالم لما تنازل كل هذه التنازلات...

القديس مار يعقوب السروجي

غاية نزوله تقديم ذاته ذبيحة حب عنا على الصليب

❖ أيها المتكلمون الذين اقتنوا الكلمة من النعمة، احفظوا تكريم الابن الكلمة غير المنطوق.
أيها المترجم احفظ لسانك من اللهيب. مالك ومال اللهيب والبحر غير المحدود؟!
أيها المعلم المفتخر (بذاتك) اعرف شخصك، وانظر إلى نفسك، ولا تتكلم عن خبر عمانوئيل بكبرياء.
إنما تكلم عنه ان أردت بالبساطة والإيمان والتواضع...
سيدك هو النار ويرهب النورانيين المرتفعين. إنك لا تجسر أن تمسك بشدة اللهيب، وأنت قش يتبدد من هفوٍ صغيرٍ... كيف تقتحم ألوف ألوف السمائيين، وتدخل لتلقي صوت تفتيش عن الابن. ربوات ربوات يخفونه، من يبعدهم لتتقدم أنت وتتكلم؟
لتعلم أن السيرافيم إن لم يغطوا وجوههم لا يقدموا له صوت التقديس برعدة، وإن لم يستروا أرجلهم بأجنحتهم لا يعبروا إلى المكان البهي الذي للاهوت. هؤلاء يقدسون ولا يفحصون، وها أنت تسرع لا لتقدس، بل لتفتش... ليس من يجسر أن يفحص الابن إلا أنت!
وبالجدال والكبرياء والمخاصمة ترفع صوتك، وتبحث إشراق الابن الأزلي، ولا تخاف، ولا ترتعب، ولا تجزع من الفحص هذا الذي تخشاه النار!... أتى بالمخلصين إلى المكان البعيد عن العثرات.
سحق بصليبه الحية العظيمة التي خدعت أمنا...
طرد الكاروب الذي كان حارسًا شجرة الحياة، وقبل الرمح في جنبه، ليدخل الورثة الذين خرجوا.
فتح الفردوس الذي كان مُغلقا أمام الداخلين، ورد للمطرودين ميراثهم وحدودهم.
أدخل اللص، وصار الرجاء لبيت آدم. فُتحت المراحم للخطاة وردتهم.
غلق الهاوية وترس أبوابها التي كانت مفتوحة. أبهج الجنة بفتح أبوابها المغلقة!
جازت الأزمنة الشريرة التي كانت لبيت آدم، وجاءت الأزمان الصالحة لكي يرث الذين كانوا مطرودين. محا الصك العظيم الذي كتبته حواء أمنا، هذا الذي كتبته الحية في الجنة بهزيمة آدم...
قبل أن يفي كل دينٍ على آدم... من أجل هذا جاء، وصار منا، وحمل موتنا لأنه جعلنا أن نكون منه. صار مثلنا لما تنازل بجوارنا، وجعلنا مثله هناك في مكان أبيه.
أعطى الصحة، وحمل هو أوجاع المضروبين. افتقد المرضى واحتمل الآلام من الصالبين...

القديس مار يعقوب السروجي

المخلص لم يأخذ من الملائكة بل تجسد من مريم

❖ لم ينزل ويأخذ من الملائكة، بل تجسد من بنت إبراهيم. ليس للملاك جسد يحتمل الآلام، ولا نفس ليضعها بين يدي الآب عندما يموت. لهذا عندما نزل لم يأخذ منهم، لأنه لم يكن لهم أن يعطوه ما يلزم لدربه. الموت أيضًا لم يكن مسلطًا على الملائكة والطريق التي انتهجها ربنا في العالم لم تكن طريقهم. كان الموت الشره قد تسلط بالقصاص على زرع آدم ونوح وإبراهيم.
كان المسيح يريد أن يخلصه من الهلاك، فأتى عنده، ولهذا لم يأخذ من الملائكة.
نزل وحلّ في مريم البتول بنت إبراهيم ومنها تجسد ليخلص بيت أبيها[1].

القديس مار يعقوب السروجي

طريق ربنا عجيبة

❖ مَن كان يدخل إلى بطن الموت ويخرج منه؟ أو من كان يحل في البتول ولا يفسدها؟
أو من كان يقدر أن يتجسد لو هو روحي؟ أو أن يحتقر الموت في موضعه لو هو جسدي؟
هذه الأفعال هي أسمى من الإنسان، أما الله فيقدر على كل شيءٍ لأنه الله...
يسهل عليه أن يحل في بطن الموت كما لو كان في قصر، ولو أراد فالسماء والهاوية هما متساويتان له.لو يود يجلس على الكرسي ويحده، ولو يشاء كل الجهات هي صغيرة بالنسبة له.
من كان يقدر أن يصنع هكذا كل ما يشاء باستثناء ربنا لأنه الله مع أبيه؟
بآلامه ربنا أبان بأنه لا متألم، لأنه قدر وفعل كلما أراده لأنه الله.
أراد وتنازل، وأراد وتجسد، وأراد واحتمل الآلام، ولو لم يصنع كل ما شاء لكان متألما[2].

القديس مار يعقوب السروجي

عمانوئيل (إش ٧: ١٤) العريس السماوي

❖ هبّ روح النبؤة من الآب، وعلَّم (النبي) ليسمي الابن عمانوئيل،
لم يكن يعرف النبي كيف يسميه لأن الابن لا يعرفه (أحد) أبداً غير أبيه،
في حضن الآب يوجد الابن الذي من جوهره، وهو الذي علّم النبي أن يسمي الابن باسمه،
الله نفسه يعرف ابنه لأنه مثله، وهو عنده، وهو الذي علّم اشعياء أن يسميه عمانوئيل في النبؤة.
عمانوئيل هو إلهنا الذي صار منا، واحتمل إلهنا هذه الأمور لأجلنا،
ومَن لا [يعترف] بأن عمانوئيل مات على الصليب،؟ ومن لا يصدق بان إلهنا صار منا؟...
يا عمانوئيل رأتك بنت الآراميين على الخشبة، وعرفت من أنت بسبب عجب جبروتك،

[1] ميمر ٩٤ على الإيمان (راجع الأب بول بيجان – دكتور سوني بنهام).
[2] ميمر ٩٤ على الإيمان (راجع الأب بول بيجان – دكتور سوني بنهام).

بنت العبرانيين أعماها الحسد ولم تعرفك، ولأنها أبغضتك فلم تحركها القوات التي حدثت،
بيعة الشعوب بنت النهار المحبوبة إليك، ربي، عرفتك على الصليب بأنك الإله،
الأرض التي تزلزلت، والصخور التي تفطرت، والموتى الذين عاشوا، والشمس التي أظلمت، أعلنت من أنت في الأرض كلها،
ومن المخلوقات الجامدة التي تحركت بصليبك تعلّم العالم بأنك إله بالحقيقة،
وهوذا صوت العروس عال وهي تصرخ في الجماعات: لا يلزمني الافتخار إلا به،
جاء عمانوئيل وخطبني بصَلبه، واعرف من هو، وابن من هو، فلا يُهن إذا،
جاء إلى بيتنا مثل فقير وهو يخطبني، وكنت اعرف بأن له الغنى فخرجتُ معه،
عاره وضرباته هي كرامة كبرى لي، لأنه بإرادته احتمل الإهانات لما خلصني...
أعطى الله وحيده لأجل الخطاه، له واحد وأعطاه بأسره ليخلص العالمَ...
فتح الفردوس المغلق أمام الداخلين، وأعاد المطرودين إلى مواريثهم وتخومهم...
مزق الصك العظيم الذي كتبته أمنا حواء والذي كتبته الحية في الجنة ليذنب آدم،
بصليبه أوفى الدّين العمومي الذي كان مستعصيًا وبه ضعفت كل الأجيال ولم يوفَ...
نزل العلي إلى قاع الأعماق، وهناك وجد صورة أبيه التي فسدت فأخذها وصعد[1].

القديس مار يعقوب السروجي

[1] الميمر ٤٠ على اسم عمانوئيل (إش ٧: ١) (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

المصادر

١. دير القديس مقاريوس: ميمر "على بدء بشارة القديس يوحنا: في البدء كان الكلمة" إعداد الأب مينا المقاري، نسخ القمص بطرس السرياني.

٢. - ميمر "على الوحيد الكلمة" إعداد الأب مينا المقاري، نسخ القمص بطرس السرياني.

٣. - ميمر "على اسم عمانوئيل" إعداد الأب مينا المقاري، نسخ القمص بطرس السرياني.

٤. - ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد" إعداد الأب مينا المقاري، نسخ القمص بطرس السرياني.

٥. - ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد وإبطال ضلالة الشياطين" إعداد الأب مينا المقاري، نسخ القمص بطرس السرياني.

٦. - ميمر "على ميلاد ربنا بالجسد وعلى الكوكب الذي ظهر للمجوس وعلى قتل الأطفال" إعداد الأب مينا المقاري، نسخ القمص بطرس السرياني.

٧. - ميمر "على دخول ربنا الهيكل وشهادة سمعان الشيخ" إعداد الأب مينا المقاري، نسخ القمص بطرس السرياني.

٨. - الميمر ٢٥ على الصوم المقدس الأربعيني (راجع نص بول بيجان والدكتور بهنام سوني).

٩. الميمر ٦ على النجم الذي ظهر للمجوس وعلى قتْل الأطفال (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني).

١٠. الميمر ٩٤ على الإيمان (راجع الأب بول بيجان – ترجمة الدكتور سوني بهنام).

١١. الميمر ٢٠١ ميلاد مخلصنا في الجسد (راجع الأب بول بيجان – ترجمة الدكتور سوني بهنام).

١٢. ميامر أي مواعظ السروجي، مطبعة مصر بالفجالة، ١٦٢١ ش ١٩٠٥م ، تحت إشراف يوسف بك منقريوس، الميمران ٢٢، ٢٣.

١٣. دير السرّيان: تأمّلات في الميلاد، ١٩٥٨.

١٤. مار ملاطيوس برنابا: مختارات من قصائد مار يعقوب سروج الملفان، دمشق، ١٩٩٣.

١٥. ٢١٨ ترجام على جمعة الآلام (نص بول بيجان، ترجمة الدكتور بهنام سوني).

١٦. القس أغسطينوس البراموسي: القديس يعقوب السروجي، ١٩٨٨.

من ميامر على عيد الميلاد المجيد ٤

أناشيد مُفرِحة

حول عيد الميلاد المجيد (٤)

مؤتمر خطير حول طفل المذود

للقدِّيس مار يعقوب السروجي

مؤتمر خطير حول طفل المذود[1]

طفل المذود وهدم مملكة إبليس

انفرد القديس مار يعقوب السروجي بتصوير موقف مملكة إبليس من هذا الطفل العجيب. بفكره الروحي العميق وخياله الخصب وأسلوبه المشوّق تصور انعقاد مؤتمرٍ خطيرٍ حول طفل المذود. أعضاء هذا المؤتمر هم الشياطين تحت قيادة رئيسهم نفسه "إبليس"، لقد أدركوا انهيار مملكة الظلمة بتجسد كلمة الله. هذا الموقف سحب قلبي، وشغل فكري، ووجدت نفسي مُلزماً أن أقوم بتقديمه في اختصارٍ شديدٍ مع محاولة الاحتفاظ بأسلوب القديس مار يعقوب السروجي ما استطعت.

وإنني أشعر بالتزامٍ أن أنشُرَ هذا الميمر مع تعليقاتٍ لكي ندرك ما صار لنا من إمكانيات وسُلطان لنتحدّى مملكة الظلمة بطفل المذود، فلا يكون لها موضع فينا!

إنه ميمر يمس حياتنا ونصرتنا ومجدنا بالمسيح، محطم الشر وواهب البرّ. نتلامس خلاله مع وعد رب المجد: "لا تخف أيها القطيع الصغير، لأن أباكم قد سُرَّ أن يعطيكم الملكوت" (لو ١٢: ٣٢).

طفل المذود وموقف إبليس

طفل المذود هو كلمة الله، **النار الحيّة الآكلة** (تث ٤: ٢٤)، الملتحف بالأقماط، لكن ترتعب منه الشياطين التي هي أشبه بالشوك والحسك، تحولها النار إلى رماد. إنه راعي القطيع وقد صار **حملاً**، ومع هذا تهرب منه الذئاب، فإنها إن افترسته يفجر معدتها ويدمرها. وهو **النور الذي يبرق في كل المسكونة**، فتبددت ظلمة إبليس التي تحتضن الأصنام. لقد التقى إبليس بملائكته الأشرار (الشياطين)، كما في مؤتمرٍ يبحثون معًا أمر طفل المذود العجيب، الذي أفسد خططهم. فماذا تم في هذا المؤتمر؟ وما هي قراراتهم؟ يبدأ القديس باستعراض افتتاحية المؤتمر مع إلقاء رئيس المؤتمر كلمة موجزة تكشف عن ارتباكه الشديد وعجزه التام عن تقديم تحليلٍ منطقيٍ لما حلّ به وبمملكته.

❖ لفّت **النار الحيّة** نفسها داخل الأقماط، وشعر بها الشوك والحسك، فخافا وارتعبا.
صار راعي الأغنام **حملاً** في وسط رعيته، ونظرت الذئاب ذلك، وبدأت تهرب من رعيته...
أشرق بغتة **برق النور** في جميع المسكونة، واستضاءت الأرض، وأظلمّت جميع الأصنام...
قال الشرير (إبليس): ها برق النور قد أصابني، ولم أعلم ولا عرفت ما هو السبب.
من يُفضَح بإشراق النور غيري أنا، فإنني مجتهد أن أتمم كل ما اختاره في الظلام...
أقمت الآلهة (الوثنية) في الظلام ودعمتها، وإذ يُشرق النور عليها يُبطلها!

---

[1] ميامر أي مواعظ السروجي، مطبعة مصر بالفجالة، ١٦٢١ ش، ميمر ٢٢، ص ٢٧٩ الخ؛ دير القديس مقاريوس: راجع ميمر: "على ميلاد ربنا بالجسد وإبطال ضلالة الشياطين" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني).

إنني ناجح وماهر في كل المؤذيات، لكنني لا أقدر أن أُهيّئ طريقي في النور. إني أُبغض النور، وأجلس أنا وأنتم في الظلام إلى الأبد. إني أعرف أنه إذ يفضح النور ضلالنا، تُبغض الخليقة أعمالنا وتنتهرها. ليس لكلمات الطغيان أن تسلك في طريق النور، فلا تسمحوا بالنور أن يظهر، لئلا يطردنا من كل المواضع.

القدِّيس مار يعقوب السروجي

الشياطين تطلب توضيحًا من رئيسهم

لأول مرة تُصدم الشياطين في رئيسهم إبليس الذي كانت تظن أنه أقوى أقوياء الخليقة كلها، وقد ظهرت عليه علامات الضعف الشديد. شعرت بخطورة الموقف، فلم تستطع الصمت، بل طلبت منه أن يجيب على تساؤلاتهم، ويوضح لهم حقيقة الأمر.

❖ قالت له الشياطين لابسة الطغيان: ماذا نفعل؟ أنت معلمنا، ونحن نسلك حسب تعليمك.
من يُعرِّفنا عن سبب ما حلّ بكهنتنا (كهنة الأوثان) سواك أنت يا إبليس الذي تعلمنا؟
من يُعلّمنا عن علة النور الذي يحطمنا إن لم تقم أنت بالفعل بتعليمنا؟
قال الشرير (إبليس): إنه ليس وقت للحديث الطويل. لأُسرع وأنظر هذا العمل الذي أرعبني!
لتهدأوا إلى ساعة، حتى أخرج وأذهب أفحص من أين أشرق النور الذي ظهر فأرعبني. سأجول في البلاد، وأطير في العلو، وأهبط إلى الأعماق، وأفتش الغمر، وأنطلق بعيدًا، وأنظر السحاب... وأبلغ إلى الغلاف الجوّي، وأنزل إلى الأرض..

القدِّيس مار يعقوب السروجي

ملاك عجيب ومرعب!

شعر إبليس بالإلتزام أن يترك المؤتمر وينطلق ليبحث هذه الكارثة التي حلَّت به وبملائكته، لئلا تفقد الشياطين ثقتها فيه، فرأى أمرًا مرعبًا. ماذا رأى؟

❖ إذ ترك (إبليس الموضع) نظر من بعيد بيت لحم، ووجد ملاكًا مهوبًا، مفزعًا، مرتديًا البهاء.
أشرق نور الملاك، وصار بكُلّيته نورًا عظيمًا. نظره إبليس، واختفى منه، وهو في رعبٍ.
أطلَّ لينظر أين يمضي هذا النوراني. حلّ الملاك في صفوف الرعاة؛ وبدأ يبشّرهم بخلاص العالم.
إنهم بسطاء أُمِّيُّون، تعلّموا من الملاك الذي جاءهم بالبشارة... "ها أنا أبشركم اليوم بفرحٍ عظيمٍ مملوءٍ بغنى للعالم جميعه. أبشّركم بالمخلص المحيي، المسيح الرب، الذي أشرق من ابنة داود.
ها الطفل في بيت لحم مُقمَّط ومضطجع في مذودٍ حقيرٍ، وهو الرب المخلص".
لم يُكمِّل بعد الملاك كلامه، وإذا بجنوده جميعًا نزلوا ليسبحوا.
جعلوا الليل هناك مثل النهار، لأن لهيبهم كان أكثر بهاءً جدًا من الشمس...

ارتجّت الأرض من المجد الخارج من أفواههم، وأرعد الموضع من تهليل ألسنتهم.
إنه تسبيح لائق بصوتٍ حلوٍ، يصدر من أفواهٍ عظيمة؛ وترتيل بنغمته المدهشة يهب النفس الطوبى.
إنهم نورانيون، يرتلون للنور الذي أشرق في الظلام، ولهيب، يُعد المجد بصوتٍ مرتفعٍ.
القدِّيس مار يعقوب السروجي

اعتراف إبليس بخطورة الكارثة

أدرك إبليس أن الموقف خطير جدًا، لم يرَ مثله منذ خِلقته، فانسحب في مرارةٍ كلصٍ يود ألاّ يشعر به أحد. وذهب إلى ملائكته في خيبة أمل، لا يعرف كيف يخبرهم عن الدمار الذي يتوقعه له ولهم. أدرك أن طفل المذود هو سرّ بهجة السمائيين، وأنه حتمًا يقدم للبشر ما يفوق كل تفكيرٍ. اكتشف إبليس أن خداعه وحيله بدأت تُفضح أمام البشر، ولم يعد لمملكته موضع بعد بين المؤمنين.

❖ نظر إبليس المتمرد جوقة الملائكة فارتعب، وانسحب قليلاً قليلاً كالسارق.
صُدم المُظلم بأشعة بني النور، وانصرف من عندهم كالدخان أمام الريح.
رجع إبليس يحمل الويل لبني جنسه، وقد امتلأ فمه ببشارة مملوءة بكل حزنٍ.
تعالوا انظروا الكارثة التي حلّت بنا في بيت لحم، فإنه من هناك حلّ بنا ما أرهبنا...
تعالوا، اسمعوا ضجة الملائكة في بيت لحم، فقد تزلزلت الأرض أمام هتافاتهم.
تعالوا، ننظر من بعيد الجموع السماوية، ولا نتقدم حتى لا يعمينا بهاؤهم.
جذبت الضلالة الخوف لبنيها... نظرت الطفل ملفوفًا ومطروحًا بالمسكنة، ليس له منظر ولا بهاء ولا عظمة. حطَّم الذهول قوات المفتري، ولم يعرفوا ماذا يقولون من أجل الطفل.
عندما يتشجَّعون ليستخفُّوا بتنازله، ينظرون بتولية أمه، ويولولون من الأعجوبة.
قالت الشياطين لإبليس: فسِّر لنا أمر الصبي، هل هو إنسان أم إله؟ من هو؟... هل هو من العلا أم من أسفل؟... من أين هو، من الروحيين أم من الجسدانيين؟
القدِّيس مار يعقوب السروجي

اضطراب إبليس واعترافه بجهله وعجزه

اعتادت الشياطين أن ترى في زعيمهم إبليس الكبرياء والتشامخ، يظن أنه الحكيم والمعلم العالم بكل شيءٍ وصاحب المعرفة والأسرار. لكنه في هذا الموقف أصيب بصغر نفس أمامهم. التزم أن يعترف بجهله وغباوته وعجزه التام عن التصرف. منذ سقوط آدم وحواء في المعصية حلت البهجة الشديدة بإبليس، إذ صار يقف أثناء ولادة كل طفلٍ كمن يتسلمه منذ بداية حياته كعبدٍ له، لن يقدر أن يتحرر من سلطانه. يسجل اسمه في تعداد مملكته. أما هذا الطفل ففريد، أمه بتول وهي أم تُرضعه. تساءل عدو الخير: كيف هذا؟ وليس من إجابة! من يكون هذا المولود بدون زرع بشر؟ من هو أبوه؟ ترى هل

هو ابن الله الذي ليس من زرع إنسان؟ لكن له جسد ونفس بشرية!

❖ قال إبليس: حتى الآن كنت حكيمًا، والآن صرت غبيًا، وأدركت إني لا أعرف شيئًا.
منذ أيام قايين لم يُولد أحد دون أن أتطلع إليه، وبدوني لم يُضرب حَبَل للوالدات.
وإذا ما سمعت صوت أنين الوالدات، أفتخر بالحكم الصادر على حواء...
أما سرّ هذا الطفل، فقد سُلب مني، وحُجب عني، ولم أستطع أن أدرك خبره بوضوحٍ.
عندما حبلت الصبية به، لم أشعر كيف حبلت؛ وعندما ولدته، لم أكن قريبًا منها لأنظره.
الآن هي بتول، وماذا أقول عن مولودها، ففي دهشة يرعبني الطفل، وليس لديَّ تفسير.
منذ حواء إلى ابنة العبرانيين هذه (القديسة مريم)، لم توجد بتولية يجتمع معها لبن في جسدٍ واحدٍ.
لأنها بتول أظن أنه إله، وبتجسده أرجو أن يكون إنسانًا.
جميع طرق هذا المولود تفوق عليّ؛ ضربني ولا أعرف ماذا أقول.
إذ أرى أن الحبل به بدون زواج، أتطلّع إلى مولده أنه يفوق التفسير.
أمه بتول، فمن هو أبوه؟ إن كان أرضيًا، فابن من هو؟ لكنني لست أعرف أين هو أبوه.

القدِّيس مار يعقوب السروجي

انزعاج الشياطين

أدركت الشياطين انهيار مملكة إبليس رئيسهم بمجيء مخلص العالم، ففقدوا ثقتهم فيه. طالبوه بسرعة التحرك، لأنه إن كان وهو طفل قد هزّ مملكتهم، فماذا يكون حالهم عندما يشِّب ويتحرك بقوة. لقد ظهر غباء إبليس وجهله بالنسبة لما سيقدمه هذا الطفل، فصارت كل مملكة عدو الخير في ارتباكٍ وتوقعوا الدخول في مرارة وفشل يصعب التنبؤ بها.

❖ قالت الشياطين: ماذا نقول عن هذا الطفل؟ إنه لم يظهر لك خبر ميلاده، فمن إذًا يخبرنا بذلك؟ أنت ماهر وحكيم ومتعلم ودارس، وتصيب الكل بالشرور. لكن طفلاً غلب عظمتك، وأنت لا تعلم ما حدث كقولك، فماذا سيعمل بنا بعد قليل؟ اليوم انهزم جبروتك أمامه، فمتى شبَّ إلى أين تذهب إن التقى بك؟ إن انتظرت وأطلت روحك على هذا الطفل، فسيأخذ تاجك، ويهدم إكليلك. ويزيل الأصنام ويهدم التماثيل ويُبطل الذبائح وينزع المذابح. يهدم الهياكل ويُبطل العرافة، ويُخزي كل معابد الأصنام. لقد انفضحت كل أعمالك بميلاده، فإن شبَّ يطردنا من كل مكان، ونصير في كارثة! من اليوم بدأت الأرض تستضيء به، وبعد قليلٍ تبتهج الأعماق بإشراقه.
ويلنا منه، لأنه يفضحنا ويحطّمنا، وتُسرع الأرض خلفه، وتستهزئ بنا!

القدِّيس مار يعقوب السروجي

خبر من بلاد فارس

يتخيل القدِّيس مار يعقوب السروجي أن أحد ملائكة إبليس الأشرار جاء إليهم أثناء انعقاد المؤتمر يقدم لهم خبر تحرك المجوس الوثنيين لتقديم السجود والعبادة لهذا الطفل الملك الفريد. صُدمت الشياطين جميعًا، فإن خضوع هؤلاء المجوس الحكماء الوثنيين لهذا الطفل ليس بأقل خطورة عليهم من نزول السمائيين وظهورهم للرعاة العبرانيين الفقراء، فإن في هذا إشارة لإجتماع الأمم مع العبرانيين ليصير الكل شعبًا واحدًا لراعٍ واحدٍ. لم يحتمل إبليس محب الانقسام روح الوحدة الحقيقية!

❖ إذ وقفت قوات الشيطان كما في بلَهٍ، جاءهم من بلاد فارس خبرٌ آخر أرهبهم للغاية.
جاء شيطان مُظلم مطرودٍ ومرتعبٍ. كان ينوح وهو مضطرب، يهتز وهو يعلن أخبارًا شريرة.
قال لهم: الآن خرجتُ من أشور، إذ نظرت هناك أمرًا مدهشًا على غير العادة.
رأيت كوكبًا عظيمًا لم يكن نوره من الفضاء، أشرق في السماء فاستنارت، وانْبهرت مما نظرته.
اجتمع حكماء فارس وقالوا: أشرق في اليهودية ملك يُبطل العرافة، وها المجوس حملوا له قرابينهم.
أسرعت وتقدمت لأنظر من هو، فقد أزعجني كثيرًا! إن مجيئه هو انكسار عظيم لنا.
إن لم نسرع ونخطط له حيلة، فسيحِلّ قوتنا، ويجعلنا هُزءًا، ويضحك بنا.

القدِّيس مار يعقوب السروجي

مشورة إبليس

لم يكن أمام إبليس إلا أن يطلب من أعضاء المؤتمر عدم التسرع، فقد خشي أن تهتز صورته أمامهم. بالفعل اهتزت الصورة، الأمر الذي لم يكونوا يتخيلونه. حاول إبليس أن يؤكد أن في جعبته كمٍّ من الخطط لا يتصوره كائن ما في السماوات ولا على الأرض، فإنه قادر أن يفسد عمل هذا الطفل.

❖ قال إبليس: لم استطع أن أتقدم إليه، لأن قوة عظيمة جبّارة ترعبني منه.
لنهدأ الآن من هذا الطفل، لأنه أقوى منّا، ونتحيّن الوقت ونبحث عن علة لنُسبب خِصامًا.
إنني لا استطيع الآن أن أتجاهله، ولا أن أتفرّس فيه، وأنظر حركاته وتصرفاته...
لنهدأ الآن من التصرف حتى يأتي المجوس، فأقيم حربًا بسببهم. أُعد الحسد لهيرودس.
أهبه الحسد وهو يُقدّم السيف. أوعز إليه أن هذا الطفل يصير ملكًا، وبتجاهله يأخذ المُلك منه.
أمزج له الحسد في الكأس وأسقيه، حتى يسنّ الحربة للطفل المولود.
لديّ كمائن وحيَل وغش وكذب وفخاخ الإثم ومصائد الزور. لن أهمل الأمر، ولن أهدأ، ولن أسكت على هذا الطفل، حتى أغلبه إن استطعت!
الطفل في هدوءٍ، والشياطين في رعبٍ! مريم ورعة، والطفل هادئ، ويوسف متواضع. والشياطين مضطربة، لأنهم نظروا ما يرعبهم...

صارت الشياطين في بلَهٍ بكل اختلاف أشكالهم، وانسحقوا معًا في اضطراب.
تجمَّد إبليس في مكانه وهو ينحني للطفل مع ملائكته ويقوم، وارتعبت كل طغمته من المولود وهم يرتعشون. كلما تفرّسوا ونظروا البتول تقدم حليبًا، كانوا ينوحون بسبب ما حلّ بهم من دهشة.
كانت ترعبهم الثمرة التي صارت بدون زواج، وحضن الأم المختوم والمحفوظ بالبتولية.
الطفل الراقد في المذود يَرهبه السمائيون، الموضوع في المغارة يُحرِك البابليين ببهائه.

القدِّيس مار يعقوب السروجي

خداع إبليس وتقديمه حيلة للعبرانيين

يرى القدِّيس مار يعقوب السروجي أن عدو الخير إبليس لم يجد أمامه وسيلة سوى التظاهر بالخضوع للطفل والاهتمام به، وفي نفس الوقت يحمل له كراهية دفينة وبُغضة، وقد بثَّ هذه الحيلة أيضًا في اليهود الذين تظاهروا بالبحث عن المسيَّا المخلص وهم يودّون الخلاص منه.

❖ قال الطاغية: إني سأهتم بأمر المولود، وأغلبه بالمظهر والخداع. لي من يُحبَّني، وهم يبغضون الحق مثلي... إنهم يسفكون الدم، ويلقون حربتهم ضد الأبرار، أُعلِّمهم الغش وآمُرهم باستخدام الكذب.
أفتحْ لهم الطريق ليفعلوا كل إرادتي، وكالعادة يلتقون بالطفل ويُسعدوني بقتله...
فقد صيَّغ العجل بيد هارون، وأهان موسى، وألقى ارميا في الجب...
نُقيم الآن ابنة أورشليم مقابل الطفل، تلتقي به وهي مملوءة غشًا.

القدِّيس مار يعقوب السروجي

تسبحة ختامية مُفرحة

ختم القدِّيس مار يعقوب السروجي هذا الميمر بتسبحةٍ مفرحة يقدمها لطفل المذود الذي حطم مملكة الشيطان، وصالح السمائيين مع البشر، والشعب مع الشعوب.

❖ قول مدهش: الطفل هادئ داخل الأقماط، ويرتعد منه جميع أهل اليسار.
عن طريق الميلاد دخل (ربنا) إلى الخليقة وأضاءها، ولم يعرف جميع الشياطين أين هو مكانه.
بميلاده صالح السمائيين والبشر، وصنع السلام بين العلويين والأرضيين.
علَّم التمجيد للبشر والملائكة، والهدوء في العلوّ، والسلام في الأعماق.
بميلاده الجديد فرح السمائيّون وسُر السُفليون، واستضاءت الخلائق بالابن الذي جاء وفرَّحهم بميلاده.
الملائكة مبتهجون، والبشر مسرورون، والشياطين يكمدُّون. حزنت الشياطين لأنها نظرت النور فأرهبها. مُجِّدت السماوات، وفرحت الأرض، وارتعدت الأقطار، لأنه من بيت لحم أشرق خلاص عظيم للخليقة.
سار المجوس بهداياهم وتكريمهم، وجاء الرعاة بقرابينهم وتمجيدهم.

هتف الملائكة بأغصانهم وأصواتهم، وفرحت مريم ببتوليتها ومولودها.
ابنها سكب فرحًا وبهجة على كل الخليقة بالبهاء. المجد للآب الذي أرسل نورًا للعالم كله.
القدِّيس مار يعقوب السروجي

إرسال الكوكب

أرسل كلمة الله رسولاً هادئًا يتكلم بلغة النور، فجذب المجوس بالنور!

❖ ماذا كانت الغاية من الكوكب الذي أُرسل؟ ولماذا دعا المجوس بإشراقه العظيم؟
لماذا لم يكرز هناك بنبي كما في نينوى، أو بشرهم بكارز مثل ابن أمتاي؟
لماذا لم ينزل ويعلمهم مثل إشعياء أن البتول تحبل وتلد ملكًا بغير زواج؟
لماذا لم يُفتح هناك طريق للنبوة، وتدعوا المجوس باستعلاناتها الإلهية؟
لأي غرض نزل عندهم كوكب النور، وبأي صوت زرع بشارة الميلاد في آذانهم؟
رسول هادئ ولم يتكلم إلا بإشراقه، فكيف كرز التعليم، وكيف قُبل؟
لماذا لم يُرسل نبي كما قلتُ، بينما حلّ الكوكب محل طريق الكرازة؟[1]

❖ انحنى الأقوياء(المجوس) على وجوههم متوسلين إليه، والأم البتول بحكمةٍ تفكر في قلبها.
قالت الطوباوية مثل هذه العبارات للمجوس الذين سجدوا للابن بتكريمهم له:
أيها الناس كيف رأيتم هذا الملك؟ ومن أرسلكم؟ اكشفوا لي السرّ، مَن أخبركم عن مملكته؟...
أين هو تاجه إن كان ملكًا كما تقولون؟ ها أنتم تنظرون الفقر الذي لا يفارقه، وأنا أمه فقيرة ومعوزة.
أين صفوف الشعب المحيطة به، وكم من الجنود تجدون أمام أبوابه لإكرامه.
كم من حملة السلاح يوجدون معه حسب كلمتكم، وكم من راكبٍ معه الآن كما تقولون.
كم من فوج أرسل أمامه إلى البلدان، وأية أفواج من خدامه موجودة معه.
هل وجدتم ذهبًا أو فضةً كما في بيوت الملوك؟ وهل له غنى أو سلطان يُكرم به؟
هل يقف العبيد أو يطيعه الخدام؟ وهل الصفوف ممتدة أو هل يتبعه جيش؟
هل تاجه عظيم؟ أو له مركبة للاحتفاء به؟ وهل لباسه يلمع؟ أو هل صُفّت في إكليله الأحجار الكريمة؟ ماذا يوجد فيه يُظهر أنه ملك كما تقولون؟ ومَنْ ألزمكم لتنظروا وجهه بالقرابين؟
استقبلتموه بالعوز والفقر، ومَن بشّركم بمملكته الحقيقية؟[2]

---

[1] ميامر أي مواعظ السروجي، مطبعة مصر بالفجالة، ١٦٢١ ش، ميمر ٢٣، ص ٢٨٥ الخ؛ دير القديس مقاريوس: راجع ميمر: "على ميلاد ربنا بالجسد وعلى الكوكب الذي ظهر للمجوس وعلى قتل الأطفال" (قام بنسخه القمص بطرس السرياني)؛ الميمر ٦ على النجم الذي ظهر للمجوس وعلى قتل الأطفال (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني).

[2] المراجع السابقة.

لم أتزوج لأصبح أمّا، وكما تنظرون بتوليتي محفوظة، وها أنكم ترون لي طفلاً.
لم أعرف ماذا يشبه الزواج، وها قد جُعلتُ في طقس المتزوجات.
لم أعرف آلام النساء ماذا تشبه، لكنني وَلَدتُ بالقداسة دون أن يعرف (أحدٌ).
لم أعرف رجلاً، وبغير العادة قبلتُ حبلاً، أنا أم بدون زواج وتزويج.
واحد روحاني زرع فيّ البشارة الممتلئة عجبًا، وحبلتُ بدون حركات رجل، وأنا طاهرة.
لقد سألته: كيف يتم ما تقول؟ فسَّر لي (قائلاً): الروح القدس يحِّل عليكِ. وقوة العلي تظللكِ بالقداسة، وتلدين ولدًا، لن يكون لملكه انقضاء.
مع ذلك الصوت قبلتُ الحبل المملوء عجبًا، وولدتُ ملكًا، ولم يشعر به أحد إلا أنتم.
أنا مظلومة بسببه، فكونوا لي شهودًا بين الظالمين، لأكشف عن وجهي، وازدري بهم، لأنهم ظلموني وثلبوني. هلم أيها البعيدون وتحدثوا عن خبره للقريبين، وبكتوهم عسى يعترفون أنه ابن الله. اصرخوا في آذان الشعب الأخرس، لعله يسمع ويشعر قليلاً بفضل أخباركم السارة[1].

القدِّيس مار يعقوب السروجي

[1] المراجع السابقة.

من ميامر على عيد الميلاد المجيد ٥

أناشيد مُفرِحة

حول عيد الميلاد المجيد (٥)

موكب أطفال بيت لحم

للقدِّيس مار يعقوب السروجي

موكب أطفال بيت لحم[1]

(مت ٢: ٧-٢٣)

ما أروع القصيدة التي سجلها لنا القديس مار يعقوب السروجي عن استشهاد أطفال بيت لحم. كعادته في قصائده لا يقدم لنا عرضًا قصصيًا للأحداث، وإنما بالأكثر يرفع قلوبنا وعقولنا كما إلى السماء لنتعرف على خطة الله ومعاملاته معنا. هذا مع الاستعانة ببعض أفكار من آباء الكنيسة الأولى.

لم يستعرض مار يعقوب السروجي الأسئلة التي تجول في أفكار الكثيرين، وإنما قدم الإجابة عليها وهو يُلهب قلوبنا شوقًا نحو الالتقاء مع الله وتقديم الشكر له على اهتمامه العجيب ببني البشر.

جاءت قصيدته تجيب بطريقة غير مباشرة وجذابة على التساؤلات التالية:

- **لماذا تحتفل الكنيسة بعيد استشهاد أطفال بيت لحم؟**
- **جاء ربّ المجد متجسدًا ليصالح السمائيين مع الأرضيين. فكيف يسمح بقتل أطفالٍ رُضّع بلا جريمة ارتكبوها؟**
- **ماذا يهمنا في محاولة هيرودس الملك لقتل أطفال ملك الملوك؟**
- **لماذا أخذ المجوس طريقًا آخر في عودتهم إلى فارس؟**
- **ما هي رسالة أطفال بيت لحم؟**
- **أما كان يمكن لهؤلاء الأطفال أن يكونوا تلاميذًا ورسلاً للمسيح؟**

هيرودس يُرشَق بسهام الحسد فيطلب قتل الملك المولود

بينما كان الشعب في أورشليم في دهشةٍ يتساءلون عمّا وراء حضور المجوس من بلاد فارس وكان الكتبة والفريسيون في لامبالاة يدركون أن المسيَّا يُولد في بيت لحم، كان هيرودس الملك كمن في معركة خطيرة، يستمع إلى ما يُقال كسهامٍ قاتلةٍ له. كان هيرودس يتعذب من كلماتهم، ويشعر أنها مُميتة. كان المجوس والكتبة يقلقونه بكلماتهم، إذ كانوا يخبرونه عن مجيء ملكٍ آخر غيره. شعر أن تاجه صار مُهانًا ومرذولاً من قبل الكارزين، وكانوا يسألونه كمن هو حقيرٍ: أين هو الملك؟

إن كانت الحية قد سكبت عدم الإيمان والشك في وصية الله وذلك في جنة عدن، فإنها أُرسلت أيضًا خفية في قصر هيرودس لتسكب سم الحقد على الأطفال في قلبه، وتطعنه بالحسد والحقد لتقتله. ظن

---

[1] الميمر ٦ على النجم الذي ظهر للمجوس وعلى قتل الأطفال (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني).

ميمر ٢٣، ميامر أي مواعظ السروجي، مطبعة مصر بالفجالة ١٩٠٣ م.

الكاتب: من تفسير وتأملات الآباء الأولين، متى، الأصحاح الثاني.

الكاتب: من تفسير وتأملات الآباء الأولين، ارميا، الأصحاح الحادي والثلاثون.

الكاتب: من تفسير وتأملات الآباء الأولين، يشوع بن سيراخ، الطبعة الثانية ٢٠١٩.

هيرودس أن الملك القادم يُسقط تاجه ويستولى على ولايته، فصمم على قتله وهو بعد طفل صغير. لم يكن قادرًا أن يُعلن ما في قلبه، فالشعب كله عرف بأن الملك القادم قد وُلد. لهذا طلب من المجوس أن يفتشوا عليه ويخبروه ليتعرف عليه ويسجد له ويقدم له قرابين. بمكرٍ تحدث الملك، ولم يدرك أنه قد تسلط المكر والحسد والغضب على قلبه ليقتله، بينما تقوم مملكة ربّ المجد في قلوب المؤمنين. وكما يقول يشوع بن سيراخ: "**الحسد والغضب** يُقللان عدد أيامك، والقلق يأتي بالشيخوخة قبل الأوان" (سي ٣٠: ٢٦). كشف موقف هيرودس هذا كيف أن رذائل الغيرة والغضب والهمّ تفسد الحياة، فيشيخ الإنسان قبل الأوان ويقتل نفسه وهو بعد حي جسديًا.

يحذر يشوع بن سيراخ الملوك والعظماء بل وأيضًا الفقراء من الحسد والغضب والاضطراب، إذ يقول: "مِنْ الجالس على العرش المجيد إلى الوضيع الذي على التراب والرماد، مِنْ اللابس الأرجوان والتاج إلى الملتحف بالخيش، يوجد غضب وحسد واضطراب وجزع وخوف من الموت وتمردٌ وصراع (سي ٤٠: ٣-٤). ويقول **القديس أنطونيوس الكبير**: [يحصل بعض رواد الفنادق على أسِرَّة، بينما لا يجد البعض أسرة فيتمددون أرضًا وينامون بسلام تمامًا كالذين ينامون على الأسرة. وفي الصباح، إذ يعبر الليل، يقوم الكل ويغادرون الفندق حاملاً كل منهم أمتعته. هكذا أيضًا من يسلكون في هذه الحياة، فسيترك الجميع هذه الحياة كمن يتركون فندقًا، سواء كانوا يعيشون في حياة وضيعة، أو كانت لهم ثروة وشهرة. فالكل لا يحملون معهم الملذات الأرضية والغِنَى، بل يأخذون معهم ما صنعوه في هذه الحياة، خيرًا كان أم شرًا[١].]

هكذا حمل هيرودس الرعب من الملك وهو طفل لم يره، فبأية قوة يمكنه أن يحاربه؟ يا له من مسكين وفي غاية الضعف، من يظن أنه قادر على مقاومة المخلّص محب البشر.

يقول القديس مار يعقوب السروجي:

[كان هيرودس يتعذب من كلماتهم، وبعباراتهم كان يُرمى كما بالسهام.
بتفاسيرهم كان يقلقه المجوس والكتبة، وبأجوبتهم كان يُبَشر بملكٍ آخر.
أُهين التاج المرذول من قبل الكارزين، وكانوا يسألونه مثل حقيرٍ: أين هو الملك؟
تذمرت الحية الماكرة من كلماتهم، وجمعت السمّ ليسكب حقده على الأطفال.
الملك (هيرودس) الذي رُذل بسبب ملك (الملوك)، طعنه الحسد، وصاغ مكرًا ليُقتل بسمّه.
فكر بقتل الملك، والاستيلاء على بلده، وبإسقاط التاج، والسيطرة على ولايته.
فرعون الثاني صنع كمينًا للطفل ليميته، ويستولي على الكنز المرسل إليه.
كان قد اشتهى السلطة والقرابين، فقصد أن يقتل الطفل ويأخذها.
ارتجف مثل النساء (الضعيفات) من الجبار الذي كان يُبَشر به، وشرع يفتش عن علة ليبرر قتله

[١] ترجمة الكاتب: الفيلوكاليا، الجزء الأول، ١٩٩٣، القديس أنطونيوس الكبير ١٧٠ نصًا عن حياة القداسة، ٨٠.

ليتخلص منه. التاج العظيم (ليسوع المخلص) زعزع التاجَ الصغير (للملك هيرودس)، وشرع الضعيف يُقاتل العزيز. وجد بأنه لا يقدر أن يحاربه علنًا، فصنع الزائف في الخفية حيلة لقتله.

وجد أن الشعب كله عرف بولادة الملك، فتحين الفرصة ليجابهه ويحاربه.

دعا المحتال المجوس، وتعقب منهم في أي وقت رأوا كوكب النور كما قالوا؟

بواسطتهم تعرّف على النور الذي جلبهم، ليتحقق من المدة التي فيها وُلد الملك.

قال لهم: اذهبوا وتعقبوا الطفل باهتمام، وعندما تفتشون عليه وتجدونه، هلموا وأخبروني.]

أخفى هيرودس اضطرابه بمظاهر الخداع، إذ يقول الإنجيلي: "**حينئذ دعا هيرودس المجوس سرًا. وتحقّق منهم زمان النجم الذي ظهر. ثم أرسلهم إلى بيت لحم، وقال: اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبي، ومتى وجدّتموه فأخبروني، لكي آتي أنا أيضًا وأسجد له" [مت ٢: ٧ – ٨]**. يقول **القدّيس يوحنا الذهبي الفم:** [لكي يغريهم على ذلك تظاهر بالتقوى، مخفيًا السيف وراءها. رسم بالألوان شكل البساطة على حقد قلبه. هذا هو طريق كل فاعلي الشرّ، إذ يخطّطون في الخفاء ليجرحوا الآخرين، فيتظاهرون بالبساطة والصداقة[1].]

لماذا تخاف منه ما لم يكن ملكًا، أطل أناتك حتى ترى كيف سيملُك؟

يقول **القديس مار يعقوب السروجي:**

[(يقول هيرودس:) أنا أيضًا أذهب وأسجد له مثلكم، وبقرابيني أرى وجهه بعدما أتعرف عليه.

وإذ لم يرد رهن نفسه ليسجد له، أحناه الحق ليحسب نفسه من الساجدين.

سواء بالمكر أو بأية علة أخرى نطق بالحقيقة، بالفعل سينزل تاجه ويُقبِّل التراب أمام ابن داود.

كان يسخر (عندما قال): أنا أيضًا أذهب وأسجد، فطالبه الحق، أن يُقدم للابن ما هو له.

أخذ منه السجود بالكلمات كباكورة كان يلزم أن تؤديها المملكة للابن.

اختلطت كلمة الملك بقرابين المجوس لتدخل إلى خزينة الملك.

نعم يا هيرودس، سيخضع تاجُك لتاجه، (ليظل) مكرك لك، لأن الملك المسجود له يأخذ ما هو له.

لماذا تخاف منه ما لم يكن ملكًا، أطل أناتك حتى ترى كيف سيملُك؟

إن كنت تخاف الآن من مملكته، فبأية قوة ستُبطلها عندما تُشرق؟

أرعبك الطفل، وألقى الفزع في مملكتك، وها أنك تخاصم لتحارب طفلاً.

اتضح بأنه ملك عظيم لأنه أفزعك كثيرًا، وسلطانه عجيب، لأنه أقلقك بخبره بدون حروب.

ارتج عرش التاج ليسقط تحت هيرودس بمجيء مَن له الرئاسة.]

[1] In Op. Imperf. hom 2.

معلم فريد للمجوس العظماء!

كان المجوس من طبقة العلماء خاصةً في الفَلَك، يسألهم الملوك والعظماء ويطلبون مشورتهم قبل أخذ القرارات المصيرية. وهوذا الربّ يرسل لهؤلاء العلماء مُعلِمًا فريدًا في وسط سكون الليل لئلا يرجعوا إلى هيرودس. دخل الحلم إليهم جميعًا ليكشف لهم السرّ بوضوح، فيدركون ما خفي عن الجميع، أظهر لهم أن الحقد مَلَكَ على قلب الملك هيرودس ليقتل ملك الملوك. أعلن لهم الحلم بوضوح للمجوس ما فكر فيه الملك الضعيف في قلبه خفية، وبدد المشورة الشريرة التي في فكره فلم تُنفذ. كانت الحراسة مشددة في قصر هيرودس، لكنها لم تدرك أن الحلم يكشف للمجوس ما أخفاه الملك حتى عن رجال قصره.

الحلم العجيب يقود المجوس

يقول القديس مار يعقوب السروجي:

[سكوت الليل أمسك المجوس لئلا يمشوا، وجلبهم إلى موضع الأحلام حتى يُعلِمهم.
دخل التعليم بلطفٍ ليأمرهم لئلا يُحرَموا من الإرشاد حتى أثناء النوم،
دخل الحلم وكشف لهم السرّ بوضوح، أن هيرودس صنع مكرًا خفية ضد الملك.
عرّفهم بشرّه، وعما يفكر فيه، وماذا بالطفل إن وجده.
كرر هيرودس عليهم مكره وأفكار سمّه، وكان قد استعد ليس ليسجد للطفل بل ليقتله.
أفهمهم كيف هو غاضب على الطفل، ولو عرف منهم أين يسكن سيقتله.
فُضح مكر الملك أمام المرسلين، وأُستهزأ به بسبب غضبه على ملك الملوك.
ما فكر به الملك الضعيف على فراشه، أعلنه الحلم بوضوح للمجوس.
صنع الماكر كمينًا في الخفية ولم يعرف أحد به، ففضح منظر الليل سرّه أمام الكثيرين.
فُضح زيف الملك بأحلام النوم، والمكر الذي حاكه تحدثت عنه الرؤى.
بحلمه كشف الليل خفاياه، وأُعلن سرّه، وقُضي على المؤامرة ولم تُنفذ.
لم يعلن الملك ما فكر به لكاتمي أسراره، لكن الحلم فضح مكره وصار سخرية.
دون أن يدخل أحد إلى قصره ويُدرك أسراره، كانت أُعلنت كل خفاياه على السطوح.
خرجت الكلمة من بيت الملك، ولم يشعر بها الحراس الواقفون على أبوابه باحتراس.
خرج الحلم، وفضح أسرار هيرودس، ورُذل الملك الماكر أمام الغرباء.
كان وحي الليل الهادئ يعذبه ويفضحه أمام جماعة المجوس.]

قتل أطفال بيت لحم

"حينئذ لما رأى هيرودس أن المجوس سخروا به غضب جدًا، فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تخومها، من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذي تحقّقه من المجوس.

حينئذ تمّ ما قيل بإرميا النبي القائل: صوتٌ سُمع في الرامة، نوح وبكاء وعويل كثير. راحيل تبكي على أولادها، ولا تريد أن تتعزّى، لأنهم ليسوا بموجودين" (مت ٢: ١٦-١٨).

قتل أطفال بيت لحم لم يتم بمحض الصدفة، لكنّه يمثّل جزءً لا يتجزأ من حياة المخلّص، اهتم الوحي بإعلانه في العهدين القديم والجديد. لقد رأى ارميا النبي راحيل زوجة يعقوب المدفونة هناك تبكي على أولادها (أحفادها) من أجل قسوة قلب هيرودس عليهم.

ربّما يتساءل البعض: لماذا سمح ملك السلام أن تحدث هذه الكارثة بسبب ميلاده؟ في الوقت الذي فيه انطلقت الملائكة بالتسبيح تطوّب البشريّة لتُمتّعها بالسلام السماوي، وجاء الغرباء يحملون الهدايا إلى طفل المذود، إذ بالأطفال العبرانيّين يُقتلون بلا ذنب. لقد قدّم هؤلاء الأطفال عملاً كرازيًا وشهادة حق أمام العالم كله، فإنهم يمثّلون كنيسة العهد الجديد التي حملت بساطة الروح كالأطفال، التي لا يطيقها هيرودس فيضطهدها، لكنّه لا يقدر أن يكتم صوت شهادتها، إذ انطلق الأطفال كأبكارٍ لينعموا بالوحدة مع الحمل الإلهي أينما وُجد.

عبور أطفال بيت لحم إلى فوق يمثّلون كنيسة الأبكار كموكب روحي مقدّس، يتقدّمهم المصلوب البكر، يرتفعون به ومعه خلال البذل الحق ليشاركوا السمائيّين ليتورجيّاتهم وتسابيحهم العلويّة الجديدة.

في اختصار أقول أن هذا الحدث بما فيه من نحيبٍ وعويلٍ مع مرارةٍ قاسيةٍ لا يمكن إنكارها، يحمل كشفًا عن كنيسة العهد الجديد ككنيسة بسيطة بلا تعقيد، تحمل الصليب كعلامة جوهريّة تمسّ طبيعتها، كنيسة أبكار، مرتفعة إلى فوق تمارس حياتها السماويّة خلال ثبوتها في الرأس السماوي المصلوب! يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**[1]: (إذ قد تحقق ما سبق أن قيل بارميا النبي يمتلئ السامع لهذا القول بالفزع، إذ يرى مذبحة عنيفة مملوءة ظلمًا. لكنه يعود فيستريح، إذ يدرك أن ما يحدث ليس عن عجز قوة الله عن منعها، ولا عن عدم معرفة الله لها، وإنما سبق فأخبر عنه علانية بواسطة نبيّه. لهذا يليق بنا ألاّ نضطرب ولا نيأس متطلعين إلى عناية الله التي لا يُنطق بها، التي يمكن للإنسان أن يراها في أعمال الله كما فيما يسمح به من الآلام.

قدم الله لراحيل تعزية، مؤكداً عودة أبنائها، وتقديم جزاءًا لها عن عملها لحساب أطفالها الذين يردهم من السبي.)

خطة هيرودس الخفية فتحت طريق الكرازة

أراد الملك أن يقتل الطفل خفية، وإذا بحلمٍ يطلب من المجوس أن يرجعوا إلى بلدهم من طريق آخر. فكما بشروا في مجيئهم إلى أورشليم وسط المدن والقرى التي عبروا بها، ها هم يبشرون في مدنٍ وقرى أخرى عند عودتهم من طريق آخر. يقول مار يعقوب السروجي **[بصعودهم ونزولهم من عند الملك،**

[1] In Matt. hom 9: 2.

ملأوا الأرض بشارة، صعدوا في طريقٍ واحدٍ ونزلوا في طريقٍ آخر، وهم يفكرون فيه... ظل الملك الماكر منبوذًا بمكره، وكان طريق الابن قد تهيأ بالكرازة.]

المجوس يسخرون من هيرودس

يقول القديس مار يعقوب السروجي:

[عاد المجوس من عند الملك، وسلكوا طريقًا آخر، وسخروا من هيرودس الذي مكر بهم.

بهذا أشرقت بشارة الابن، وبلغت الكرازة دروب العالم كله.

صعدوا في طريقٍ واحدٍ، وكرزوا بالملك، وبنزولهم في طريقٍ آخر رتلوا انتصاراته.

بصعودهم وبنزولهم من عند الملك ملأوا الأرض بشارة جديدة بكلماتهم.

تحدثوا عن خبره على دروب العالم كله، وصعدوا في (طريقٍ) واحدٍ ونزلوا في آخر، وهم يفكرون فيه. أطالوا الكلام عن مملكته في كلا الطريقين، لتشعر الأرض جيدًا بقرابينهم.

جذبهم الحلم إلى طريقٍ آخر، فنزلوا فيه واحتقروا هيرودس الذي مكر بهم.

ظل الملك الماكر منبوذًا بمكره، وتهيأ طريق الابن بالكرازة.]

تحالف بين الشيطان وهيرودس

يرى القديس مار يعقوب السروجي أن تحالفًا تمّ بين الشيطان وهيرودس لأن الاثنين يشتركان في أمر يخص مصيرهما.

يُدعى الشيطان "رئيس سلطان الهواء" (أف ٢: ٢)، لكنه يعلم أن المسيح قادم ليحطم سلطانه فيسقط كالبرق من السماء (لو١٠: ١٨) ويهب مؤمنيه سلطانًا فيسحقون رأسه (تك ٣: ١٥). وأدرك هيرودس بأن ملكًا يُولد في بيت لحم يقيم مملكته العظيمة في القلوب.

اتسم الشيطان بالحقد وبثه في هيرودس، فبحسد إبليس حلّ الموت على البشرية. وهكذا اتسم هيرودس بالحقد، فأراد قتل الطفل الذي جاء إليه المجوس من بلاد فارس يسجدون له ويقدمون له هدايا. اشترك هيرودس مع الشيطان في رفضهما الملك العجيب صانع الخيرات. وظنوا أن لا خلاص منه إلاَّ بقتله وهو بعد طفل. يقول مار يعقوب السروجي **[حَقَدَ الشيطان مع هيرودس، ليُغلق طريق الملك بالسيف، ويمنعه من صنع الخيرات. وجد أن مجوس فارس سخروا منه، فصمم أن يُتمم القتل بسبب الطفل.]** أخفى ملك الملوك نفسه عن الشيطان، إذ صار طفلاً، وكان الشيطان مستعدًا أن يُهلك كل البشرية ولا يملك المسيًا ويخلص البشرية. بنفس الروح قيل عن هيرودس، كقول مار يعقوب السروجي **[وجد بأن الملك الذي يحاربه غير معروف، فهدد الجيش (أطفال بيت لحم وتخومها) ليبيده كله. كان يفكر بأن رئيس الجيش مختبئ في الضعف، (أي بين الأطفال)، فقال أبيد جيشه كله، فيموت هناك، وهو غير معروف.]**

كان إبليس كثعلب صغير ضعيف يطلب أن يقتل شبل الأسد، ولم يدرك أنه في بلدٍ أخرى (مصر)،

هكذا تشبَّه هيرودس بالثعلب الصغير، مُقتديًا بسيده إبليس.

ذهب الطفل ليبارك مصر وتآمر الثعلب الحقير هيرودس لإبادته

يقول القديس مار يعقوب السروجي:

[حَقَدَ الشيطان مع هيرودس، ليغلق طريق الملك بالسيف، ويمنعه من صنع الخيرات.

وجد الأثيم بأن مجوس فارس سخروا منه، فصمم أن يقتل الطفل.

وجد أن الملك الذي يحاربه غير معروف، فهدد الجيش ليبيده كله.

كان يفكر بأن رئيس الجيش مختبيء في الصف، فقال: أبيده كله، فيموت هناك، وهو غير معروف. لم يكن يعرف هيرودس الضعيف بأنه يحارب الجبار الذي ذهب ليزور بلدًا آخر، واستهزأ به. انتقل الملك إلى مصر لأجل مهمته، وظل هيرودس يتألم من جراء هذه المهمة.

كان شبل الأسد يتباهى في غابات مصر، وكان الثعلب الحقير يتآمر لإبادته.

كان النسر قد ذهب ووضع عشه في أرض مصر، وكان ملك اليهودية في جنون ليُميته.

كان الملك الماكر قد صنع كمينًا ولم ينجح، فبدأ يتآمر علنًا ليشن الحرب عليه.

وجد بأن الرسل سخروا منه واحتقروه وسافروا، فهدد بإبادة الملك الذي أتوا عنده.

شنّ الملك الظالم حربًا ضد الطفل، وبدأ يقتل أطفال صهيون دون أن يُذنِبوا.

أرسل السيف إلى بيت لحم قرية الملك ليقتل جميع الأطفال الموجودين في تخومها.

كانوا يقتلون من ابن سنتين وما دون حسب الوقت الذي أدركه من الرسل.

دخل المجوس إلى أرض اليهودية، وقد أفصحوا بتاريخ ميلاده عندما سُئلوا من قِبَل هيرودس.]

دماء الأطفال تشهد بقتل الابن

يرى القديس مار يعقوب السروجي أن قتل كل الأطفال من سنتين فما دون في بيت لحم وكل تخومها (مت ٢: ١٦) لم يحدث مصادفة، إنما بسماح إلهي لإبراز الآتي:

أ. قُتل الأطفال الأبرياء بدل الملك الآتي إلى العالم، **فصاروا شهودًا جددًا للابن المتجسد** البار الذي يُقتل على الصليب عوض البشرية.

ب. صار الأطفال الأبرياء **أصدقاء العريس السماوي**، قدموا رقابهم للذبح. وكأنهم صاروا موكبًا منطلقًا إلى الجحيم ليكرزوا للراقدين على الرجاء؛ أنه قد جاء وقت العرس!

ج. صرخات الأمهات (أي قطيع إسحق) دوت بصوتٍ عالٍ بسبب ما حلّ بهن، لأن الذئب دخل ليفتك بحملانهن العزيزة. وقد سبق فأنصت ارميا إليهن، وقال: "راحيل تبكي على أولادها وتأبى أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين" (إر ٣١: ١٥؛ مت ٢: ١٨). لم يمكنها أن تتعزى، لأنها ظنت أن واهب الحياة مات، ولم تعلم أنه هو واهب القيامة وأنه في مصر.

د. **اعتادت مصر أن تحافظ على مخلّصي الشعب،** وعندما يُظن أنهم مقتولون إذا بهم أحياء في مصر. لقد ظن يعقوب أن ابنه يوسف قتله ذئب، وإذا به في مصر مُرسل لينقذ أسرته من المجاعة الخطيرة لمدة سنوات وأيضًا ينقذ شعب مصر والشعوب المحيطة بها. صنع يعقوب حدادًا على ابنه ولم يرد أن يتعزى، فإذا بيوسف يعزيه هو وأولاده وأحفاده!

هـ. **نزل يوسف إلى مصر ليكمل أسرارًا خفية،** إذ يقول الآب السماوي: "من مصر دعوت ابني" (هو ١١: ١). كأنه بدخول يوسف أرض مصر أعلن فتح باب الإيمان بابن الله مخلص الأمم.

يرى مار يعقوب السروجي أن أطفال بيت لحم وكل تخومها اصطفوا وقاتلوا هيرودس وغلبوه، إذ لم يستسلموا لقائد الجيش، لم يكشفوا عن موضع الملك مخلّص العالم. مات الأطفال ولم يمت الملك السماوي.

تلألأ الجحيم بدخول موكب العريس السماوي، الذي يضم أطفال بيت لحم الشهداء الكارزين بمجيئه.

عُصر الأطفال الصغار وسُكب دمهم كخمرٍ أبهج المؤمنين والسمائيين. قُتلوا وهم صامتين ليصوروا العريس المصلوب الذي قيل عنه: "ظُلم اما هو فتذلل ولم يفتح فاه، كشاةٍ تُساق الى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه" (اش ٥٣: ٧).

قُتلوا وأعلنوا خبر الإيمان بالفادي بدون جدال. مات الأطفال ولم يعرفوا السبب، لكنهم أدركوا محبة الله حين التقوا به يوم صلبه وموته بالجسد وصاروا موكبًا مجيدًا يشتهي المؤمنون الانضمام إليه.

صاروا رهائن ثمينة، أرسلهم المخلّص إلى حين صلبه.

يرى القديس مار يعقوب السروجي:

[سُحبت قرعة الأطفال في أرض اليهودية، وكانوا يُقتلون بدل الملك الآتي إلى العالم.

عندما قُتلوا، صاروا شهودًا جددًا للابن، وبآلامهم مهدوا طريق قتل الابن.

الأصدقاء الأعزاء وصلوا إلى زفاف الختن (العريس السماوي)، ومن رقابهم قدموا له الدم البكر.

أبناء السكين الذين ولدتهم بطن الآلام، صاروا فعلة للملك المسيح بعذاباتهم.

السيف المسلول الذي قتلهم صار مُربيًا لهم، ومأوى الرمح حملهم ورتل لهم.

صرخت الأمهات، لأنهن رأين فظاعة موت أطفالهن المقتولين بأمر الملك الغاشم.

ولولت الكروم على عناقيدها المبكرة، لأن الخنزير دخل وعصرها، وهي على أغصانها.

بكت حقول إبراهيم بشدةٍ، لأن البَرَد نزل، وانثر منها سنابلها.

صرخ قطيع اسحق من الألم، لأن الذئب دخل ليفتك بحملانه العزيزة.

سُمع صراخ الآلام عند بنت يعقوب، لأنها رأت أبناءها يقتلهم هيرودس.

راحيل بكت على بنيها، لأنهم غير موجودين، وفي النبوات أنصت ارميا وسمع صوتها.

سمع النبي صوت بكاء عظيم في الرامة: راحيل تبكي، وتأبى أن تتعزى.

دعا الجماعة براحيل بنت لابان أم يوسف الذي تنهد أبوه بسبب عذابه.
أبى الشيخ يعقوب أن يتعزى، عندما كان يظن أن يوسف قتله اللصوص.
ولم تكن الجماعة تقدر أن تتعزى، عندما كانت تفكر بأن الملك مقتول مع الأطفال.
مصر معتادة أن تحفظ مخلّصي الشعب، وعندما يُظن بأنهم مقتولون إذا بهم أحياء فيها.
كان يوسف حيًا في مصر، وصنع أبوه حدادًا عليه، وكان يأبى أن يتعزى بسبب ابنه المحبوب.
انتقل ربنا إلى هناك ليهرب من هيرودس، وكانت راحيل تبكي، لأنه مقتول مع الأطفال.
قال لها النبي: كفى، فإن لدموعك أجر، أعني أن الملك حي لا تحزني عليه.
أن رب يوسف في مصر، وهو يعزيكِ مثل يوسف الذي أبهج أباه هناك.
نزوله إلى مصر كمّل أسرارًا خفية، لأن الآب دعاه في النبوة: من مصر دعوت ابني.
عندما كمل الملك طريقه بين المصريين، كان يُقتل بدله أطفال اليهودية.
ترك هيرودس جميع الملوك الموجودين في المنطقة، وشنّ حربًا ليُقاتل الأطفال.
وقف أمامه أطفال صهيون ليمنعوه، فاستل سيفه على الجميلين وذبحهم.
أباد الأثيم فوج الملك، ولم يؤذه شخصيًا، لقد طُعن جيشه لينجو هو من السكين.
اصطف الأطفال وقاتلوا هيرودس وغلبوه، لأنهم لم يستسلموا لقائد الجيش.
اصطف ومات جميعهم في المعركة، ولم يكشفوا عن موضع الملك لئلا يلحق به ضرر.
يا هيرودس، بماذا أذنب أطفال الشعب ضدك، معركتك جريمة، لأنك تحارب الأطفال!
تفتخر بالانتصار على رضّع اللبن، وجيشك انكسر في الحرب، لأن الملك لم يمت.
انتصر الأطفال وغلبوك، لتصير أنت سخرية، لأن قائد الجيش لم يقطعه السكين.
مات الأطفال ولم يمت العريس، لأن وقته لم يحن، طُعن المتكئون وصاحب العرس لم يُهن.
ذهب الختن ليدعو مصر لتأتي عنده، وتسلط السيف على جميع أطفاله قبل عودته.
جاء ليصنع عرس الدم في أرض اليهودية، فدُعي أطفال البلد إلى الذبح.
دخل دم الأحباء إلى العرس بدل المهر، ليتلألأ العرس بالدم منذ البداية.
كان القتل مرسومًا سريًا على الوليمة، وكل من جاء ليكون صديق العريس سُكب دمه.
خرج السرّ وقطف بكور العنب، وعُصر منه خمر جديد للعريس الملك.
دعا ابن البتول له أصدقاء بتوليين، ليصوروا قتله وذبيحته بالدم البتولي.
قُتل الانقياء لأجل النقي دون أن يذنبوا، ليمهدوا الطريق للدم الطاهر الذي سيُسكب.
أمر الملك أن يخرج السيف، ويقتل أبناء سنة وسنتين الموجودين في تخومه.
استل السيف لقتل الأطفال، وكانوا يُقتلون بدون إذن حيثما وُجدوا.
صدر أمر هيرودس، ومعه السيف ليفتك بأطفال البلد ويقتلهم.

كثرت التساؤلات على الذكور من قبل القتلة، وكانوا يُقتلون بلا رحمة على (صدور) أمهاتهم.
خرج جنود هيرودس إلى البلد، وبللوا الأرض بالدم الزكي الذي سفكوه.
رفعوا السيوف على أكتاف الأمهات، وأفرغوها من ثمراتها التي كانت تحملها.
سكبوا الدم، وملأوا حضن الوالدات، ومُتن خوفًا، لأنهن شاهدن موت أعزاءهن.
كان الطفل يمسك الثدي، فاصطاده السيف، وبالدم واللبن بللوا أمه التي تحمله.
يوجد مَن قُطع رأسه وهو نائم على كتف أمه، ومن النوم انتقل إلى الموت بصمتٍ عظيمٍ.
يوجد مَن أخذوه من ركبتي أمه التي كانت تحمله، وسكبوا دمه، وزالت أنغامه الحبيبة.
الشهود الصامتون لم يتكلموا عندما كانوا يُذبحون، ليصوروا سكوت مخلص الكل.
البسطاء الذين دخل السيف وقتلهم، لم يكونوا يعرفون أن يسألوا لماذا السيف؟
المظلومون الذين شاهدوا النور قليلاً، ولم يشبعوا منه، لأن سيف الملك الوثني المخيف ذبحهم.
المحكوم عليهم لم يكونوا يتكلمون عندما قُتلوا، لكنهم تقدموا بالسكوت إلى السكين.
كانوا معترفين، وأظهروا الأفعال بدل الكلمات، وأعلنوا خبر الإيمان بدون جدال.
الكهنة الأطهار الذين لم يعرفوا الشر نهائيًا ألقوا دمهم قدام الله بدل المجامر.
الحملان الوديعة الذين قُدموا للسكين وقُتلوا لأجل الراعي وهم ساكتون.
الأطفال الذين سحب الأثمة السيف عليهم، وذُبحوا بدل الملك الذي جاء إلى خاصته.
الفعلة الذين خرجوا ليمهدوا طريق الصلب، وبألمهم بللوها بالدم اللائق به.
الذبائح الكاملة الغريبة عن كل الأرجاس، وقد قُطعت بطهرٍ بدل رئيس الأحبار.
المحسودون الذين لم يذنبوا ضد أحد في أرض اليهودية، واستل الأثمة السيف عليهم.
الأطفال الذين شرعوا يحبَون على طريق العالم، أدركهم السيف وقطع أعضاءهم.
الأطفال الذين ماتوا دون أن يعرفوا لماذا، ذاك الذي كانوا يُقتلون لأجله عرف (لماذا قُتلوا).
أبناء يمين الملك الوليد الذين قاموا معه، واحتملوا الآلام من أجله من قبل هيرودس.
خرجت النار والسيف المسلول وأباداهم، بدل ذلك الآتي ليلقي النار في العالم كله.
كان لائقًا بهم ألمهم لأجله، لأنهم استحقوا أن يكونوا في جوار ولادته.
مهّدوا له طريق الآلام ليمشي عليه، وكل من جاء إلى الولادة صادفه السيف معه.
تسلط السيف على أبناء سنة من (تاريخ) ولادته، لئلا تتوقف مسيرة طريق الدم.
خرج الأطفال الأحباء ليمهدوها بعذاباتهم إلى أن يأتي ملك الآلام ليمشي عليها.
صار أطفال البلد رهائن مقتولين لأجل الابن، وأرسلهم ليهيئوا مكان الصلب.

اضطراب هيرودس وموته

مات هيرودس بعد قتل أطفال بيت لحم بثلاثة شهور، وقد وصف المؤرخ اليهودي يوسيفوس، كيف

اشتدّت شراهته في الفترة الأخيرة في أكل اللحم بدرجة بالغة، وأصيب بمرض النقرس وداء الاستسقاء، وقد تصاعدت منه رائحة كريهة جدًا، حتى لم يقدر أحد أن يقترب إليه.

هذه الصورة تكشف لنا عن مشاعر هذا الوحش المفترس، عند سماعه عن موكب المجوس ومجيئهم للسجود لملك اليهود. لقد جمع عدوّ اليهود رؤساء الكهنة والكتبة يسألهم خشية أن يسحب الكرسي من تحته. يقول **القدّيس يوحنا الذهبي الفم: [**لقد خشيَ أن ترجع المملكة إلى يهودي، فيطرده اليهود هو وذرّيته ويقطعونهم من الملوكيّة. حقًا كثيرًا ما يتعرّض السلطان العظيم لمخاوف شديدة. فإن الأفنان (فروع الأشجار) يمكن أن تحرّكها ريح خفيف، وهكذا الذين يسكنون الأماكن العالية تهزّهم كل إشاعة! أمّا الذين يقطنون الأماكن المنخفضة، أيّا كانت، فيكونون كالأشجار التي في الوادي غالبًا ما لا تؤثّر فيها الرياح[1].] ويقول **الأب غريغوريوس (الكبير): [**اضطرب الملك الأرضي عندما وُلد الملك السماوي، لأن السيادة الأرضيّة تضطرب عندما تظهر العظمة السماويّة[2].]

اضطرب هيرودس الأرضي الذي اتسم بالشرّ عندما أدرك أنه قد جاء من تخدمه النجوم السماويّة. حقًا إن تجلِّي رب المجد يسوع في القلب كما في مذود يزعزع هيرودس (الشيطان) الطاغية، الذي يملك بالشرّ. وكأنه إذ يملك الرب بصليبه فينا تنهار مملكة إبليس ولا تقدر أن تثبت.

كرازة الأطفال بين الموتى

يرى القديس مار يعقوب السروجي أن الملك ربّ المجد أرسلهم في طريق الصليب إلى الموتى. يعلنون أنه قادم عندهم. طلب من الأطفال القتلى أن يبلغوا الملك الغاشم أي الموت الرسالة التالية: [هأنذا آتٍ، تكفي دعوتك السريعة لي إلى موضع رئاستك.

لي وقت قصير للعمل من بعد إرسالي، وبعدئذ سآتي بجبروتٍ عندك، بتمردك أهنت البشرية كثيرًا، وهأنذا أغلبك بالبشرية التي قهرتها.

اذهبوا أيها الأطفال وامكثوا هناك في موضع الهاوية، إلى أن آتي وأفرغها من الموتى.

بعد قليل سأدرككم في الظلمة، وسأشرق عليكم نورًا عظيمًا لتفرحوا به...

اسبقوني قليلاً في طريق الآلام إلى أن آتي، وسأختمها بالصلب حتى أقيمكم.

ادخلوا وانتظروني في الهوة العظمى بما فيها من الطغمات (الشيطانية)، وعندما أتألم أصرخ فيها وستسقط كلها.

اذهبوا إلى السبي مع الكثيرين الذين قادهم الموت، وهأنذا آتٍ لأحطم قوسه وأعيدكم.]

تقدمة الأطفال عن الكنيسة

يختم القديس مار يعقوب السروجي الميمر الخاص بقتل أطفال بيت لحم وكل تخومها بأن يقبل الله

[1] In Op. Imperf. hom 2.
[2] On Gospels, hom 10.

قتلهم كمجمرة طاهرة تقدم بخورًا طيبًا له، يقبله تقدمة موضع سروره.

كما يطلب من الكنيسة ألاَّ تنشغل بالمجادلات الباطلة، بل تقدم حبًا وخدمة للمرضى والمتألمين وبهجة وسرورًا للمؤمنين والكهنة، وتمتلئ بالبتوليين.

أخيرًا يسأل القديس المخلّص الرحمة والمغفرة!

المسيح يبشر الأطفال بنزوله إلى الهاوية ليبعثهم رسلاً له

يرى القديس مار يعقوب السروجي أن قتل أطفال بيت لحم أقام منهم رسلاً للسيد المسيح، يكرزون للمؤمنين بأن المسيا المنتظر قد جاء إلى العالم، وبصلبه وموته بالجسد قادم إليهم ليحررهم من الموت ويدخل بهم إلى الفردوس:

[عندما قُتلوا أرسلهم إلى موضع الموت، ليُسمعوه بأن الملك سيأتي عند الموتى.

قيلت مثل هذه الأمور من قبل المخلص للأطفال الذين بدأوا المسيرة في طريق الصلب قبله:

اذهبوا وقولوا للملك الغاشم، هانذا آت، تكفي دعوتك السريعة لي إلى موضع رئاستك.

سآتي في طريق الآلام الذي صممتُه، وسأحلّكَ من سلطة رئاستك.

لي وقت قصير للعمل من بعد إرسالي، وبعدئذ سآتي بجبروت عندك.

بتمردك أهنت الإنسانية كثيرًا، فهأنذا أغلبك بالإنسانية التي قهرتها.

أفرِغ المكان ليدخل الأحياء إلى زنزاناتك، سآتي وسيخرج الصفوف الذين حبستهم.

اذهبوا وامكثوا في المحصنة المملوءة بالموتى، فلن أتأخر وسأقلعها لئلا تقوم بعدُ.

ناموا عن العالم، واستريحوا من سرير كل الأجيال، وعندما أنقضها سأوقظكم مع الكثيرين.

اسبقوني قليلاً في طريق الآلام إلى أن آتي، وسأختمها بالصلب حتى أقيمكم.

ادخلوا وانتظروني في الهوة العظمى مدينة الطغمات، وعندما أتألم أصرخ فيها وستسقط كلها.

اذهبوا إلى السبي مع الكثيرين الذين قادهم الموت، وهأنذا آتٍ لأحطم قوسه وأعيدكم.]

الأطفال سخروا من الموت

يصور القديس مار يعقوب السروجي عظمة هؤلاء الأطفال، إذ يرى أن الأمهات صرخن في مرارة، أما الأطفال فسرعان ما انطلقت نفوسهم، وإذا بهم يسخرون على الموت، ولعبوا بالأفعى (إش ٦٥: ٢٥) ولم يشعروا بمرارة. دخلوا إلى موضع الموت حاملين دمهم المسفوك كباكورة، وشعروا بأن دمهم الزكي الطاهر صار مكرمًا. فإن كانوا يبدون مقتولين في ضعفٍ وخزي، غير أنهم يسخرون بالموت، ويحسبونه الطريق للتمتع بالإكليل. دمهم المسفوك هو تقدمة ثمينة مقبولة ومرضية لدى الله!

[سخر الأطفال من السيف عندما قُتلوا، لأن طريق الملك كان يُمهد بآلامهم.

ضحكوا على الموت، لأنهم لم يعرفوا ما هو طعمه، ولم يحزنوا عندما جُذبوا نحو السكين.

قام الأطفال ولعبوا بالأفعى، (لعب) الأطفال بالموت ولم يشعروا بأنه مرّ.
من أطفال بيت لحم ضفر السيف إكليلاً للملك المسجود له الذي أتى ليموت ويقيم الكل.
أخذوا دمهم كباكورة، وادخلوه قدامه، ليُكرم الدم الطاهر بالدم المقدس.]

لقاء مُفرح مع أحد أطفال بيت لحم في الفردوس

دفعتني أحاديث مار يعقوب عن أطفال بيت لحم أن أتصور انطلاقي إلى الفردوس، وأتحدث مع أحد هؤلاء الأطفال. قلت له: "إن الكنيسة المجاهدة تهنئك مع زملائك أطفال ورضّع بيت لحم الذين استشهدوا على أثر ثورة هيرودس الملك حين أدرك أن كرسيه قد اهتز بميلاد الطفل يسوع، أسألك أن تخبرني عن مشاعركم وقد قتلكم جنود هيرودس وأنتم على صدور أمهاتكم.

أجابني: "حقًا انطلق جنود هيرودس يهجمون على البيوت في بيت لحم لقتل كل الذكور من سن سنتين فما دون" (راجع مت ٢: ١٣-١٩).

دخل هيرودس في معركة لم يكن قادرًا على مواجهتها، إذ ظن أنه قادر أن يقاوم الله نفسه ويبيد قواته! هجم علينا جنوده بالسيوف وهم مدربون على القتال، واغتصبونا من على صدور أمهاتنا. مزجوا اللبن الذي كنا نرضعه بدمائنا.

رأى ارميا هذه المعركة قبل حدوثها بأكثر من ستة قرون، رأى أمهاتنا ينحن علينا، فقال: "راحيل تبكي على أولادها وتأبى أن تتعزى، لأنهم ليسوا بموجودين" (إر ٣١: ١٥).

صدق النبي لأن أمهاتنا رأوا ما لم يتوقعه أحد، جيش كرَّس طاقاته لقتل رُضّع وأطفال عُزّل، وقد صاروا جثثًا ملقاة على الأرض. كانت الأمهات مع الآباء، حتى الجيران الذين ليس لديهم أطفال صغار في حالة رعبٍ شديدٍ، فقد انطلق الجنود كوحوشٍ مفترسةٍ تبحث في كل موضع عن كل طفلٍ، خشية أن يكون أحد قد خبَّأ طفلاً كي لا يُقتل.

للأسف كان الجنود أبشع من الوحوش المفترسة، فالوحش يفترس واحدًا أو اثنين لكي يأكله، أما هؤلاء فيقتلون كمن يقومون بعملٍ بطولي ويلقون الجثث على الأرض بعنفٍ وبلا هدفٍ.

حاول بعض الأتقياء جمع الجثث لدفنها معًا في مقابر حتى لا تنهشها الكلاب!

أما نحن وإن كنا قد صرخنا من بشاعة منظر الجنود، غير أننا وقد انطلقت نفوسنا من أجسادنا رأينا قوات عجيبة ملائكية تحملنا بكل اعتزازٍ وتقديرٍ، وكأننا حجارة كريمة سماوية ثمينة في أعين السمائيين.

أدركنا رعاية الربّ وحبه العجيب، فقد صرنا موكبًا في صحبة العديد من قوات السماء.

طوّبنا أنفسنا أن مخلّص العالم كله قد وهبنا هذه العطية، إذ صرنا كجنودٍ سماويةٍ حاملين قوةً وبهاءً وحكمة. حملنا ملامح الفرح والتهليل لا على جسدنا المائت، إنما على نفوسنا التي تعتز بها السماء!

لا أستطيع أن أعبّر عن حالنا بمجرد خروجنا من الجسد، فقد أشرق الربّ بنوره الفائق علينا، ووهبنا معرفة لأسراره الإلهية.

طوّبنا كلمة الله الذي تنازل بحبه وصار طفلاً، فكرّم الطفولة. ووهبنا أمجادًا في الفردوس تفوق أمجاد كثير من الأتقياء الذين سبقوا فخرجوا من الجسد!

أما عن استقبال المؤمنين الذين ماتوا على رجاء التمتع بعمل المسيًا الخلاصي، فلا يمكن للغة أن تسجله! اشتمّوا فينا رائحة المسيح الذكية، وحسبونا جوقة مبشرين لهم، أنه قد جاء ابن الله الوحيد في ملء الزمان وتجسد لأجل خلاص العالم!

كنا نصلي ونُدهش لما يفعله البشر على الأرض، خاصة أمهاتنا وأقرباؤنا، إذ كانوا كمن يرْثوننا عندما قالوا إننا حُرمنا من الحياة ولم نتمتع بشيءٍ.

مساكين هؤلاء الذين لمحبتهم لنا وعواطفهم الرقيقة كانوا ينوحون.

لقد حُرمنا من النمو لنكون صبيانًا فشبان ثم رجال وشيوخ... الحق قد نمونا في لحظات، إذ صرنا كملائكة الله، لا نخضع حتى للزمن. لن نشيخ ولا نترقب ملاك الموت!

لم نتزوج لنقيم عائلات تعتز بالأبناء، لكننا صرنا أسرة واحدة سماوية. الله هو أبونا والقوات السماوية إخوتنا إن صح التعبير.

حرمنا هيرودس من تقديم ذبائح وتقدمات في الهيكل، لكن مخلّصنا وهبنا أن نقدم نفوسنا تقدمة حب وشكر وتسبيح مقبولة ومرضية له!

لم نزُر أورشليم مدينة الله على الأرض، ونتطلع إلى الهيكل، لكن ربنا المتجسد أسرع بنا إلى أورشليم العليا، لنرى بها قدس أقداس السماء التي تعكس علينا بهاءً عجيبًا!

حرمنا عدو الخير أن نشترك في الاحتفال بالأعياد مع كل الشعب في أورشليم، وها نحن نحتفل بعيدٍ عجيبٍ لا يخضع لزمنٍ معينٍ، ونشترك مع آبائنا من آدم حتى اليوم في الاحتفال، ونترقب كل نفوس القادمين يسبحون معنا التسبحة الجديدة."

طلبات لأجل الكنيسة

يختم القدّيس الميمر بطلبة يُقَدّمها لله بمناسبة سفك دم أطفال بيت لحم الأبرياء بسبب ميلاد السيد المسيح، فيسأل الرب أن يقبل ذبحهم بخورًا طاهرًا، وتقدمة له لحساب العالم المحتاج إلى المغفرة.

كما يطلب منه أن يعطي الكنيسة نعمة في أعين الملوك والرؤساء والحكام، ويهبها السلام والأمان، ويهب أولادها الفرح والبهجة.

يطلب المغفرة لكل البشرية، والشفاء للمرضى والبهجة للكهنة، كما يطلب مراحم الله الغافرة له.

يصلي القديس مار يعقوب السروجي لأجل الكنيسة، قائلاً:

[ربي، ليكن قتلُ الأطفال بخورًا طاهرًا يُقدم لك... وليستتب السلام على أولاد الكنيسة التي تتمسك

بك، وانزع عنها الشكوك والانقسامات والخصام.

اختم بصليبك أبوابها العالية من الخصومات، ولا يدخلها الجدال المقلق من قبل الباحثين.

ليقم سلامك على زواياها المخصبة، وليمزج حبك خمره فيها لتتنعم به.

ليكن سلامك حافظًا لأبوابها باحتراس، وكل من يأتي ويطأ عتبتها يجد الأمان.

فيها تتواضع قوة السلاطين...

لتطأ الملوك (الأشرار) بعقب صليبك العالي، ولتربط السادة بنير السلام.

لتصطفّ فيها الأجواق للتسبيح لا للجدال، وليصعد منها صوت التهليل لا النقاش.

لينحنِ فيها العظماء الذين قبضوا على زمام البلدان...

ليكن صليبك علامة كبرى على أبنيتها، وليجمع إليها كل الأقطار بتكريمهم لك.

لتحنِ بأس جميع الملوك بلطفها، ولتنفذ مشاريعها بأعزاء العالم.

لتلقِ نيرها على أكتاف الهمجيين، ولتضع المحراث – الصليب على أعناقهم بمحبة.

لتمد صفوفها على الخليقة وتخضعها، ولتبارك كل الولايات وتأمرها باسمك.

لتُحنِ بأس جميع الأعزاء تحت أعتابها، وليدخلوا أمامها بنذورهم بتمييز...

ليكن رؤساء الأرض موطئا لمجدها، وتقمهم لخدمتها بمحبة.

ليكثر أمنها، ويرعد جمعها، ويبتهج أطفالها، ويرتفع قرنها، ويتعزز مجدها، ويعظم إكليلها.

ليمتلئ حضنها... وليرتفع صوتها، ولتُبهِج المستيقظين.

لتغفر للبشر، ولتضمد المرضى، وتشفي المجروحين، وتمتلئ بالبتوليين، وتبتهج بالكاملين، وتفرح بالكهنة.

بصليبك اختمها هي وأطفالها، لأنهم مفتخرون بك، ليكثر لهم السلام. هب لي نفخة المراحم، وبها يُغفر لي.

لك المجد والقوّة والعزة والجبروت إلى الأبد. آمين.]

ملاحظة

جاءت بعض العبارات في الميمر ٥ تكاد تكون متشابهة مع بعض العبارات في الميمر ٦، لأن قتل أطفال بيت لحم مرتبط بنزول الطفل يسوع إلى مصر.

من ميامر على عيد الميلاد المجيد ٦

أناشيد مُفرِحة

حول عيد الميلاد المجيد (٦)

كوكب إلى بابل وزيارة إلى مصر

للقدِّيس مار يعقوب السروجي

إلي فترة طويلة كنت أتساءل في داخل نفسي: لماذا اختارت كنيستنا الفصل الخاص بالمجوس (مت ٢: ١-١٢) في إنجيل القداس الخاص بعيد الميلاد المجيد؟ وقد جاء هذا الميمر يجيب على تساؤلي بكل قوة.

١

كوكب إلى بابل وزيارة إلى مصر ١

حديث **القديس مار يعقوب السروجي** عن المجوس القادمين من بابل وارتباطه بهروب الطفل يسوع إلى مصر هو أغنية تهز النفس بحب الله وتواضعه وحكمته، تمس حياة كل إنسانٍ يطلب الحق، ويبحث عن مستقبله الأبدي. إنه حديث يملأ النفس رجاءً وقوةً لتنعم بغنى نعمة الله الفائقة وحكمته وتحقيق خطته التي وضعها للتمتُّع بخلاصه الإلهي.

١. الربط بين بابل ومصر

باستثناء ما ورد في إشعياء ١٩، كثيرًا ما تحدث العهد القديم عن بابل ومصر بكونهما أداتيْن في يد عدو الخير، يستخدمهما لمقاومة الله نفسه في مؤمنيه أو كنيسة العهد القديم. فلا عجب أن يهتم كلمة الله المتجسد منذ طفولته بهما، ليُعلِنَ للعالم كله أنه جاء لأجل خلاص كل البشرية، مهما بلغ فسادها وعنفها ومقاومتها للحق الإلهي.

إن كانت بابل قد سَبَت الشعب القديم كما هدمت أورشليم مدينة الله وحطَّمت الهيكل، وأزالت المملكة بكل مجدها، فقد أرسل الطفل يسوع كوكبًا منيرًا يُشرِق على المجوس. استنار المجوس البابليون أو الكلدانيون، وتحرَّكوا في جدية، لكي يلتقوا بالملك مُخَلِّص العالم، يُقَدِّمون له الخضوع دون جدالٍ أو تشكُّكٍ! إن كانت مصر بفرعونها صارت رمزًا لإبليس الذي لن يكف عن بذل كل الجهد لإذلال المؤمنين واستعبادهم، يخدمونه في صنع اللبن (الطين ووحل الخطية) عوض التمتُّع بمجد أولاد الله، فقد ذهب الطفل يسوع بنفسه إليها، ليُحَطِّم أوثانها، ويُقِيم مذبحه في وسطها ويُعلِن: "مبارك شعبي مصر" (إش ١٩: ٢٥).

يتحدَّث **القدِّيس يوحنا الذهبي الفم** عن زيارة الطفل يسوع المباركة لمصر لتقديسها، فيقول: [إذ كانت مصر وبابل هما أكثر بلاد العالم التهابًا بنار الشرِّ، أعلن الرب منذ البداية أنه يرغب في إصلاح المنطقتين لحسابه، ليأتي بهما إلى ما هو أفضل، وفي نفس الوقت تتمثَّل بهما كل الأرض، فتطلب عطاياه، لهذا أرسل للواحدة المجوس، وذهب إلي الأخرى بنفسه مع أمه.] كما يقول: [تأمَّل أمرًا عجيبًا: فلسطين كانت تنتظره، مصر استقبلته، وأنقذته من الغدر[٢].]

ذاك الذي في طفولته جذب ابنة الكنعانية من المجوسية، وافتقد بنفسه مصر المُنهمِكة في السحر،

---

[١] ميامر أي مواعظ السروجي، مطبعة مصر بالفجالة، ١٦٢١ ش، ميمر ٢٣، ص ٢٨٥ الخ؛ دير القديس مقاريوس: راجع ميامر: "على ميلاد ربنا بالجسد، وعلى الكوكب الذي ظهر للمجوس وعلى قتل الأطفال" (قام بنسخها القمص بطرس السرياني واهتم بها الأب مينا المقاري)؛ الميمر ٦ على النجم الذي ظهر للمجوس وعلى قتل الأطفال (راجع نص بول بيجان ترجمة الدكتور بهنام سوني).

[2] PG 57:81.

لازال يعمل في حياة كل إنسانٍ. يُرسِلُ له من يكرِز له كنجمٍ مُشْرِقٍ، ويعمل بنفسه وبروحه القدوس في أعماقه، ليُقِيمَ فيه ملكوته الإلهي المُفرِح.

إنه مُحِبُّ البشر الذي يعمل لحسابنا مهما كان فسادنا وشرنا، يود مصالحتنا وتقديسنا! يبادرنا بحبه لنا، ويشتهي مجدنا أكثر مما نشتهيه نحن لأنفسنا! يطلب حتى المجدفين والمضطهدين لكنيسته والمفترين على الغير، كما طلب شاول الطرسوسي!

٢. يقيم من الخطاة كارزين

حقًا يقف الإنسان في دهشةٍ. بينما لم يبالِ الكهنة والكتبة الذين كانت بين أياديهم النبوات، وأخبروا هيرودس عن موضع ميلاد المسيا الملك بمجيئه، ولا أرسلوا أحدًا يتحقق من الأمر، بل قاوموه، إلا أن المجوس الوثنيين جاءوا إليه وسجدوا له دون أن يسألوا الحاضرين عن شيءٍ، ولا تعثَّروا بميلاده في مذود، ولا تحاوروا فيما بينهم، بل قبلوه ملكًا ومخلصًا!

يرى **القديس مار يعقوب السروجي** في المجوس أنهم قد تحوَّلوا إلى كارزين على مستوى فائق:

أ. كرزوا **لهيرودس** الملك؛ وقد دعاه السروجي "فرعون الثاني". لم يخشوا الملك ليُعلِنوا أنهم جاءوا يسجدون للمسيا الملك، حتى ولو لم يُولد في قصرٍ ملكيٍ!

ب. كرزوا **للكهنة والكتبة والقيادات**، فقد دعا هيرودس جماعة منهم ليخبروه عن موضع ميلاد الملك الذي ينتظرونه. بسرعة فائقة بحثوا الأمر، وجاءت إجابتهم شاهدًا عليهم، فقد عرفوا موضع ميلاده، ولم يفكروا أن يذهبوا إليه للترحيب به.

ج. مجيئهم إلى أورشليم ولقاؤهم مع هيرودس لم يكن بالأمر الخفي، فقد **سمع الشعب بالأمر**، ولعلهم سمعوا إجابة الكهنة والكتبة، ولم يتحرَّكوا للالتقاء مع ملك الملوك.

د. ما حدث خاصة وقد ارتعب هيرودس الملك في قصره من الملك السماوي المولود في مذود، وما تبع ذلك من قتل أطفال بيت لحم انتشر على **مستوى عالمي**، بل **وعبر الأجيال**. لقد اهتز تاج هيرودس المُمَجَّد أمام تاج الطفل الخفي. هكذا لا يزال الله يعمل ليُقِيم من المقاومين والخطاة، ليس فقط مؤمنين، بل وشهودًا كارزين على مستوى عجيب.

يدعوك المجوس الوثنيون أن تتحرَّك نحو المذود، ليُقِيم منك شاهدًا لمُخَلِّصك، تجتذب الكثيرين للحضن الإلهي. يقول **القدِّيس مار يعقوب السروجي:** [صاروا كارزين له وهم سائرون في الطريق، يُبَشِّرون بأن ملكًا للعالم كلّه قد أشرق. انبسطت كرازتهم لأميال في الطريق، وكسروا قلوب الملوك الذين جازوا في تخومهم، حثَّهم الحق ليكونوا له كارزين. الذين هم من الخارج صاروا شهودًا له، وبلغوا أرض اليهوديَّة... نظروها، فإذا هي هادئة، والسكوت يُخَيِّم على حكمائها الذين لم يُدرِكوا الملك الآتي لخلاصهم. أتى البعيدون ليُبَشِّروا القريبين بميلاد الملك. أرسلت ابنة الكلدانيّين الهدايا للمُخَلِّص، وابنة

إبراهيم التي في بيته لم تُكْرِمه[1].]

٣. ساعة موته لم تكن قد حانت بعد!

لماذا هرب الطفل يسوع مع القديسة مريم أمه والقديس يوسف؟ هل كان يخشى الموت ذاك الذي جاء ليُقَدِّم نفسه ذبيحة حب – بكونه آدم الجديد – لله أبيه، وذبيحة إثم عن خطايا العالم؟ ولماذا ذهب إلى مصر، ولم يذهب مع المجوس إلى بابل أو إلى أي بلدٍ آخر؟

أ. الذي أقام موتى بكلماته وسلطانه، بصليبه وموته حطَّم سلطان الموت، كيف يخاف من الموت؟ يقول الرسول: "**من أجل السرور الموضوع** أمامه، احتمل الآلام، مستهينًا بالخزي" (عب ١٢: ٢).

ب. جاء لكي يموت علانية أمام العالم، ويشهد التاريخ للبشرية بصليبه أنه يُقَدِّم الخلاص بموته.

ج. هذا ومن جانب آخر أراد افتقاد العالم غير المؤمن – من خلال مصر – ليُقَدِّم لهم إمكانية الإيمان به. فبحضوره انهارت عبادة الأوثان، وسقطت الأصنام (إش ١٩: ٢)، وظهرت أنها آلهة كاذبة. دخل لكي يُعلِنَ أنه **يُحَوِّل الزوان إلى حنطة.**

د. هرب إلى مصر بكونه آدم الجديد الذي لا يقاوم الشر بالشر، بل يهرب منه. صار الهروب من الشر ليس جُبنًا ولا ضعفًا، بل برًّا خلال الاتحاد بالمسيح القدوس البار.

هـ. هرب إلى مصر ليؤكد ناسوته، فبالحقيقة صار إنسانًا!

ز. **أظهر الطفل مجده بإرسال كوكبٍ للمجوس، كما أظهر تواضعه بنزوله هاربًا في مصر.**

٤. لماذا سمح بقتل أطفال بيت لحم؟

كثيرًا ما يقف الإنسان في حيرة، كيف يسمح ذاك الذي جاء ليُخَلِّصَ العالم ويُحَرِّره، ويَرُد إلى البشرية فرح الروح، بقتل أطفالٍ صغارٍ بلا ذنب ارتكبوه؟ بقتلهم انطلقوا إلى الجحيم يبشرون الآباء والأنبياء وكل مؤمني العهد القديم الذين ماتوا على الرجاء أنه قد جاء المسيا المُخَلِّص الذي طالما ترقَّبوا مجيئه وهم على الأرض، وانتظروه حتى وهم في الجحيم ليأتي ويحملهم إلى الفردوس.

هذا وبقتلهم انطلقوا كطغمةٍ شبة سماوية، تترقَّب مجيء المُخَلِّص **ليُسَبِّحوا له تسبحة جديدة لم يُعَلِّمهم إياها أحد من البشر.**

٥. راحيل تبكي على أولادها

سبق فتنبأ ارميا النبي عن قتل أطفال بيت لحم بقوله إن راحيل تبكي على أولادها وتأبى أن تتعزَّى، لأنهم ليسوا بموجودين (إر ٣١: ١٥). يُقَدِّم لنا **القديس مار يعقوب السروجي** مقارنة بين يوسف بن يعقوب الذي بكاه أبوه ولم يتعزَّ لأنه ليس بموجود، وبين أطفال بيت لحم الذين انتحبتهم راحيل وأبت أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين. من جانب آخر، كان سفك دماء أطفال بيت لحم

[1] دير السرّيان: تأمّلات في الميلاد، ١٩٥٨، ص ١٦-١٧.

الأبرياء رمزًا لسفك دم السيد المسيح البار. هؤلاء قدَّموا دماءهم مهرًا لتتهلل العروس الأممية، وذاك قدَّمَ دمه مهرًا للكنيسة العروس!

ملامح هذا الميمر

١. في هذا الميمر كعادته يعيش القديس مار يعقوب السروجي أحداث الكتاب المقدس، ويتلامس معها، لينعم بغنى نعمة الله الفائقة، فإن كانت حبال المحبة الإلهية والنور الإلهي قد جذبت المجوس، فإنه يرافقهم ليأتي معهم ويعترف ويسجد لطفل المذود.

٢. يُقَدِّم لنا في هذا الميمر صورة رائعة عن حب الله لكل البشرية، واشتياقه لخلاص كل الأمم والشعوب. إنه نور العالم الذي يُشرِق على العالم، فيُبَدِّد ظلام الوثنية.

٣. يعتبر السروجي أشور وفارس ومادي وبابل وبلد الشرق مرادفات تشير إلي اهتمام الله بالغرباء.

٤. يسخر السروجي من السحر والتنجيم، لأن المجوس صدقوها، ومع هذا لم يبعث الرب إلى فارس أنبياء، بل كوكبًا بصفتهم "كلدانيين"، فيجذبهم إليه بواسطة عِلْمهم ومهنتهم، مثلما يغري الصياد الطير بالطُعم الذي يحبه. كما وهب الله بلعام الساحر نبوة ليقتاد حتى السحرة إلى الحق الإلهي.

٥. يشير الكوكب الذي أتى بهم إلى موضع الابن إلي نزول الكلمة ليصير إنسانًا، فللإبن ميلادان، ميلاد أزلي من الآب قبل كل الدهور، وآخر زمني من القديسة مريم. كما يُقَدِّم مقارنة بين الولادة من حواء والولادة من المعمودية.

٦. لماذا أرسل كلمة الله كوكبًا منيرًا كرسولٍ يبشر المجوس؟

ا. لم يتمتَّع أهل بابل بالناموس والأنبياء، لكنه كمحبٍ للبشر أرسل لهم رسولاً منيرًا ومبهجًا يدعوهم للحضور إليه في المذود، ويقودهم في الطريق.

ب. كانت الكلدانية تهاجم أسفار موسى ولا تَقْبَل الأنبياء، فأرسل لها ما تحبه، وهو الفَلَك كطُعمٍ مؤقتٍ. لو أرسل لها نبيًا لما كانت تسمع له، بل تقتله.

ج. كانت بابل بعيدة، وليست من شعبه، فبعث برسولٍ سريع الحركة: كوكب عظيم!

د. كرز الكوكب بلغة الصمت مع الإشراق، فكان حديثه أكثر جاذبية من كثير من البشر.

صار مثالاً للكارز بإعلان بهاء السيد المسيح في حياته، والشهادة بالعمل أكثر من الكلام.

هـ. لم يستخدم معهم أسلوب الهجوم لإساءتهم استخدام الفَلَك، إنما جذبهم كلمة الله إليه بالكوكب الجذّاب البهي والعجيب، فتركوا الخطأ والتصقوا بالحق.

و. بالكوكب تحققت نبوة بلعام، الذي وهبه الله أن يكون مفتوح العينين، ويتنبّأ عن ظهور كوكب من يعقوب يهلك كل بني الوغي (عد ٢٤: ١٧).

٧. إذ آمن القديس مار يعقوب السروجي بالالتزام بالشهادة لإنجيل المسيح بروح الفرح، لذا يُصوِّر المجوس وهم يشهدون للسيد المسيح أينما ذهبوا، مُقَدِّمين الأخبار السارة بلغة الترتيل أو التسبيح.

بل ويُصَوِّرهم وهم في الطريق دائمي التسبيح، إذ يقول: "**رتلوا** للابن على الطريق بين الشعوب."

٨. يُقَدِّم لنا القديس مار يعقوب السروجي بتصوراته الرائعة حوارًا لاهوتيًا عن السيد المسيح بين القديسة مريم والمجوس. تسألهم القديسة مريم: كيف عرفتم بأنه إله وملك، بينما لا توجد حوله أية علامات للملوكية؟ أنا عرفته إلهًا منذ البشارة به! تدعوهم ليشهدوا لابنها لتتخلص من عنف اليهود. آمن بالمسيح المجوس الغُلف والغرل، واليهود المختونون لم يؤمنوا به.

٩. لم يهرب الرب إلى مصر لأنه خاف، وإنما لكي لا يموت قبل الأوان، فقد جاء لكي يُصلَبَ من أجل العالم، حتى لا يموت خفية، ولكي يُحَطِّم أصنام مصر. يمدح السروجي مصر التي حفظت يوسف بن يعقوب، كما حفظت الرب من شر هيرودس.

١٠. يُقَدِّم وصفًا مُطَوَّلاً لقتل أطفال بيت لحم مع ذِكْر بكاء راحيل على بنيها، ووصف شاعري لخلط الدم باللبن. وعد السيد المسيح الأطفال بأنه يأتي ويُخرجهم من الهاوية.

١١. ينتقد الفكر النسطوري الذي يجعل من السيد المسيح شخصين: الإلهي والبشري، كما ينتقد الوثنية واليهودية. لذا يرى البعض أنه وضعه بعد غلق مدرسة الرُها وهزيمة الديوفيزيتيين (أصحاب الطبيعتين المنفصلتين في السيد المسيح) بنصيبين حوالي سنة ٤٩٠-٥٠٠ م.

هذا وإنني لا أستعرض النص كاملاً، بل ما يشغلني ما يحمله القديس من فكرٍ إنجيلي يمس علاقتنا نحن مع الله، وحبه العجيب لنا، وخطته من جهة كل واحدٍ منا شخصيًا.

أقسام الميمر

بأسلوبه الشعري يُقَدِّم لنا في بداية الميمر أقسام الميمر أو النقاط التي عالجها، فيقول:

❖ اسمعوا أيها المتميزون بالحب العظيم بغير اضطراب خبر إرسال إشراق ذلك الكوكب المُضِيء.

هأنذا أُظهر ما هو غرض الميمر، لا يملّ أحد من الخبر المملوء دهشة:

١. عن الإشراق الإلهي الذي نزل من العلو **وجذب المجوس ليأتوا وينظروا الملك العظيم.**

٢. وعن ميلاد ربِّ الأعالي الذي أشرق على الأرض، **ودعا البعيدين ليفرحوا بميلاده.**

٣. وعن الرسول الذي مشى على سبيله السامي، **وبشعاع شدته اضطرب الفُرس.**

٤. وعن **أفكار التنجيم التي فُضحت به،** واصطادها، فتركت ما لها وصارت بما له.

٥. وعن استعداد رؤساء فارس الذين صعدوا إلى اليهودية، وعن **القرابين التي قدَّموها بالحب للمولود.**

٦. وعن **هيرودس، الحية الملعونة،** الذي طلب أن يقتل الأيل الشاب الذي عاد ورضَّه بقوته.

٧. وعن **آلام أطفال صهيون الذين قُتلوا،** وعن **نزول الرب إلى مصر** مثل هاربٍ.

القديس مار يعقوب السروجي

٢

كوكب إلى بابل

أشرِقْ نورك على أفكاري لأصف خبرك!

إذ يُدرِك القديس السروجي ضعفه، يطلب من شمس البرّ أن يُشرِقَ بنوره على أفكاره فيستنير، ويكرز بينهم بأخباره البهيّة، مُقَدِّمًا لهم مما لشمس البرّ الذي يشرق بنوره على الذين في الظلمة. تكشف هذه الافتتاحية عن تواضعه، فمع اعترافه بعجزه يؤمن بكلمة الله القادر أن يهبه كلمة قوية وفعَّالة تعمل فيه وفي السامعين له. كما تكشف عن قلبه الناري، ما يشغله إنارة كل نفسٍ بشمس البرّ!

❖ أيها الإشراق العظيم الذي ملأ العالم بأشعته، أَشرِق بنورك على أفكاري لأصف خبرك.
يا شعاع الآب الذي ألقى بنوره على المظلمين، أنر تفكيري لأكرز بميمر تمجيدك.
يا صورة مجد النور العظيم الذي نزل إلى الأرض، ارسمْ فيَّ كلمة مملوءة نورًا لتُظهر جمالك.
يا شمس البرّ الحسن الذي أشرق في بلدنا، صبّ فيَّ نورك، لأصف خبرك بوضوح.
بك استنارت جميع الأقطار المُظلِمة، وامتلأت الأرض بنورك البهي الذي أُرسل إليها.

القديس مار يعقوب السروجي

كوكب مُنِير يُشرِق على ظلمة الوثنيين

إن كان كلمة الله قد أرسل كوكبًا يقود المجوس، ويجتذبهم للإيمان بملك الملوك، فإنه دائم العمل في كل الأجيال لاجتذاب كل الأمم لنوره الإلهيّ.

❖ خرجت أشعتك على الأقطار وأضاءتها، وهوذا الشعوب تتنعم بنورك الذي أبهجها.
بدَّدت أشعتك كل ظلمة عبادة الأصنام، ودخلت وأقامت لك مثال النور بين المُظلِمين.
أرسلت كوكب النور رسالة للمجوس، وجذبتها وأخرجتها من الظلمة إلى نورك.
أسرع رسولك ليبشر ابنة الظلام، فمهَّد طريق إشراقك هناك لتسير فيه.

القديس مار يعقوب السروجي

المسيح يدعو القريبين والبعيدين

يقف القدِّيس في دهشةٍ، فإن كان أهل بابل لم يتمتعوا بالأنبياء، فهو مُحِب لكل البشرية، يرسل إليهم كوكبًا في بلدهم البعيد ليُبهِجَهم بالنور، ويُبَدِّد ظلمة أفكارهم، ويقودهم إلى حيث وُلد من أجلهم، فيجمع حتى الشعوب الوثنية لتلتقي به وتبتهج بخلاصه. لم يكن في إسرائيل من هو مُستعِد للذهاب إلى بابل يبشرهم بميلاده، فبعث رسوله، الكوكب العظيم والسريع، ليُثيرَهم بالبشارة السارة. ما لم يستطع شعب الله

القديم أن يفعلوه، فعله الكوكب بأسرع ما يكون بروح البهجة والرجاء المُفرِح!

❖ كان ملك الملوك يتردد في بيت المساكين، وباحتياجه كان يدعو أن يُغنِي العالم.
جاء إلى الولادة ذاك الذي يفتقد الكل بعنايته، وأرسل رسولاً عند البعيدين ليجمعهم.
برسالة واحدة أرسلها إلى البعيدين ليجمعهم، أرسل كتابًا واحدًا لبابل، فاضطربت وأسرعت لتنظر وجهه بالقرابين. أظهر أمره بالآية المملوءة عجبًا، لأن العلو والعمق يطيعان الرب.
سجَّل آية واحدة بالنور لرؤساء فارس، فحملوا قرابينهم وجاءوا يُقَدِّمونها له.
أرسل النور ليُبَدِّدَ الظلمة في موضعها، ويصنع الطريق في تيه عبادة الأصنام.
ألقى في المكان شعاعًا واحدًا من بهائه، وبإشراقه بدَّدَ ليل الطغيان.
أتى ليُنِير كل العالم بميلاده، وأرسل أولاً إلى بداية الأرض لتأتي إليه.
أرسل رسولاً نورانيًا وكارزين إلى البلد البعيد عن المُعَلِّمين ليجلبه حتى يسترشد.
وضع على كتف الهمجيين نير الإشراق، وسيَّرهم في الطريق ليأتوا إلى خدمته...
أُرسل الضوء لإنارة كل العالم، وتساوت لديه الشعوب (الأمم) والشعب لأن الكل خاصته.
حلَّ في شعب وأرسلَ لتأتي الشعوب إليه، ليُبهِجَ بإشراقه البعيدين والقريبين.
أرسل الملك رسالة نورانية إلى بيت المُظلِمين، ليُخرِجَهم من ذلك الليل الذي أخفاهم.
كتب رسالة وبعثها إلى البلد بواسطة الرسول، ليصير السلام على أرض المجوسية التي خربت.
أرسل الكوكب ليدعو البعيدين بإشراقه، لأنه لم يكن بوسع أحد من الأرض أن يذهب ويجلبهم.
طار رسوله بسرعة في الطريق المُرهِب، وأقلق المكان بالبشائر السارة.

القديس مار يعقوب السروجي

إرسال الكوكب

أرسل كلمة الله رسولاً هادئًا يتكلم بلغة الإشراق، فجذب المجوس بالنور!

❖ ماذا كانت الغاية من الكوكب الذي أرسله؟ لماذا لم يكرز هناك بنبيٍ كما في نينوى، أو بشرهم بكارز مثل ابن أمتَّاي؟ لماذا لم ينزل ويُعَلِّمهم مثل إشعياء أن البتول تحبل وتلد ملكًا بغير زواج؟ لماذا لم يُفتَحْ هناك طريق للنبوة، فيدعو المجوس باستعلاناته الإلهية؟ لأي غرض نزل عندهم كوكب النور، وبأي صوت زرع بشارة الميلاد في آذانهم؟ رسول هادئ لم يتكلم إلا بإشراقه، فكيف كرز التعليم، وكيف قُبِلَ؟ لماذا لم يُرسَلْ نبي كما قلتُ، بينما حلَّ الكوكب محل طريق الكرازة؟

القديس مار يعقوب السروجي

المسيح يقتنص التنجيم

اقتنص كلمة الله الكلدانية، متحدثًا معها بلغتها، لغة الفَلَك والكواكب. قتل ظلمتها بسلاحها، كما قتل

داود النبي جليات الجبار بسيفه. قدَّم لها الفَلَك طُعْمًا يصطادها به، كما يُقَدِّم الصيَّاد طُعْمًا يُغرِي به ما يصطاده. يُحدِّث الله كل إنسانٍ باللغة التي يفهمها، فأرسل للرعاة ملائكة، وللمجوس نجمًا. يقول **القدّيس أغسطينوس:** [أظهر الملائكة المسيح للرعاة، وأعلن النجم عنه للمجوس. الكل تكلم من السماء!... الملائكة تسكن في السماوات، والنجم يُزيّنها، وخلال الاثنين تُعلِنُ السماوات مجد الله[1].] ويقول **الأب غريغوريوس (الكبير):** [كان من اللائق أن كائنًا عاقلاً، أي ملاكًا هو الذي يُخبِرُ هؤلاء الذين استخدموا عقولهم في معرفة الله، أمَّا الأمم فإذ لم يعرفوا أن يستخدموا عقولهم في معرفته لم يَقُدهم الصوت الملائكي، بل قادتهم العلامة (النجم). لهذا السبب يقول بولس إن **النبوّة ليست لغير المؤمنين بل للمؤمنين، وأما الآية (العلامة) فليست للمؤمنين بل لغير المؤمنين**(١ كو ١٤: ٢٢)[2].] ويرى بعض الآباء مثل **العلاَّمة أوريجينوس**[3] أن المجوس أدركوا أن تعاويذهم قد بَطُلَت، وشعروا أثناء عملهم أن أمرًا يفوق السحر حدث في العالم، فتطلَّعوا إلى النجوم ليروا علامة من الله في السماء، عندئذ أدركوا كلمات بلعام: "يُبرِز كوكب مِنْ يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل... " (عد ٢٤: ١٧). والعجيب أن الله استخدم النجوم للكرازة بين الفلكيّين، إذ أراد بعضهم تأكيد مفاهيمهم الشرّيرة بذات العمل الإلهي الفائق، فادَّعوا أن لكل إنسان نجمه الذي يُسيِّر حياته لا يقدر أن ينحرف عنه. وقد انبرى كثير من الآباء يواجهون هذه الادعاءات مثل **الآباء غريغوريوس (الكبير)**[4]، **ويوحنا الذهبي الفم**[5]، **وأغسطينوس**[6]. نذكر على سبيل المثال بعض عبارات **للقدّيس أغسطينوس:** [لم يكن للنجم الذي رآه المجوس السلطان على المسيح المولود حديثًا، لم يكن هذا النجم أحد النجوم التي خُلِقَت في بدء الخليقة ويجري في مساره حسب قانون خالقه، إنَّما كان نجمًا جديدًا ظهر في هذا الميلاد العجيب من عذراء، وعكس خدمته على المجوس الباحثين عن امرأة، فتقدَّمهم ليُضِيء لهم الطريق حتى قادهم إلى الموضع حيث كان فيه كلمة الرب كطفلٍ. لم يُولَد الطفل لأن النجم كان هناك، وإنما جاء النجم لأن المسيح قد وُلِدَ. إن كان يجب أن نتحدَّث عن المصير، بالأحرى دعنا نقول لم يُحَدِّد النجم مصير المسيح (كما يدَّعي المُنَجِّمون)، بل المسيح هو الذي حدَّد مصير النجم.]

❖ هنا وجدت الكلدانية لها وسيلة، لأنها تنظر بحساب المواليد، وليس بواسطة نبي.

اتضحت لها ولادة الملك بعلم الفَلَك، واعترفت بحقوق الولادات، وسلَّمت بصحتها. اصطادها حكيم القلب بصنعتها، وبذكائه لم تعرف كيف حبسها. قتلها بالسلاح الغدَّار المُتَمَرِّس عليه، وحُبِسَت بصنعتها، وقتلها بقوة مثل جليات الجبار. كمُنَ بالتعليم في جداول الكلدانية، وأضل علم الفلك وجذبه

[1] On Eph. , Ser. 6.
[2] On Gospels, hom 10.
[3] Cont. Celsus 1:60.
[4] On Gospels, hom 10.
[5] In Op. Imperf. hom 2.
[6] Contra Faust 2:5.

خلف الحق. صنع الحق كمينًا، وأخفاه بين الفَلك، ومن هناك اصطاد التنجيمَ، وأخذها معه. تظاهر كما لو أنه اتفق معها إلى أن اصطادها، وبعد أن حبسها جذبها إليه لتصير مِلكهُ...

يلقي الصياد الطُعْمَ ليغري به؛ يغري كل جنسٍ بالطعام الذي يحبه. كان يعلم بأنه لو لم يغرِها عندما كان يصطادها، ولهذا يغوي كل جنس بما يخصه. أي طُعْمٍ كان موجودًا لصيد المجوسية، إلا الأفلاك التي تحبها؟ أعطاها شهوتها إلى أن أمسكها لتأتي إليه، لأنها لو علمت لهربت من صيادها. لو لم يظهر لها ما يخصها لما قُبلته، ولهذا أعطاها عادتها إلى حين القبض عليها.

القديس مار يعقوب السروجي

المجوسية لا تعترف بالنبوات

أراد الله أن يُخرِجَ من الآكل أكلاً، ومن الجافي حلاوة، فالنجوم التي أُستخدمت كوسيلة للتضليل يعبدها الناس (عا ٥: ٢٦)، صارت وسيلة للدخول بهم إلى الالتقاء مع الله. ما أعجب معاملات الله، إنه لا يُحَطِّم ما لنا حتى إن صار طريقًا للشرّ، إنّما **يُغَيِّر مساره، ويُحَوّله إلى الخير**؛ عِوض أن يكون خادمًا لمملكة الظلمة يصير آلة برّ لحساب مملكة النور. ما وهبنا الله من طاقات ومواهب ودوافع لا يُحَطِّمها إن تدنَّست، بل يُقَدّسها بروحه القدُّوس لتصير سرّ بُنياننا الروحي ووسائط للشهادة له.

❖ لم تكن تسمع لتعليم إشعياء؛ ولو كرز يونان لما سمعت كلماته.

لأن المجوسية لها كتب ضد موسى، ولا تميل لتعليم بيت أدوناي. الكلدانية مضادة للنبوة، ولو بشَّرها الأنبياء بشيءٍ لرجمتهم. لم تكن تميل أذنيها لتسمع موسى، وبذكائها كانت مهتمة أن تنقض كلماته. لها اهتمام بالمواليد والأفلاك، ولهذا اصطادها الحق بما تفكر فيه وجذبها.

فكرها ميَّال لينظر إلى الكواكب وتنظر فيها، ومنها وبها قهرها الحق بمهارته. تنظر إلى الكواكب وإلى عدد حساباتها، (فجذبها) الحق لتراه هناك إلى حين حبسها. له قوة على التدابير بواسطة الفَلَك، وبه أشرقت لها بشارة الابن لتنظر وجهه. الفضاء هو مُعَلِّمها، تقرأ يوميًا في كواكبه، وفيه أظهر لها حكيم القلب ملكوته... لو قال لها نبي: البتول تحبل في اليهودية، لما قبلته ما لم يُعَرِّفها الفَلَك (ذلك). كانت مُتمرِّدة مُمْتنعة عن قراءة النبوات، وكان قلبها تائهًا في التأمل في الفَلك.

وإذ كانت مُتَفَرِّسة في الفأل حسب تفكيرها، أشار إليها كوكب النور بمكرٍ أن الملك في اليهودية.

القديس مار يعقوب السروجي

استنارت المجوسية بولادة الابن

عِوَض الهجوم على استخدامهم الخاطئ للفَلك، أرسل لهم كوكبًا عظيمًا بهيًّا وقويًا فدُهِشوا، لأنهم لم يروا قط مثله. سحب قلوبهم للالتقاء به، فتركوا السحر والعِرافة والتقوا بالمُخَلِّص من كافة الشرور.

❖ يا إخوتي، لعل جميع صفوف المجوسية رأت الأفلاك في ليلة ميلاد مُخَلِّص الكل.

ركّب الحق حُجَّةٌ ما وأخرجهم، ليُظهِرَ لجميعهم العجب العظيم. وإذ كانوا يعدون ساعات الليل وحساباتها، ويراقبون الأوقات: أين؟ ومتى؟ وماذا تسير؟ أشعل الإشراق الإلهي مصباحًا، وختم كوكبًا جديدًا، وأظهره لهم بين الحسابات. في مكان معروف حيث يصنعون الحظوظ ككلمتهم، قام نور ميلاد الملك ليظهر لهم. بما هو ليس حقيقيًا دخل الحق ليجلبهم، لأنه لم تكن توجد شبكة أخرى تصطادهم. وقف كوكب بهي بنوره، وعظيم في منظره، وعزيز بإشراقه، وتلألأ جماله.

لمعانه مُضطرِم، وأشعته مُتَّقِدة، ومنظره عجيب، وكان وحيدًا، ولم يكن يوجد آخر يُشْبِهه.

المنظر الجديد حثهم ليبحثوا، وفي أسفارهم (كتبهم) لم يكتشفوا ما هو خبره.

القديس مار يعقوب السروجي

حوار بين المجوس عن ميلاد الابن

لعل الكلدانيين والبابليّين كانوا يفتخرون بأن أول إنسانٍ دُعِي جبَّارًا هو نمرود، وكان مثلاً شائعًا للجبروت. "لذلك يُقَال كنمرود جبَّار صيد أمام (ضد) الرب، وكان ابتداء مملكته بابل" (تك ١٠: ٩-١٠)، لكن لم يظهر عند ميلاد نمرود كوكب عظيم مثل ذاك الذي ظهر للمجوس، لذا أسرعوا بالذهاب إلى ذلك الملك المولود الذي ستسقط أمامه كل تيجان العالم. أرادوا أن يتمتَّعوا برضاه قبل أن يملك على العالم كله، مُعلِنين للعالم أنهم عرفوه من خلال مهنتهم وعِلْمهم للفلك. أرادوا أن يسبقوا كل ملوك الأرض وعظمائها قبل أن يكتشفه الآخرون.

❖ بمثل هذه الكلمات تحدَّث الكلدانيون: ماذا ترى؟ وكيف؟ ومن هو؟ وأين أشرق المُخَلِّص؟

جاء إلى العالم شيء عظيم بميلاده الجديد، وعليه أن يمسك برئاسة الأرض كلها.

جاء إلى الميلاد إنسان عظيم كما أدركنا، وعندما يشتهر ستخضع له جميع الأقطار.

أشرق اليوم بين المولودين ساقي (إنسان) عظيم، يُستعبَد له تاج نمرود عندما يظهر.

وُلِدَ الآن إنسانٌ قويٌ يقبض على العالم بجبروته، لنُفَتِّش وننظر: من هو؟ وأين هو؟

تسقط كل التيجان أمام تاج هذا (الإنسان)، لنتقدَّم ونذهب ونأخذ شيئًا نُقَدِّمه له...

لنذهب ونسجل أرضنا باسمه من الآن، قبل أن تقلق الشعوب بسماع جبروته.

لنجلب الذهب، ونطرحه قدامه لإكرامه، وسيشفق على أرضنا حين يصير جبارًا بمملكته.

ستعظم حِرفتنا لكوننا شعرنا به، وبعد شعورنا به يليق بنا ألا نحتقره.

لنكرمه الآن في ميلاده حيثما وُجِدَ، وسيكافئنا في ملكوته عندما يَظهر بمملكته.

قبل أن يجيء ملوك الأرض بقرابينهم، ليكن قرباننا بكرًا يُقَرَّب له.

قبل أن تأتي الشعوب عنده بقرابينهم، لنسبق نحن ونجلب هدية كبرى، ولننظر وجهه...

لمعان كوكبه أقوى من (كوكب) المولودين، لنفتش إذًا أين هو الملك، ونبلغ إليه!

القديس مار يعقوب السروجي

نبوة بلعام

قبل تجسد الكلمة بحوالي ١٥٠٠ عامًا نطق بلعام بنبوة عن هذا التجسد الإلهي، إذ يقول: "أراه وليس الآن، أُبصره ولكن ليس قريبًا، **يبرز كوكب من يعقوب**، ويقوم قضيب من إسرائيل، فيُحَطِّم طرفي موآب، ويهلك بني الوغي" (عد ٢٤: ١٧). قدم نبوة عن لاهوت السيد وناسوته، فهو الكوكب السماوي الذي جاء متجسدًا ليملك (بقضيب ملكه) على قلوب البشرية. هذه النبوة سُجِّلَتْ في كتب أبناء المَشْرِق، خلالها تعرَّف المجوس على الملك المولود حين ظهر لهم النجم في المَشْرِق.

بظهوره كوكبًا منيرًا في قلوب الأمم خلال الكرازة بالإنجيل "يُحَطِّم طرفي موآب". إن كان رؤساء موآب يعني تحطيم عمل الشيطان وخداعاته اليمينية (البرّ الذاتي) والشمالية (الخطايا والنجاسات). فالكرازة بالإنجيل تُحَرِّر موآب من رؤسائه، أو كما يقول **العلَّامة أوريجينوس:** [هذا المولود من إسرائيل يُحَطِّمهم عندما يُجَرِّد الرئاسات والسلاطين ويشهرهم جهارًا على صليبه (كو ٢: ١٥)، فيُخَلِّص الموآبيين ويقودهم إلى معرفة الرب[1].] يقول **القدِّيس جيروم:** [تعلَّموا عن ظهور هذا النجم من نبوَّة بلعام إذ هم من نسله[2].]

❖ نظر المجوس إشراق كوكب النور وتعجَّبوا، لأنه أرهبهم بأشعته بقوة.

تعلموا منه بأن الملك جاء كما سمعتم، وتوجهوا ليذهبوا إليه كما قيل... لما فتَّشوا في كتبهم لعلهم يجدوا ما قاله بلعام في نبوته لبالاق، كرز هناك أنه يُشْرِقُ كوكبٌ من يعقوب (عد ٢٤: ١٧)، ويقوم رئيس جبار من إسرائيل. كانت الشعوب تعتبر بلعام مثل مُعَلِّمٍ؛ كان ساحرًا، وكانوا يكرمون كلامه. وحين انحدر عنده قليل من وهج النبوة، اعتبروا كلمته سحرًا، بينما كانت حقيقية.

القديس مار يعقوب السروجي

الذهب واللبان والمُرّ رمز للملوكية واللاهوت والموت

قدَّم المجوس الذهب واللبان والمُرّ بحبٍ وحكمةٍ ومعرفةٍ. يقول **القدِّيس يوحنا الذهبي الفم:** [لم يُقَدِّموا غنمًا ولا عجولاً، بل بالأحرى قدَّموا الأمور التي تقترب بهم إلى قلب الكنيسة، إذ جاءوا إليه ببداءة التقدمة: معرفة وحكمة وحبًا[3].] ويقول **الأب غريغوريوس الكبير:**

[يُقدَّم الذهب كجزية للملك، ويُقدَّم البخور تقدمة لله، ويُستخدَم المُرّ في تحنيط أجساد الموتى. لهذا أعلن المجوس بعطاياهم السرّية للذين يسجدون له بالذهب أنه الملك، وبالبخور أنه الله، وبالمرّ أنه يَقْبَلُ الموت... لنُقدِّم للرب المولود الجديد ذهبًا، فنعترف أنه يملك في كل موضع. ولنُقَدِّم له البخور، إذ نؤمن أنه الله ظهر في الزمان، مع أنه قبل كل زمان. ولنُقَدِّم له المُرّ، مؤمنين أنه وإن كان في لاهوته غير

[1] In Num., hom 18.
[2] Catena Aurea.
[3] PG 51:81 (Ser. 8).

قابل للألم، فقد صار قابلاً للموت في جسدنا.

ويمكننا أيضًا بهذه العلامات أن نفهم شيئًا آخر. الذهب يرمز للحكمة، كما يشهد سليمان: "كنز مشتهى في فم البار" (أم ٢١: ٢٠ الترجمة السبعينيّة). والبخور الذي يُحرَق أمام الله يرمز لقوة الصلاة، كقول المزمور: "لتستقم صلاتي كالبخور قدامك" (مز ١٤١: ٢)، والمُرّ يرمز لإماتة أجسادنا، حيث تقول الكنيسة المُقدَّسة لعامليها الذين يعملون فيما لله حتى الموت: "يداي تقطران مرًا" (نش ٥: ٥). إننا نُقَدِّم للملك الجديد الذهب، إن كنَّا في عينيه نضيء بنور الحكمة السماوية. ونُقَدِّم له بخورًا، إن كنَّا نحرق أفكار الجسد على مذبح قلوبنا، فنرفع لله اشتياقاتنا السماوية رائحة طيبة. ونُقَدِّم له المرّ، عندما نُميتُ بالنسك شرور (شهوات) الجسد، فنقول إنه بالمُرّ نحفظ الجسد الميِّت من الفساد، كما نقول عن الجسد بأنه فسد متى غلبته الخلاعة، إذ قيل بالنبي، "عفَّنت الحبوب تحت مدرها. خلت الأهراء. انهدمت المخازن لأنه قد يبس القمح. كم تئن البهائم هامت قطعان البقر لأن ليس لها مرعى. حتى قطعان الغنم تفنى" (يوئيل١ :١٧-١٨). تُشِير الحيوانات التي تهلك في روثها إلى الجسدانيّين الذي يختمون حياتهم وسط غباوة شهواتهم[1].]

❖ أعدّوا الهدايا للملك ليُكَّرم بها، حتى يدخلوا عنده بالقرابين عندما ينظرونه. عندما اهتموا بتهيئة القرابين، قام الحق ليُعَلِّمهم ماذا يجب عليهم. فتحوا كنوزهم، وجلبوا الذهب لأنه الملك العظيم، وأخذوا المرّ لأنه يصير قتيلاً. اللبان يفيد لإكرامه، لأنه إله أيضًا: جلبوا عطورًا ومرًا وذهبًا لتُقَرَّب له. حملوا خزائن آبائهم فرحين، ليُقَدِّموا قرابينهم للملك العظيم.

القديس مار يعقوب السروجي

المجوس ينشرون البشارة

يركز القديس مار يعقوب السروجي الذي كان قلبه ملتهبًا بخلاص كل إنسانٍ، على تأكيد دور المجوس بالكرازة أينما ذهبوا، يُقَدِّمونها بروح الفرح والترتيل!

❖ صاروا كارزين وهم سائرون في الطريق يُبَشِّرون أنه أشرق الملك للعالم كله.
حثتهم حِرفتهم التي تحب المجد أن لا يخفوا السبب الذي من أجله يصعدون.
ولكي يشتهروا مثل علماء في كل البلدان، تكلَّموا كثيرًا عن ذلك الإشراق الذي جذبهم...
أينما كانوا يرحلون ويَحِلُّون، قصُّوا خبره (قائلين): طريقنا مُتَّجِه نحو عظيمٍ مولود في اليهودية.
في طريقهم أشرق تعليمه، وفي مواعيدهم كانت تُسمَع عباراتهم.
في كل موضع كانوا يحلون فيه زرعوا البشارة، وحين كانوا يرحلون سردوا خبر ميلاده.
انتشرت كرازتهم على أميال الطريق، وفي مراحلها **كانت تُرتَّل تلك الأخبار**.

[1] On Gospels, hom 10.

القديس مار يعقوب السروجي

انشغال الغُلف بالعريس بينما كان المختونون نيامًا

يُصَوِّر لنا القديس مار يعقوب السروجي المجوس الوثنيين وقد انفتحت أعينهم على مجيء ملك الملوك يشهدون له في الطريق بين الشعوب وهو يرتلون بفرحٍ، بينما كان أصحاب الناموس والمواعيد الإلهية والآباء والأنبياء في نومٍ عميقٍ لا يبالون بمجيئه، جاء الوثنيون مشتاقين إلى العريس، بينما ابنة إبراهيم لم تكرمه. يقول **القدّيس أغسطينوس:** [صار اليهود أشبه بالنجَّارين الذين صنعوا فلك نوح، فأقاموا لغيرهم طريق النجاة، أمَّا هم فهلكوا في الطوفان. إنهم يُشْبِهون المعالم التي توضع للكشف عن الطريق لكنها تعجز عن السير فيه. تعلَّم السائلون وكمَّلوا الطريق، والمُعَلِّمون نطقوا بالتعليم وبقوا متخلّفين[1].]

❖ رَتَّلوا للابن على الطريق بين الشعوب... نظروا أنها هادئة، والسكوت مُخَيِّم على حكامها، ولا يشعرون بالملك القادم ليُخَلِّصهم. كانت أم الملك نائمة، وقلبها غارق، وجاء المجوس ونادوا في آذانها. وحين أيقظها الفرس باضطراب خبر الملك المُشرِق في المكان، أُبتلِع بالدهش أهل المكان ولم يشعروا به. أرسلت أم الوثنيين الجهاز للعريس الملك، والعروس الجالسة في خدرها لم تشعر به. أرسلت بنت الكلدانيين الهدايا للمُخَلِّص، وابنة إبراهيم التي في بيته لم تكرمه.

حمل الغُلف قرابينهم ليُقَدِّموها، واحتقر المختونون خبر الملك ولم ينطقوا به. سار أبناء الغرباء في الطريق نحو العزيز، وخيَّم السكوت على أصحاب البيت ولم يشعروا به. جاءوا إلى أورشليم، وطرقوا الأبواب بأسئلتهم (قائلين): قوموا وأظهروا لنا الملك الذي أشرق على الأرض، أين هو؟

تحرَّكَت محبة النوم من أصواتهم، ولم يشعر جسدها بالحق.

انتبهت قدام البعيدين، وقامت من النوم وأجابتهم؛ لو لم يوقظها أولئك لما شعرت.

كانت بلدة النبوة نائمة عن التسبيح، وكانت بشارة الابن مُرتلة من قبل المجوس.

المُعَلِّمون ورؤساء الشعب وشيوخ صهيون صامتون، وأبناء فارس أقلقوا الأرض أن الملك في اليهودية. دخلت البشارة بفضل البرانيين عند الداخليين، لتكون الشعوب شهودًا لميلاده بقرابينهم.

ارتعش (هيرودس) من الخبر ووضع وجهه على السؤال. حلَّ فيه الرعب، وبدأ يتعلَّم عن العظيم.

دعا مُعَلِّمي المكان وشيوخه جميعهم ليتعلَّم منهم عن المُخَلِّص أين يُشرِقُ.

القديس مار يعقوب السروجي

ارتعاب هيرودس من الأخبار

عند سماعه عن موكب المجوس ومجيئهم للسجود لملك اليهود، جمع عدوّ اليهود رؤساء الكهنة

[1] On Eph. Ser 2.

والكتبة يسألهم خشية أن يُسحَبَ الكرسي من تحته.

يقول **القدّيس يوحنا الذهبي الفم:** [لقد خشيَ أن ترجع المملكة إلى يهودي، فيطرده اليهود هو وذرّيته ويقطعونهم من الملوكيّة. حقًا كثيرًا ما يتعرَّض السلطان العظيم لمخاوف شديدة. فإن الأفنان (فروع الأشجار) يمكن أن يُحَرِّكها ريح خفيف، وهكذا الذين يسكنون الأماكن العالية تهزّهم كل إشاعة! أمَّا الذين يقطنون الأماكن المنخفضة، أيّا كانت، فيكونوا كالأشجار التي في الوادي غالبًا ما لا تؤثّر فيها الرياح[1].] ويقول **الأب غريغوريوس (الكبير):** [اضطرب الملك الأرضي عندما وُلِدَ الملك السماوي، لأن السيادة الأرضيَّة تضطرب عندما تظهر العظمة السماويَّة[2].]

❖ سمع هيرودس خبر الملك وارتعب الحقير. نظر التاج إلى التاج وارتعب منه بالخوف.
ارتعب الملك ببشارة المجوس، وبدأ يسأل كيف؟ ومتى وُلِدَ؟...
دعا الكتبة وشيوخ البلد كلهم، ليستفسر منهم: كيف يشرق المُخَلِّص؟
دعا النبوة لتشرح له عن خبر الملك، لأنه خاف من بشارة المجوس.
ارتجفت يدا الشقي من قيادة مملكته، وبدأ يسأل من يكون هذا؟ وأين يسكن؟
بدون أسئلة عرفت الشعوب ميلاده، وبالجهد تَعرَّف المُعَلِّمون على خبره بالأسئلة...
استفسر الملك عن ميلاد الملك العظيم، ومفسرو المستقبل كشفوا له السرّ.
أمسكوا مصباح النبوة في تفاسيرهم، ليروا طريق الحق بترجماتهم.
سألهم الملك الضعيف عن الجبار، فأوضحوا له بأن الملك يُشرِقُ في بيت لحمٍ.

القديس مار يعقوب السروجي

صوت النبوة

❖ هكذا كُتِبَ في النبي عن بيت لحم: منكِ يخرج المُدَبِّر يرعى شعبي إسرائيل.
تكلموا معه عن إعلانات النبوة، فحطَّموا قلبه بالتفاسير التي أوردوها له.
فسَّروا له من الكتاب بأن تاجه سيَنْحَل، وأن الملك حاضر وسيرعى الشعب كله...
أحاط المجوس والمُعَلِّمون بمن هو بلا مملكة، وكان يتعذَّب بين الاستفسارات والتفاسير.
قال المجوس: أين هو الملك؟ لأنك لست ملكًا، وقال المُعَلِّمون: يُشرِقُ من بيت لحم يهوذا.

القديس مار يعقوب السروجي

أتينا لنسجد له

❖ نظر الشقي بأُمّ عينيه حقارته من كل الجهات، لأن المجوسية والنبوة حلَّتا مملكته.
نظر القرابين تَعْبُرُ أمامه بأشكالها، ولم يسمحوا له بأخذها، لأنه ليس ملكًا.

[1] In Op. Imperf. hom 2.
[2] On Gospels, hom 10.

كانوا يهينون السامي الساقط من مملكته، ولم يخافوا من إهانته لأنه انحل.
ها القرابين لا تأخذها، لأنك أنت في بلد ملك آخر وهو سيدك. يا حارس الموضع أرنا الملك أين هو لنُقَدِّمها له. ليأتِ عندنا ذاك الذي أفزعنا إشراقه في بلدنا، لأننا نودّ أن نراه ونسجد له، ولو كان طفلاً. ذاك الذي رأينا كوكب نوره يلمع، بظهوره جذبنا من أرضنا.
ذاك الذي ركب رسوله على الفَلَك، دعانا وسكب نوره، فامتلأت أرضنا بأشعته.
ذاك الذي جُعِلَت السماوات شاهدة على مملكته، وتطيعه القوات وسلاطينها.
الملكَ العظيم الذي يمتد سلطانه على الكواكب، وبأشعته أظهر إشراق جبروته.
تحيَّر هيرودس من بشارتهم الهامة عن المولود التي كانوا يذكرونها بلا خوف.

القديس مار يعقوب السروجي

النبوة والكوكب يشهدان لميلاد المسيح

❖ شهد له المجوس بقرابينهم، لأنهم رأوا إشراقه، وترجم معلمو الشعب خبره بتفاسيرهم.
شهد له الكوكب بإشراقه، والنبي بصوته، والعلو والعمق شهدا له، أنه ابن الله. سُئل الكهنة: أين يُشرق الملك؟ وقام التفسير ليُظهر جماله من النبوات. استُعلن جمال الأسرار المطمورة، لأنه قد حلَّ يوم ترتيل الخفايا. رُفِعَ حجاب السكوت عن الأسرار، وكشف الحق عن وجهه ليتكلم بوضوح... أشرق مَن جعل الاثنين واحدًا، وبه زال الغضب العظيم.
رفع الحق صوته ليتكلم من النبوة، فصارت الشعوب (الأمم) والشعب مُستمعَين ليصغوا إليه.
جاء المجوس بالقرابين من بين الشعوب، ومفسرو النبوة من داخل الشعب...
يقول المجوس: رأينا نجمه في أرضنا، ويفسر الكهنة: هوذا ميلاده في بيت لحم.
وُصِفَ من قبل المجوسية والنبوة، وتكلمت الواحدة تلو الأخرى عن ميلاده.
كرز الكوكب والصوت بميلاده، كرز النبي والنور أنه ابن الله.

القديس مار يعقوب السروجي

هيرودس يُفَكِّر بالشر

أخفى هيرودس اضطرابه بمظاهر الخداع. يقول **القدِّيس يوحنا الذهبي الفم: [**لكي يُغرِيهم على ذلك تظاهر بالتقوى، مُخفِيًا السيف وراءها. رسم بالألوان شكل البساطة على حقد قلبه. هذا هو طريق كل فاعلي الشرّ، إذ يُخَطِّطون في الخفاء ليجرحوا الآخرين، فيتظاهرون بالبساطة والصداقة[1].]

❖ احترق هيرودس بكلامهم وضُرِبَ كما بالسهام من أصواتهم. بتفاسيرهم كان يُقلِقه المجوس والكتبة، وبأجوبتهم كان يُبَشِّر بملكٍ آخر. انهمك الملك المرذول بالحسد من الملك الحقيقي، وصاغ الشر

[1] In Op. Imperf. hom 2.

ليُخَطِّط القتل بمرارة... زعزع التاج العظيم التاج الصغير، وبدأ الضعيف يتعارك مع القوي.
نظر أنه لا يقدر أن يحاربه علنًا، فصنع الزائف في الخفية حيلة لإماتته.
نظر أن الشعب جميعه عرف بأن الملك مولود، فتحيَّن الفرصة ليُجابهه ويحاربه.
دعا المحتال المجوس، وفحصهم بتصنُّع... بواسطتهم تعرَّف على الإشراق الذي جلبهم، ليتحقق من المدة التي فيها وُلِدَ الملك. قال: أمضوا، افحصوا عن الصبي باجتهاد، وإذا ما وجدتموه أعلموني، لآتي وأسجد له مثلكم... سمعه الأمميون، ولكنهم لم يعرفوا مكره، وخرجوا ليفتشوا عن الملك. عندما ذهبوا استقبلهم الكوكب بإشراقه، وبأشعته مهَّد لهم طريق الملك.
جاء ذاك الرسول الذي دعاهم وأخرجهم، ليفتح لهم الباب ويُدخِلهم.
حملهم على السفر ثم مشى بعدهم، وأتى إلى هنا مثل حبيبٍ ليستقبلهم.
كان يلزم أيضًا أن يروا إشراقه في أرض اليهودية، فصدَّقوه وتبعوه لأنه دعاهم.
ظهر لهم لئلا يحزنوا فيما لو تركهم، وليتحققوا من إشراقه أنه ليس كاذبًا. رأوه أولاً بدون تفسير النبوة، وتبعوه ولم يتشككوا من استعلانه. عادوا وسمعوا كلمات الكتبة وتفاسيرهم، وآمنوا بأن الملك يُشرِقُ من بيت لحم. وبعدئذ رأوا كوكب النور ثانية ليُعرِّف حقيقته في البداية وفي النهاية.
بظهوره لهم ثانية علَّمهم أنه كمل تفسير النبوة. بإشراقه العظيم بدأ في الطريق بالكرازة، وجاء ليُكَمِّلَها ليُبَرهِن أنه من الحق. رأوه واشتاقوا إليه بمحبةٍ، لأن نوره العظيم جعلهم يجتازون بين المُضطرِبين.
فرحوا برؤيته، وساروا وتبعوا نوره، فجذبهم إلى موضع المَلِك الحال في اليهودية.
أوصلهم إلى بيت لحم القرية المُعتصِمة، لئلا يَتِيهوا في الطرق ويسألوا.
صار لهم طريقًا منيرًا، وساروا فيها ليصلوا إلى موضع المَلِك بلا خوفٍ.
مهَّد أمامهم سبيلاً بهيًا مضيئًا، حتى بلغوا إلى الموضع حيث يحلُّ المَلِك.

القديس مار يعقوب السروجي

النجم المعجزة

يتعجب القديس مار يعقوب السروجي من موقف هذا النجم، لأن ما قام به لم يَقُم به أي نجم. ويرى مثل **القدِّيس يوحنا الذهبي الفم** أنه لم يكن نجمًا حقيقيًا كسائر النجوم، إنما هو ملاك ظهر في شكل نجمٍ، أرسله الله لهداية المجوس العاملين في الفَلَك، ويُعَلِّل **الذهبي الفم** ذلك بالآتي:

أولاً: أن مسار النجم الذي ظهر مختلف عن مسار حركة النجوم الطبيعيّة.
ثانيًا: كان النجم ساطعًا في الظهيرة والشمس مُشرِقة، وليس كبقيّة النجوم تسطع ليلاً.
ثالثًا: كان يظهر أحيانًا، ويختفي أحيانًا أخرى.
رابعًا: كان منخفضًا، قادهم إلى حيث المذود تمامًا.

ويرى **العلَّامة أوريجينوس** أنه نجم حقيقي لكنه من نوعٍ فريدٍ، إذ يقول: [إننا نعتقد أن الذي ظهر

في المَشْرِق كان نجمًا جديدًا، ليس كالنجوم العاديّة... لكنّه يُحسَب في عداد المذنبات التي تُشاهَد في أحيانٍ كثيرةٍ، أو النيازك، أو النجوم المُلتحِمة أو النجوم التي على شكل الجرار، أو أي اسم ممّا يصف به اليونانيّون أشكالها المختلفة[1].]

❖ أضاء الطريق التي ساروا فيها بنورٍ شهيٍ، ليكرموا الملك بقرابين رسوليته.

ذهب أمامهم إلى مكان وجود الطفل: وهذه أعجوبة يسمو موضوعها على التفسير.

جميع الكواكب تسير في العلو حسب أوقاتها، ولم ينزل أحد منها قط إلى العمق.

تسير حسب نظام مُنتظِم في موضع عددها، ولا تتبلبل سرعة مسيراتها السريعة.

أي منها ترك مكانه، وفي أي زمان نزل ليُرَي الطريق للبشر بصورة غير اعتيادية؟ أين نظرتم كوكبًا خرج من بين الصفوف، وجذب قافلة كمصابيح نورٍ عظيمٍ؟ متى صعد هذا الأمر الجديد على الفكر: أن ينزل كوكب ليُرِي الطريق للناس في الأرض؟ في أي وقت ترك أحد الصفوف الفضاء، ونزل ومشى مع التجار في طرقهم؟ إنها تسير في مَجَرَّة العلو، ولا تنزل لتسير في العمق. جميع القوات مربوطة بنير الأوقات، وتسير منذ القدم بكتفٍ واحدٍ متساوٍ.

أي منها أخرجَ عنقه من بين رفاقه، ونزل ومشى طريقًا في العمق وحده؟

القديس مار يعقوب السروجي

كل أمور ربنا جديدة!

❖ كل ما صار على يدَي ربنا جديد، ولم يحدث في الطبيعة، ولا حسب العادة.

أين نظرتم أمّا بتولاً إلا التي له، أو مولودًا يُرعِب الملوك ما عداه؟

لمن صارت الكواكب رسلاً إلا له، ولأي ميلاد صارت كارزة إلا له؟

لمن ظهر الكوكب في العمق إلا له؟ كل هذه الأمور سامية، وتحققت به بغير حدود؟

ليصمت المُعَلِّمون من تفسير ميلاده، والمُفَسِّرون من الاستفسارات عن تمجيده.

التفتيش عن ميمره لا يتحقق إلا بالتسبيح، وكلمته لا يُمكن أن تُفَسِّر خبره العظيم.

القديس مار يعقوب السروجي

جاء الكوكب إلى حيث يوجد الطفل

إذ تركوا الملك ظهر لهم النجم، وصار يتقدَّمهم ليدخل بهم إلى حيث كان السيِّد المسيح مُضجعًا. ما أحوجنا أن نخرج من دائرة هيرودس الخفي، أي دائرة الخطيَّة، لنكتشف علامات الطريق الملوكي.

❖ رسوله (النجم) أيضًا يُتعِب الكتبة ولا يُفَسَّر، كيف إذًا يُوصف كما هو؟

الكوكب بإشراقه يُحَيِّر من يفحصونه، لقد ترك العلو وفي العمق جذب القافلة. اشتعل، ورأى المجوس

[1] Contra Celsus 1:58.

نوره وفرحوا، وببهائه جذبهم إلى بيت لحم. خرج خلفهم مثل ساعٍ من بيت الملك، وجاء بهم ليروا ربهم بالقرابين. شوَّقهم ليسيروا في طريق نوره، ولما بلغ إلى باب الملك فتحه بإشراقه.

جاء أمامهم إلى موضع الطفل، وأشار للمجوس كما لو كان بالأصبع (قائلاً): هوذا المُخَلِّص.

صار لهم طريقًا من أورشليم إلى بيت لحم، وأدخلهم، فرأوا الملك ثم ابتعد.

القديس مار يعقوب السروجي

هدايا المجوس

برؤيتهم للسيِّد استراحت قلوبهم وزالت عنهم كل المتاعب، وكما يقول **القدِّيس يوحنا الذهبي الفم:** [قبل رؤيتهم الطفل كانت المخاوف والمتاعب تضغط عليهم من كل جانب، أما بعد السجود فحلَّ الهدوء والأمان... لقد صاروا كهنة خلال عمله التعبُّدي، إذ نراهم يُقَدِّمون هدايا[1].]

❖ دخل هؤلاء ورأوا هناك الطفل مُلقَى، والموضع محتاجًا، والمسكن مسكينًا، والبيت صغيرًا.

والأم شابة بدون مقتنيات ولا أقرباء، وملكًا مضجعًا بدون جيوشٍ. نظر المجوس إليه، ولم يتشكَّكوا في مملكته، وبإكرامهم سقطوا أمامه متوسلين. ركع الأقوياء رؤساء فارس، وسجدوا للرئيس الذي قام من إسرائيل كما أُعلِنَ. بدأ الملك يرد سبي الشعوب التي ضلت، وحيَّر السابي الذي نهبهم.

بدأ يجمع سجود الشعوب التي كان مُبَدَّدة، وبدأ من أرض نمرود القوية.

سقط بكر التيجان، وسجد له في المجوسية، لينحني ملوك آخرون قدام كرامته.

سقطت مملكة رئيس الجبابرة أمامه، لتكون كمرآة للعالم، ويتشبَّه بها.

أرض الصياد (نمرود) الواسعة قدَّمت رهائن، وبالقرابين سجلت أن الملك ربَّها.

انحنت أمامه تلك المملكة رئيسة العالم كله، لتخضع بواسطتها الخليقة كلها.

جذب الحقّ أرض بابل التي منها بدأت الرئاسة، لتسجد لذاك الرئيس.

رأوا الحجر الذي قُطِعَ بغير أيادٍ يرتطم بالتمثال العظيم، فسقط أمامه (دا ٢: ٣٤).

ضرب الرأس الذهبي فانحنى ليتعبَّد له، وذرَّ التمثال كله بالريح كالغبار.

سقطت رئاسة مادي من كرامتها قدَّام ذلك الحجر الذي امتلأت منه كل الأرض.

القديس مار يعقوب السروجي

بين الشعب والشعوب

❖ ببنت الكلدانيين خضع رئيس العالم للوارث القادم ليسترد الذي له من الناهبين.

دخلت قرابين المجوس وقُدِّمَت للملك المسجود له الذي جاء إلى خاصته بالفقر.

أُحتُقر الملك في شعبه من قِبَل الذين في الداخل، فأرسل إلى البرانيين وجاءوا إليه بقرابينهم.

[1] In Matt. hom 7:6.

جاء إلى خاصته، ولم يَقْبَلوه فبكَّتهم، لأن الغرباء أكرموه بحبٍّ.
أرسل وجلب من بين الشعوب ما يصلح له، لأنه أُحتُقر في الشعب من قبل أقربائه.
صارت الشعوب الأخرى الأولى بقرابينها، وظَلَّ الشعب الأول على الباب ولم يَدْخُلْ.

القديس مار يعقوب السروجي

لم يُجادِلْ المجوس بخصوص المسيح

كان يليق بكهنة اليهود أن يؤمنوا، خاصة من جهة تحقيق النبوات المُسَجَّلة في الكتاب المقدس، وتحقيق الوعود الإلهية، ويليق بالمجوس كدارسين الفَلَك أن يتَّسِموا بالمناقشات والجدال. لكن ما حدث أن المجموعة الأولى تجاهلت وعود الله والنبوات، وسلكوا بعدم مبالاة مع الشك. أما المجموعة الثانية فلم يُفسِدوا وقتهم بالمناقشات الغبية، بل قاموا برحلةٍ شاقةٍ، وأحضروا هدايا وتقدمات ثمينة بروح الفرح نحو مولود المذود لإعلان إيمانهم بقوة، وشهادتهم للمُخَلِّص في تحدٍ لهيرودس والقيادات اليهودية.

❖ خرَّ وسجد له المجوس بدهشةٍ بغير تشكُّك، وإذ لم يروا عجائب لم يحتقروه مثل الشعبِ...
عندما كان متكئًا على ركبتي الفقيرة، نظروا ذُلَّه ولم يتشكَّكوا في عظمته.
نظروه مُلقَى في بيتٍ مُحتَاج بدون مقتنيات ولا عظمة، وخرُّوا قدَّامه بالتكريم...
بفقره وطأ عظمة السلاطين، وبتكريمهم له سحبهم إلى عتبته.
بتواضعه أحنى تيجان الملوك ليخضعوا له، وربط الأقوياء بنيره ليفلح بهم...
منذ ذلك الحين صاروا منظرًا للعالم، ومن يسجد للابن الحقيقي عليه أن يتشبَّه بهم.

القديس مار يعقوب السروجي

إيمان بدون مناقشات غبية

❖ لم يفحصوه عندما قرَّبوا له قرابينهم، بل أكرموه بالحبِّ دون أن يخجلوا من صغره.
لم يفحصوا ميلاده في استفساراتهم، بل قدَّموا القرابين ولم يستفسروا عنه بوقاحة.
لم يجادلوا على ميلاده ثم قدَّموا تكريمهم له، بل عرفوه ملكًا ولم يفحصوه بكلماتهم.
سجدوا له بالحبِّ ولم يناقشوا ميلاده بالجدال، ليكونوا مثالاً لأهل بيت الإيمان.
جاءت الكنيسة الجديدة من بابل لتنظر الابن، ولم تفحصه، لأنها تحققت أنه الملك بالحقيقة.

القديس مار يعقوب السروجي

سجود المجوس للمسيح

❖ ركعوا، وسجدوا له، وقدَّموا له قرابينهم، وفتحوا كنوزهم، وأعطوه خزائن آبائهم.
أخذوا الذهب وقرَّبوه له كمثل ملكٍ، وأكرموه بالبخور الطيب مثل الرب.
قدَّموا الهدايا المتميزة والمتنوعة للتاج العظيم الذي منه صارت الرئاسة...

خروا وسجدوا له بخوفٍ ورعبٍ عظيمٍ، وطلبوا منه ألا يرذل قرابينهم.
لم ينظروا تاجه، وصدَّقوا بأنه سيد التيجان، وبالحب العظيم أرضوه بالقرابين.
أرعبهم تاجه الخفي، وخرُّوا قدامه متوسلين إليه أن يَقْبَلَ منهم تكريمهم له.

القديس مار يعقوب السروجي

مناجاة المجوس للمولود

يُقَدِّم لنا رجل التسبيح مناجاة رائعة تُعَبِّر عما صدر من قلوب المجوس بلغة الحب العملي والخضوع للملك السماوي.

❖ بينما كان الرسل يعطون له هذه القرابين، قالوا هذه الأمور للملك المسجود له:
ربنا، خُذْ الهدايا التي أرسلتها أرضنا لتُقرَّب لك، فأنت هو ملكنا، وخُذْ الجزية من عبيدك.
أرسل تاج نمرود رئيس الجبابرة (تك ١٠: ٨-٩) إكليلاً ليُقَدِّمه لمملكتك المجيدة.
تحت اسمك تنضم أرضنا، وأنت هو ملكها، اقبله منا وأطلقنا لنذهب بعد إرسالنا.
مملكة مادي وأشور أرسلت بأيدينا، لأنك أنت هو الملك ولك يخضع السادة.
بهذه الهدايا تتوسل المنطقة العظمى المُسْتَوْلِية على كل الولايات لتعدَّها من ولايتك.
سجَّلت أرض الملوك التي منها تخرج الرئاسة أنك ملكها منذ الآن فصاعدًا.
سجد المجوس للابن، وقدَّموا قرابينهم، وهم خائفون من مملكته بدون تشكُّك.

القديس مار يعقوب السروجي

القديسة مريم تخاطب المجوس

كعادته يعشق القديس مار يعقوب السروجي صاحب الفكر الخصب تصوير حوارات في مواقف كثيرة. هنا يتصور دهشة القديسة مريم لموقف مجوسٍ وثنيين يقطعون كل هذه المسافة، ويتقدَّمون للطفل يسوع، ويسجدون له كملكٍ عظيمٍ ويُقَدِّمون له هدايا عجيبة تبدو غير منسجمة: ذهبًا ولبانًا ومُرًّا.

إنها تسألهم، كيف عرفوا بميلاد الطفل، ومن أخبرهم عن شخصه، وماذا رأوا فيه حتى يحسبونه هكذا.

❖ انحنى الأقوياء على وجوههم متوسلين إليه، والأم البتول بحكمة تفكر في قلبها.
قالت الطوباوية مثل هذه العبارات للمجوس الذين سجدوا للابن بتكريمهم له:
أيها الناس، أين رأيتم الملك؟ ومن أرسلكم؟ اكشفوا لي السرَّ، مَن أخبركم عن مملكته؟
أي نظام وجدتموه هنا يخضع له؟ أين هو تاجه إن كان ملكًا كما تقولون؟
ها أنتم تنظرون الفقر الذي لا يفارقه، وأنا أمه فقيرة ومعوزة.
أين صفوف الشعب التي نظرتم مُحيطة به، وكم من جنودٍ تجدون أمام أبوابه لإكرامه.

كم من حملة السلاح يوجدون معه حسب كلمتكم، وكم من راكبٍ معه الآن كما تقولون.
كم من فوجٍ أُرْسِلَ أمامه إلى البلدان، وأية أفواج من خدامه موجودة معه.
هل وجدتم ذهبًا أو فضةً كما في بيوت الملوك؟ وهل له غنى أو سلطان يُكرَم به؟
هل يقف العبيد أو يطيعه الخدام؟ وهل الصفوف مُمْتَدَّة أو هل يتبعه جيش؟
هل تاجه عظيم؟ أو له مركبة للاحتفاء به؟ وهل لباسه يلمع؟ أو هل زُيِّن إكليله بالأحجار الكريمة؟
ماذا يوجد فيه يُشْبِه الملك كما تقولون؟ ومن غصبكم لتنظروا وجهه بالقرابين؟
استقبلتموه بالفقر، ومَن بشَّركم بمملكته الحقيقية؟

القديس مار يعقوب السروجي

شهادة المجوس له

في إجابة المجوس للقديسة مريم كما يتخيَّلها القديس مار يعقوب يُظهِرُون أنهم استلموا الرسالة من السماء، لذا لا يتعثَّرون بسبب تجاهل خاصته له. رأوا تاجه الملوكي، وأدركوا سلطانه بإعلان سماوي.

❖ قالوا: يا أم الملك، ابنك قوي، وبأسه يضبط العالم كله. مع كون البلد صامتًا ولم يعرفه، والشعب مُهمِل في تأدية السجود له، السماوات والكواكب تشهد لميلاده، ويشهد أبناء بلدك بكتابهم لسلطانه. الكواكب الموجودة في الفضاء تُبَرهِن على تاج الملك العظيم الذي يخر أمامه السادة.
الصفوف العلوية تُسَجِّل أن ابنك هو الملك، والمجرة رسمت له صورة جبروته.
رأينا تاجه على طريق القوات، ومنه عرفنا سلطان قوته. أيقونته العظمى موجودة على كتف الفضاء، أظهرت لنا رئاسته لنأتي إليه. ظهرت صورة مجده بين الكواكب ورأيناها، والشمس لا تُشْبِه قوته بلمعانها. هوذا رؤوس العلويين تحمل سلطانه، وينتصر تاجه على النجوم بسبيلها.
يشهد الفضاء مع كواكبه لجبروته، وبالعجب برهن لنا على مملكته.
إنه الملك العظيم بين صفوف العلويين، واسمه هناك يتفاضل على التدابير.

القديس مار يعقوب السروجي

القديسة مريم تشهد له أمام المجوس

تجاوبت القديسة مريم مع المجوس، وأعلنت لهم عن بشارة الملاك لها، وتكشف لهم عن سرِّ التجسد الإلهي. إنها لم تُخْبِرْ خطيبها يوسف الشيخ ببشارة الملاك لها حتى ظهر له الملاك في حلمٍ يطمئنه. أما هنا فلم تلتزم الصمت، إذ تعلم أن للسكوت وقت وللتكلم وقت (جا ٣: ٧).

❖ قالت الصبية: خبر اعلانكم صحيح، وأنا المظلومة، كنتُ أعرفه منذ مدة طويلة.
نعم بالحقيقة، إنه ملك العلويين، أما السفليون فلم يشعروا أنه افتقدهم.

لأنه أُرْسِلَ لي أيضًا رسول من العلويين، وعرَّفني عن ميلاده أنه ابن الله.
نزل الرسول من بين صفوف القوات، وبأعجوبة كشف لي خبره بوضوح.
قبلتُ النور من العلو بالسمع فقط، أما الزواج فلا أعرف ماذا يشبه.
حبلتُ به بعجبٍ بدون فكر الزيجة، وقبلت بشارته من العلو وحلَّ فيَّ الطفل.
لم أتزوج لأصبح أُمًّا، وكما تنظرون بتوليتي محفوظة، وها أنكم ترون لي طفلاً.

القديس مار يعقوب السروجي

المجوس يقرأون مُستقبل الابن ويُشَجِّعون مريم

في حديث جميل يُقَدِّمه المجوس لوالدة الإله، يُعَبِّرون به عن إيمانهم بطفل المذود أنه الملك السماوي الذي يتعبَّد الكل له، ويُقَدِّمون قرابينهم له. يرون بهاءه أعظم من الشمس، وتخافه كل الخليقة.

❖ قال هؤلاء: يا أم الملك لا تخافي، لأنه سيأتي وقت يتزاحم العالم كله على ابنكِ.
أطيلي أناتكِ إلى أن يصبح شابًا في مملكته، وستحمل كل الأقطار أخباره.
سيأتي يوم يُشرِق تاجه في البلدان، وتسقط قدامه شعوب الأرض وحكامها.
سيَحِين زمان وتنظرين الجموع مُحِيطين به، وستسين فقر البيت الصغير الذي يتربَّى فيه.
ستنظرين صفوف الشعوب يَخِرُّون أمامه ويكرمونه بقرابينهم ونذورهم.
بعد قليل سترتج الأرض بأخباره، وتنتشر أنباؤه على الجهات وسكانها.
يأتي وقت يستيقظ العالم ليتحدَّث عنه، وتنتشر بشارته في كل الأقطار...
سيحتل محلاً لم يشعر به أحد من الملوك، وسترتعش كل التيجان وتنحني أمام كرامته.
سيحتل درجة لم يقم فيها أحد الظافرين، وسيطأ بهاء أكاليل السادة وعماماتهم.
سيرث عرش قمة لا يبلغها الفَلَك، وسترتعب منه عروش السادة والسلاطين...
سيستولي الرعب على الحكام من سلطانه، وسيركع الأعزاء أمامه بتكريمهم له.
ستوضع علامة جبروته فوق التيجان، ويصبح الملوك في ولاياتهم موطنًا لرجليه.
سيرتعب سلطان السادة في البلدان، وتهتز منه العروش والجالسون عليها. سيشرق على الأرض أفضل من الشمس في قوتها، ويستولي على الأقطار، ولا يفلت أحد من سلطانه.

القديس مار يعقوب السروجي

تتعبَّد له كل الشعوب

❖ يوجد فيه المجد والإهانة من كل جانبٍ، ويُبَشَّر به أنه ابن الله وابن مريم...
مُحتقَر في الشعب، ولا يُكرِمه الذين في الداخل، فدعا البرانيين، وأجابوه بتكريمهم له.
ظلمه الكهنة، ولم يُقَدِّموا له عشورهم، وسجد له المجوس، وأدخلوا أمامه قرابينهم.

أمسكت عنه صهيون التسبيح المطلوب منها، فأرسلت بنت الكلدانيين السجود الواجب عليها.
عبيد الملك احتقروا الملك القادم إلى البلد، فأُكرمه البعيدون بهدايا متميزة. كتبة الشعب الذين فسَّروا خبره لم يشعروا به، وصارت بشارته الجديدة يُكرز بها بالكواكب. جاءت العدالة ولم تترك الملك يُهَان، ودعت رسولاً من بين الصفوف ليُمَهِّدَ طريقه. جاء المجوس، وقدَّموا له قرابينهم، أشرق الكوكب وأعلن الكرازة للشعوب، لئلا يُنتقصْ مجد الابن بشكلٍ من الأشكال.

القديس مار يعقوب السروجي

بميلاد الابن صارت الأرض سماء

❖ ترك (الكوكب) العلو، وبعث ضوءه في العمق، إنه يُشْبِه ربَّه الذي انحنى ونزل عند السفليين.
تنازل السيد وركض العبيد وراءه ليطيعوه، ونزل أيضًا الملائكة والكواكب لإكرامه.
تسير كل القوات وراء الملك، وحيثما يحلُّ تسكن هناك كل عساكره. نزل سيد الأعالي من عند أبيه إلى العُمْقِ، وبدأت صفوف العلو تسير على أعقابه. نزلت الملائكة، وبدأت تنزل أيضًا الكواكب، **لأن الأرض صارت سماءً بميلاده. عندما نزل، أنزل معه من العلويين، وعندما صعد، أصعد معه من السفليين.** أنزل الروحَ، وأصعد الجسد، وكمَّل الأمريْن: صار إنسانًا، وجعل الكثيرين آلهة. صار من امرأة لنكون نحن من الروح القدس... أُمَّان جديدتان لربّنا ولنا؛ مريم لربنا، والمعمودية لنا. صنع ذاك الروحاني له أُمًا جسدانية، وصنع لنا نحن الجسدانيين أمًا روحانية لتلدنا.

القديس مار يعقوب السروجي

الكوكب على باب ربّه والمستيقظون في خدمته

❖ أسرعت الكواكب، وأعطت الشهادة للأماكن لتنظر أقطار الأرض إشراقه بتكريمهم له.
خرجت أشعته إلى أرض فارس التي كانت مُظلِمة، وبجبروتٍ ربطت الظلمة هناك.
توجَّه طريقه بصورة غير اعتيادية إلى النصرة، وخلافًا للطبيعة ربط العناصر لخدمته.
نزل الكوكب والمستيقظون (السمائيون) والملاك لإكرامه، وحيثما حلَّ حضروا للخدمة.
حلَّ في مريم، وأعطاها رئيس الملائكة السلام. ودخل المغارة، وامتلأت بالمستيقظين بمدائحهم.
خرج إلى البرية وأسرع الملائكة لخدمته، ودخل القبر، ونزل معه المستيقظون لإكرامه.
حيثما وُضعت علامة الملك اجتمعت عساكره، وحيثما حلَّ حضرت صفوف قواته.
دخل ليحلَّ عند الفقيرة في بيتٍ صغيرٍ، فركض كوكب ووقف على الباب كما يقف في الفضاء...
نزل الملك والإشراق عند السفليين، لتصعد النفس والجسد إلى العلو عند العلويين.
قام النور على باب الملك كما قلنا، وصار كالمصباح للمجوس ليدخلوا عنده بنوره العظيم.

القديس مار يعقوب السروجي

حلم المجوس وفضيحة الملك الغاش

❖ دخل الحلم، وأظهر (للمجوس) السرَّ بوضوح، أن هيرودس صنع مكرًا خفية ضد الملك.
أعلمهم عن شرِّه، وما يفكر فيه، وأية حجة سيُثِيرها على الطفل إذا نظره.
كرَّر عليهم مكره وأفكاره ومرارته، وأنه استعد لا ليسجد بل ليقتل.
أفهمهم كيف هو غاضب على الطفل، وإن عرف منهم أين هو سيرتكب قتلاً.
فُضِحَ غش الملك أمام الرسل، فاستهزأوا به، لأنه يُهَدِّد ملك الملوك.
خرج الحلم وأظهر بوضوح للمجوس ما فكر به الملك الضعيف على فراشه...
فُضِحَ زيف الملك بأحلام النوم، تحدثت الرؤى عن الغش الذي حاكه.
بحلمه كشف الليل خفاياه، وأُعلن سرُّه، وقُضِيَ على المؤامرة ولم تُنفَّذ...
دون أن يدخل أحد إلى قصره ويُلِمّ بأسراره، أُعلنت كل خفاياه على السطوح.
خرجت الكلمة من بيت الملك، ولم يشعر بها الحراس الحافظون أبوابه باحتراس.

القديس مار يعقوب السروجي

المجوس يسخرون بهيرودس الغاش

في بساطة الإيمان قَبِلَ هؤلاء الرجال ما أُوحيَ إليهم في حلمٍ، ولم يتشكَّكوا في الطفل. بالإيمان تركوا طريقهم الذي جاءوا منه، ليسيروا في طريق أخرى، حتى لا يلتقوا بهيرودس، مُقَدِّمين للمؤمنين مثلاً حيًا للنفس عندما تلتقي بالسيِّد المسيح، إذ لا تعود تسلك في طريقها القديم حيث هيرودس (إبليس) يملك. يرى **الأب غريغوريوس الكبير**[1] إن هذا الطريق الجديد إنما هو طريق الفردوس، الذي تلتزم النفس أن تسلكه خلال لقائها مع ربِّنا يسوع. ويقول **القدّيس أمبروسيوس:** [لنرجع بعيدًا عن هيرودس صاحب السلطان الزمني إلى حين، فنأتي إلى المسكن الأبدي، إلى مدينتنا السمائيّة[2].]

❖ جذبهم الحلم وأكثروا الاحتقار لهيرودس الغاش.
رجع المجوس من بيت الملك الحقيقي، وغيَّروا الطريق، وسخروا من هيرودس الذي مكر بهم.
وبهذا أيضًا أشرقت بشارة الابن، وكُرِزَ به في جميع طرق العالم.
صعدوا في طريق واحدة، وكرزوا بالملك، وبنزولهم في طريق أخرى رتلوا لانتصاراته.
بصعودهم ونزولهم من عند الملك، ملأوا الأرض بشارةً جديدةً بكلماتهم.
تحدثوا عن خَبَره في طرق العالم كله، وصعدوا في طريقٍ واحدة ونزلوا في أخرى، وهم يفكرون فيه.
في كلا الطريقيْن أطالوا الكلام عن مملكته، لتشعر الأرض جيدًا بقرابينهم.

[1] On Gospels, hom 10.
[2] In Luc. hom 2.

جذبهم الحلم، ونزلوا في طريق أخرى، واحتقروا جدًا هيرودس الذي مكر بهم.
ظل الملك الغاش منبوذًا بغشه، وتهيَّأ طريق الابن بالكرازة.

القديس مار يعقوب السروجي

٣

هروب المسيح إلى مصر

هروب المسيح إلى مصر لأن ساعة موته لم تدنُ بعدُ

يرى القديس مار يعقوب السروجي في هروب الطفل يسوع المسيح إلى مصر أمرين، أنه لم يخشَ الموت، إنما لم تحن الساعة ليموت بالوسيلة التي تُحَقِّق خلاصنا. نزوله إلى مصر لا يُحسَب نزولاً إلى أرضٍ غريبة، فالأرض وملؤها للرب ومسيحه (رؤ ١١: ١٥). نزل كما إلى بلده، نزل ليُقِيم مذبحًا له فيها! كانت مصر رائدة العالم الأممي، فكانت بفرعونها تُشير في العهد القديم إلى العبوديّة، وبخصوبة أرضها تُشير إلى حياة الترف ومحبّة العالم. كان يمكن للسيد أن يلتجئ إلى مدينة في اليهودية أو الجليل، لكنّه أراد تقديس أرض مصر، ليُقِيمَ في وسط الأرض الأممية مذبحًا له. في هذا يقول إشعياء النبي: "**هوذا الرب راكب على سحابة خفيفة سريعة، وقادم إلى مصر، فترتجف أوثان مصر من وجهه، ويذوب قلب مصر داخلها... في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في وسط أرض مصر، وعمود للرب عند تُخُمها، فيكون علامة وشهادة لرب الجنود في أرض مصر... فيُعرَف الرب في مصر، ويَعرف المصريّون الرب في ذلك اليوم، ويُقدِّمون ذبيحة وتقدمة، وينذرون للرب نذرًا ويوفون به... مبارك شعبي مصر**" (إش ١٩ : ١، ١٩، ٢١، ٢٥). اهتم الوحي بهذه الزيارة الفريدة، بها صارت مصر مركز إشعاع إيماني حيّ. وكما خزَّن يوسف في مصر الحنطة كسندٍ للعالم أثناء المجاعة سبع سنوات، هكذا قدَّم السيّد المسيح فيض نِعَم في مصر لتكون سرَّ بركة للعالم كله، ظهر ذلك بوضوح خلال عمل مدرسة الإسكندرية وظهور الحركات الرهبانية والعمل الكرازي.

❖ بعد هذه الأمور قال المستيقظ (الملاك) ليوسف: قُمْ خُذْ الطفل وأمه، وانتقل إلى مصر.

لأن هيرودس مُزمِع أن يثير الخصومة على الطفل، ولم يبلغ الزمن ليحتمل الآلام كما هو مستعد. إنه مُصَمِّم على قبول القتل والذبح، ولكن ليس حاليًا، بل حين يحسن لديه. إنه مزمع أن يُطعَن بالرمح، لأنه لأجل هذا جاء، لكنه لا يموت إلا بعد أن يُكَمِّلَ عمل طريقه. إنه مستعد للموت، ولكن لم يأتِ اليوم الذي يشرب فيه كأسه، قم وأعطِ الفرصة للرمح المُصوب الذي ينتظره.

لا يتحمل آلام الذبح خفية، بل سيُذبَح علانيةً أمام الكثيرين ليُخَلِّصَهم. لا يأتي إلى الموت مستترًا مثل ضعيفٍ، بل سيُعَلَّق في العلو، وتنظر العوالم جبروته. لا يموت سرًا بغش الملك، لأنه سيهيج الشعب كله ضده ويصيح. لا يصير ذبيحة في حضن الأم الصبية، بل سيحتمل الآلام بجبروت على رأس تلٍ. لم يأتِ ليُقتَل من هيرودس خفية، بل سيموت أمام كل الخلائق ويُرعِبهم.

يهرب اليوم، ليس لأنه يخاف من هيرودس، إنما ليُبْطِلَ الغش لئلا يطرأ به. يذهب ويفتقد أهل مصر

بلطفٍ، وعندما تهدأ حِدَّة الملك يرجع إلى اليهودية. يذهب إلى أرضه، ولا يجتاز إلى ولاية أخرى، إنه يمشي (كأن مصر) في حوزته وكل البلدان سواسية لديه.

القديس مار يعقوب السروجي

سقوط أصنام مصر

افتتح إشعياء النبي نبوته عن مصر بصورة مُفرِحة تخص مصر، قائلاً: "**هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر، فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها" (إش ١٩: ١)**. يرى **القديس كيرلس الكبير** أن السحابة السريعة (بحسب الترجمة السبعينية) هي القديسة مريم التي قدَّسها روح الرب فصارت خفيفة ومرتفعة تحمل رب المجد يسوع لتهرب به إلى مصر من وجه هيرودس (مت ٢: ١٣– ١٥). بدخوله ارتجفت الأوثان واهتزت العبادة الوثنية، وذاب قلب المصريين حُبًا ليَقْبَلوه ساكنًا فيهم؛ إذ يقول: [السحابة المتألقة التي حملت الرب يسوع إلى مصر هي أُمُّه العذراء مريم التي فاقت السحاب نقاءً وطهرًا. أما المذبح الذي أُقيم للرب في وسط أرض مصر فهي الكنيسة المسيحية التي قامت على أنقاض الهياكل الوثنية على أثر تزلزل أوثانها وانهيار معابدها أمام وجه الرب يسوع[1].] ويقول **القديس جيروم:** [الرب راكب على سحابة خفيفة في طريقه إلى مصر (إش ١٩:١). يلزمنا أن نفكر في هذه السحابة الخفيفة التي تناسب جسد المخلص، لأن جسده كان خفيفًا، لم يتثقَّل بأية خطية، أو بالتأكيد القديسة مريم التي حملت طفلاً بغير زرع بشرٍ. هوذا الرب يدخل مصر هذا العالم على سحابة خفيفة، أي البتول[2].] ويقول **العلامة ترتليان:** [تُفهَم مصر أحيانًا العالم كله في إشعياء، بسبب المعتقدات الخرافية والفساد[3].]

ويقول **يوسابيوس القيصري:** [أظن أن السبب لماذا سبق فقيل إن الرب يأتي إلى مصر هو هذا: قيل إن المصريين هم أول من مارس أخطاء تعدُّد الآلهة... وتشهد الأسفار المقدسة أنهم كانوا أعداء شعب الله منذ البداية. فقد اعترف ملكهم القديم أنه لا يعرف الرب (خر ٥: ٢)[4].]

وتُسَبِّح الكنيسة في عيد دخول السيد المسيح مصر، قائلة: [افرحي وتهللي يا مصر مع بنيها وكل تخومها، لأنه قد أتى إليك محب البشر، الكائن قبل كل الدهور.]

❖ صنع يوسف كما أُمر من قبل الملاك، وأخذ حامل الكل إلى مصر مثل هاربٍ.

ركب الرب سحابة البتول المملوءة قوة، لينزل يفتقد أرض مصر المريضة... نزل إلى أرضٍ مريضةٍ بظلام الأصنام. رأت أصنام مصر المُخَلِّص وارتعبت منه وارتجفت، كما قيل في النبوة. نظر شبل الأسد إلى الثعالب فبدَّدها وسقطت قدامه كحقيرة. نظر المُظلِمون النور العظيم، واختفوا منه، وطردهم

[1] Fr. T. Malaty: Introduction to the Coptic Orthodox Church, Ottawa 1088, ch 1.
[2] On Psalms, hom. 11.
[3] An Answer to the Jew 9.
[4] Proof of the Gospel 9:2.

بشعاعه من الجهات.

لبست جمرة النار جسدًا، وخرجت إلى الأماكن التي فيها الزوان لتحرقها من الأراضي. ارتعبت أعمدة مصر الحاملة للأصنام، ارتجفت كلها من ذاك الذي جاء ليكسرها بصلبه. تهدمت كل منصات الذبائح برئيس الأحبار الذي جاء ليُذبَحَ حتى يُبْطِلَها. دخل الحق وهمس في آذان الأصنام وأفزعها، ودعاها لتسقط ولو أنها لا تسمع. قيلت مثل هذه الكلمات من قبل العدالة لأصنام مصر الغنية بالسجدات: اسقطي أيتها الشقية، كفى أنكِ انتصرتِ باطلاً، لقد جاء المسجود له، فاتركي له المكان ليقوم على مُلْكِه.

اتركي أيتها القشور الجافة المكان لابن الله، انزلي يا صورة الضلالة من قصوركِ.

انكسري أيتها الأصنام الفاسدة التي صارت فخاخًا للساجدين لها، ولا تصطادي بعد للفساد.

اهربوا أيها المحتقرون من الجبار الآتي عليكم، ولا تقوموا بعد في مكان الملك، لأنه بلغ إليه.

أيها العبيد الذين أخذوا اسم الإله وكدَّروا الأرض، هوذا الخالق قد نزل من موضعه ليفضحكم.

خرجت الريح لتجمع الأشواك من الحقول، فاهرب أيها الزوان من العاصفة سيدة الأقطار.

تحرَّك قطيع الأصنام من الجبار وبُشِّرَتْ صفوف التماثيل بالسقوط.

خرج الملك على الأراضي الحزينة، وبدأ المسجود له يفَّرحها بمسيره.

القديس مار يعقوب السروجي

خدمة بابل ومصر

❖ خرج النور ليقتل ظلام الليل من العالم، وبحكمة صاده من كل الجوانب.

أرسل إلى بابل كوكب النور لتأتي إليه، ونزل أرض مصر لتستضيء به.

طرح شبكته هنا وهناك في العالم جميعه لكي تجتمع جميع الخليقة لصيد الحياة.

بدأ يفتقد الجهتين المتشامختين بصنعتهما، ويُنعِمها بتعليمه. جذب ابنة الكلدانيين بعصا النور فجاءت، ونزل بأقنومه يفتقد سيدة السحر. بدأ يقمع المجوس والسحر ليحلَّ من اثنتيهما جميع عقد الإثم. دبَّر سببًا أن يهرب من هيرودس، ويفتقد مصر ليُحلِّي مرارتها. لولا أنه استعد ليفتقد أرض مصر، إذًا لماذا لم يهرب إلى بابل مع رسلها؟ حلَّ جهة الطريق الواحدة بكوكب النور، وهرب للأخرى ليزرع الرجاء في الاثنتين. أرسل للواحدة وأتت لتكرمه بالقرابين، وافتقد الأخرى برجليه بالتواضع. في الواحدة أظهر شدة إشراقه العظيم، وللأخرى هرب بالتواضع.

القديس مار يعقوب السروجي

هروبه إلى مصر

يرى القديس مار يعقوب السروجي أن هروب السيِّد المسيح من الشرّ أكَّد حقيقة تجسُّده، وكما يقول

القدّيس يوحنا الذهبي الفم: [لو أنه منذ طفولته المُبَكِّرة أظهر عجائب لما حُسِبَ إنسانًا[1].]

❖ قوات العلو مُسرِعة على طريقه، وبين الطرق حملته الصبية ليهرب.

هو الذي يُحَرِّك الكاروبيم، وها هو يتحرَّك ليهرب من إنسانٍ...

هرب من الحربة، ليس أنه بالكمال تحوَّل عنها، بل **حفظ إنسانيته، ليعطيها ما يَخُصها.**

حين وضع وجهه للصلب، حدَّد للآلام القامة الكاملة. من أجل هذا هرب منها في الطفولية.

حفظ سياسة جسده لئلا تتخبط، ووضع زمانًا لتربيته ليقوم بما يخصه. لم يبطل فعل الصالحات، لأنه لما هرب تدبَّر بما يخصه. افتقد الأرض المريضة بالمراحم ليهبها الصحة. ودعا آلهة المكان للهدم. نزل بميلاده ليُعَزِّي المتواضعة، لأنها كانت نائمة على ذبح الأطفال.

أرض مصر التي استتر فيها موسى عبده، مضى ليُكَمِّلَ فيها صورة الأسرار التي ارتسمت لها.

القديس مار يعقوب السروجي

غضب هيرودس ومكيدته

❖ نظر الأثيم (هيرودس) أن مجوس فارس استهزأوا به، واغتاظ ليصنع القتال مع الطفل.

نظر أنه لا يعرف مَن هو الملك ليقاتله، فصمم أن يقتل جميع العسكر (الأطفال)...

فكر أن عظيم القوات داخل صفوفهم. قال: أقتلهم جميعًا، وهناك يموت ولا يُعرَف...

لم يعرف الشقي المُقاتِل مع الجبار، أنه مضى يفتقد مكانًا آخر واستهزأ به. انتقل الملك إلى مصر، وبقي هيرودس في مرارةٍ بالفعل. يتباهى شبل الأسد في غابات مصر، وباشق (الطير المُفترِس) في اليهودية بجنون يود أن يقتله... صنع الملك الغاش كمينًا ولم يفلح...

نظر أن الرسل استهزأوا به واحتقروه وسافروا... صف الملك الشرير القتال مع الأطفال، وبدأ يقتل أطفال صهيون بغير ذنبٍ. أرسل الحربة على بيت لحم قرية الملوك، ليقتل جميع الأطفال الذين في تخومها. قتل ابن سنتين ونازلاً حسب الزمان الذي عرفه من الرسل.

دخل المجوس أرض اليهودية بعد سنتين، ولما سُئلوا مِنْ هيرودس أظهروا له ذلك.

القديس مار يعقوب السروجي

الأطفال الشهداء

دعا هيرودس إلى معركة رهيبة، مطالبًا بإهلاك أطفال بلده الذين من سنتين فما دون. صرخت الأمهات، لأنهن رأين فظاعة موت أطفالهن القتلى بلا مُبَرِّرٍ، فقد دخل الذئب ليفتك بحملانه العزيزة.

ماذا فعل سيف هيرودس بالأطفال الأبرياء؟ كشف عن حقيقتهم أنهم شهداء جُدد، وسابقو المسيح الذين يُهَيِّئون الطريق أمامه، ورفقاؤه المحبوبون، وفعلة الملك العاملون لحساب ملكوته، يتمتَّعون بتهليل

[1] In Matt. hom 8:4.

النصرة. لا يُهلِكهم السيف، بل يكلَّلهم.

❖ سُحِبَتْ قرعة الأطفال في أرض اليهودية، وقُتِلُوا عوض الملك الآتي إلى العالم.
عندما قُتلوا صاروا للابن شهداء جُدد، وبآلامهم مهَّدوا طريق قتل الابن...
رفقاء محبوبون بلغوا إلى زفاف العريس، وقدَّموا له الدم البكر من أعناقهم.
أبناء السكين الذين ولدتهم البطن المتألمة، صاروا فعلة للملك المسيح بعذاباتهم.
صار السيف المسلول الذي قتلهم مُرَبِّيًا لهم، وحملهم كتف الرمح ورتل لهم بالنصرة.
صرخت الأمهات حين نظرن الحربة في أولادهن، لأنهم قُتلوا بأمر الملك الغاشم.
ولولت الكروم على باكورة عناقيدها، لأن الخنزير دخل ومضغها، وهي على أغصانها...
صرخ قطيع اسحق من الضيقة، لأن الذئب دخل ليفتك بحملانه المحبوبة.

القديس مار يعقوب السروجي

راحيل تبكي على أولادها

❖ بكت راحيل على أولادها، لأنهم غير موجودين، أنصت ارميا بإعلان النبوة وسمع صوتها.
سمع النبي صوتًا في الرامة بكاءً عظيمًا، راحيل تبكي، وتأبى أن تتعزَّى. لُقِّبَتْ هذه الجماعة راحيل التي هي ابنة لابان، وأم يوسف الذي ناح أبوه على عذابه. لم يرد الشيخ يعقوب أن يتعزَّى، حين ظن أن يوسف قتله اللصوص. ولم ترد الجماعة أيضًا أن تتعزَّى، حين اهتم الملك الشرير بقتل الأطفال... قال لها النبي: كفى، فإن لدموعك أجرًا، أعني أن الملك حي، لا تحزني عليه.
ها بمصر كنز الشبع يُعَزِّيكِ، رب يوسف الذي فرَّح أباه.
نزوله إلى مصر كمَّل أسرارًا خفية، لأن الآب دعاه في النبوة: ابني من مصر.
قام قدامه أطفال صهيون ليمنعوه، واستل سيفه على الجميلين وذبحهم...
يا هيرودس، بماذا أذنب أطفال الشعب ضدك، معركتك جريمة بشعة، لأنك تحارب الأطفال!

أصدقاء العريس

يدعو القديس مار يعقوب السروجي أطفال بيت لحم أصدقاء العريس، الذين هيَّأوا بدمهم عُرْسَه، الذي هو عُرْسُ الدم، حيث قدَّم العريس دمه على الصليب مَهرًا لعروسه المحبوبة لديه. عُصِرُوا بقتلهم كعناقيد عنب، فأخرجوا خمرًا سماويًا يُسْكِرُ النفس بالحب الإلهي.

❖ مات الأطفال ولم يمت العريس، لأن وقته لم يحن، طُعِنَ المتكئون، وصاحب العرس لم يُهن.
مضى يدعو مصر لتأتي معه، وتسلطت الحربة على جميع أصدقائه قبل عودته.
جاء ليصنع عُرْسَ الدم في أرض اليهودية، فدُعِي الأطفال ليُذبَحوا هناك.
دخل دم الأحباء إلى العُرْسِ عوض الأطياب، ليتلألأ العُرْسُ بدم البتوليين...

أهرقوا الدم، وملأوا أحضان الوالدات، ومُتن من الخوف، لأنهن شاهدن موت أعزائهن.

القديس مار يعقوب السروجي

شهداء هادئون

كان بعض الرُضع نائمين في سلام على رُكب أمهاتهم، فانطلقوا من النوم إلى الموت بسلامٍ عجيبٍ. ظُلموا لكنهم تمتَّعوا بالنور السماوي. دعاهم القدِّيس يعقوب الشهداء الهادئين والبسطاء والمظلومين والمعترفين والكهنة الأطهار وفعلة الرب المصلوب، والذبائح التي بلا عيب.

❖ كان الطفل يمسك الثدي فيصطاده السيف، وبالدم واللبن بلَّلوا أمه التي تحمله.

يوجد مَن قُطِعَ رأسه وهو نائم على كتف أمه، ومن النوم انتقل إلى الموت بهدوءٍ عظيم.

يوجد مَن أخذوه من ركبتي أمه التي كانت تحمله، وأهرقوا دمه، وبقيت نظرته المحبوبة هكذا.

شهداء هادئون لم يتكلموا عند ذبحهم، ليُصَوِّروا السكوت العظيم الذي لمُخَلِّص الكل...

دخل السيف على البسطاء ليقتلهم، ولم يكونوا يعرفون أن يسألوا عن الحرب ما هي.

كانوا كهنة أطهارًا لم يعرفوا الشرور قط، وعوض البخور قدَّموا دمهم إلى الله.

كانوا حملانًا وديعة، قُدِّموا للسكين، وقُتِلُوا وهم ساكتون من أجل الراعي...

فعلة، خرجوا ليمهدوا طريق الصلب، وبآلامهم صبغوها بالدم اللائق به...

صار اطفال المكان رهائن مقتولين لأجل الابن، وأرسلهم ليهيئوا موضع الصلب.

القديس مار يعقوب السروجي

المسيح يبشر أطفال بيت لحم بنزوله إلى الهاوية ليُقِيمهم

يصور القدِّيس حديثًا رائعًا يصدر من السيد المسيح إلى أحبائه المُقرَّبين إليه وهم يستعدون للرحيل إلى الهاوية، ليَتَحَدُّوا هيرودس بروح القوة، فيخاطبوه باسم المُخَلِّص. يأمرهم السيد أن يهبوا ويستريحوا على سرير الموت، فيأتي ويوقظهم وينطلق بالمأسورين إلى حرية مجد أولاد الله.

❖ عندما قُتِلوا أرسلهم إلى موضع الموت، ليخبروه أن الملك سيأتي عند الموتى.

قال المُخَلِّص مثل هذه الأمور للأطفال الذين بدأوا المسيرة بطريق الصلبوت قدامه:

اذهبوا وقولوا للموت الغاشم، إني أنا آتٍ، لا تسرع لتدعوني إلى موضع رئاستك.

لأني قد أعددت لنفسي طريق الآلام الذي صممتُه، لآتي وسأحلّكَ من سلطان رئاستك...

كفاك تُدخل الأحياء إلى مكان حبسك. لأنني آتٍ وأخرج صفوف الذين حبستهم.

امضوا أيها الأطفال، وامكثوا هناك في مكان الهاوية، حتى آتي وسأفرغها من الموتى.

ها بعد قليل أدرككم وسط الظلام، وأشرق عليكم النور العظيم لتفرحوا به.

اذهبوا وامكثوا في الهاوية المملوءة بالموتى، فلن أتأخر بهدمها، فلا تقوم بعدُ.

أضجعوا من العالم واستريحوا على سرير جميع الأجيال. وعندما أحُلها سأوقظكم مع الكثيرين.
اسبقوني قليلاً في طريق الآلام إلى أن آتي، وأكملها بالصلبوت وأُقيمكم.
ادخلوا، انتظروني في الهاوية العظيمة مدينة الطغمات، وعندما أتألم أصرخ فيها وستسقط جميعها.
امضوا لسبي الموت مع الكثيرين الذين جذبهم، وها أنا آتٍ وأُحَطِّم قوسه وأردكم.

القديس مار يعقوب السروجي

المحتويات

مقدمة ٣
سمات كتاباته عن عيد الميلاد..... ٣
من ميامر على عيد الميلاد المجيد ١ ..... ٥
الاحتفال بالأعياد السيدية ٦
من أنا حتى أتحدث عن سرِّ تجسدك الإلهي؟! ٦
أين أطلبك وأُغَنِّي لجمالك يا أيها الابن العجيب؟..... ٧
هل أنشد عند ميلادك أم أصمت؟!..... ٧
تقدمة التسبيح المقبولة..... ٨
حوار الملاك جبرائيل مع القديسة مريم ٨
إصرار البتول على معرفة السرّ الإلهي..... ٩
كيف يكون هذا؟..... ١٠
الروح القدس يحلُّ عليكِ..... ١٠
بين تساؤل زكريا وتساؤل مريم..... ١١
قوة العلي تُظَلِّلُكِ ١١
هوذا أنا أَمَة الرب ليكن لي كقولك ١٢
الكائن مع الآب أشرق من مريم..... ١٢
زيارة القديسة مريم لأليصابات ١٢
تسبحة اليصابات ١٣
يوسف البار ١٤
حوار بين يوسف ومريم ١٥
ملاك الرب يظهر ليوسف ١٦
يوسف يضم مريم إلى بيته ١٧
الاكتتاب في بيت لحم..... ١٧
في بيت لحم..... ١٨
لم يزل إلهًا، جاء وصار ابن بشر!..... ١٨
المجد لله في الأعالي ١٨
الملائكة والرعاة..... ١٩
لنذهب إلى بيت لحم ١٩

العذراء تناجي يسوع..... ٢٠
هذا هو اليوم العظيم ٢٠
فلنسبح مع الملائكة ٢١
هو الراعي والطبيب والمُخَلِّص..... ٢٢
ثمر الحياة..... ٢٢
على الأرض السلام..... ٢٣
ما هي هدايا العيد! ٢٣
المصادر ٢٤
من ميامر على عيد الميلاد المجيد ٢ ..... ٢٥
المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة (لو ٢: ١٤)..... ٢٦
لأتعجب بك ولا أجادل في ميلادك..... ٢٦
كيف يمكن لله غير المحدود أن يحل في بطنٍ صغيرةٍ؟ ٢٧
ابن الله العجيب..... ٢٨
ولدته والباب مغلق..... ٢٨
ما بين البتول والعليقة..... ٢٩
مريم، الرسالة المختومة المملوءة أسرارًا!..... ٣٠
ميلادان للابن وميلادان لنا..... ٣٠
الابن الكلمة لا يحده موضع صغير مثل الإنسان..... ٣١
ثلاثة منازل للابن: مريم والعماد والهاوية..... ٣٢
من ميامر على عيد الميلاد المجيد ٣ ..... ٣٣
العليقة المتقدة والإعلان عن التجسد الإلهي ٣٤
المسيح العجيب!..... ٣٤
الكلمة حلّ في مريم تسعة أشهر لتدبير موته وقيامته..... ٣٥
تجسد في رحم البتول..... ٣٥
موقف القدّيس يوسف من الحَبَل العجيب ٣٦
طفل المذود..... ٣٦
من يستحق الحديث عنك يا ابن العلي؟..... ٣٧
في حضن الآب وحضن البتول..... ٣٧
عيد ميلاد المخلص الإلهي..... ٣٧
دعوته ابن الإنسان..... ٣٨

نزل إلينا عمانوئيل يحمل ما لنا، فنحمل ما له! ٣٨
المسيح واهب الاستنارة ٣٩
المسيح مصدر كل الخيرات ٤٠
ليس مِنْ شبعٍ بدون المسيح! ٤١
المسيح محررنا ٤٢
نزل إلينا ليعطي نصرة للطبيعة البشرية ٤٢
جاء ليقدم نفسه نموذجًا ومثالاً لنا ٤٢
المسيح قيامتنا ٤٣
المسيح طبيبنا السماوي ٤٣
المسيح الفلاح الفريد ٤٣
المسيح رجاؤنا في الحياة الأبدية ٤٤
ابن داود الملك الأبدي ٤٤
المعلم الصالح ٤٤
المسيح نور ونار ٤٤
كيف شابهنا في كل شيءٍ، ولا يسقط في خطية؟ ٤٤
انحدر الجبار ليعمّر الأرض الخربة ٤٥
خضوعه للنظام الطبيعي ٤٦
ختانه وخضوعه للناموس ٤٦
خضوعه للصوم ٤٧
الابن يعلن عن الآب ٤٨
النفس تسترد صورة الله ٤٨
على اسم عمانوئيل ٤٨
قيثارة تبقى أوتارها صامتة بلا نفع ما لم يحركها الرب ٤٩
نزل إلينا عمانوئيل يحمل ما لنا، لنحمل ما له! ٤٩
غاية نزوله تقديم ذاته ذبيحة حب عنا على الصليب ٥٠
المخلص لم يأخذ من الملائكة بل تجسد من مريم ٥١
طريق ربنا عجيبة ٥١
عمانوئيل (إش ٧: ١٤) العريس السماوي ٥١
المصادر ٥٣
من ميامر على عيد الميلاد المجيد ٤ ..... ٥٤

طفل المذود وهدم مملكة إبليس ٥٥
طفل المذود وموقف إبليس ٥٥
الشياطين تطلب توضيحًا من رئيسهم ٥٦
ملاك عجيب ومرعب! ٥٦
اعتراف إبليس بخطورة الكارثة ٥٧
اضطراب إبليس واعترافه بجهله وعجزه ٥٧
انزعاج الشياطين..... ٥٨
خبر من بلاد فارس..... ٥٩
مشورة إبليس..... ٥٩
خداع إبليس وتقديمه حيلة للعبرانيين..... ٦٠
تسبحة ختامية مُفرحة ٦٠
إرسال الكوكب..... ٦١
من ميامر على عيد الميلاد المجيد ٥ ..... ٦٣
هيرودس يُرشَق بسهام الحسد فيطلب قتل الملك المولود ٦٤
لماذا تخاف منه ما لم يكن ملكًا، أطل أناتك حتى ترى كيف سيملُك؟..... ٦٦
معلم فريد للمجوس العظماء! ٦٧
الحلم العجيب يقود المجوس ٦٧
قتل أطفال بيت لحم..... ٦٧
خطة هيرودس الخفية فتحت طريق الكرازة ٦٨
المجوس يسخرون من هيرودس..... ٦٩
تحالف بين الشيطان وهيرودس ٦٩
ذهب الطفل ليبارك مصر وتآمر الثعلب الحقير هيرودس لإبادته ٧٠
دماء الأطفال تشهد بقتل الابن..... ٧٠
اضطراب هيرودس وموته ٧٣
كرازة الأطفال بين الموتى..... ٧٤
تقدمة الأطفال عن الكنيسة ٧٤
المسيح يبشر الأطفال بنزوله إلى الهاوية ليبعثهم رسلاً له ٧٥
الأطفال سخروا من الموت ٧٥
لقاء مُفرح مع أحد أطفال بيت لحم في الفردوس ٧٦
طلبات لأجل الكنيسة..... ٧٧

من ميامر على عيد الميلاد المجيد ٦ ..... ٧٩
١ كوكب إلى بابل وزيارة إلى مصر ٨٠
١. الربط بين بابل ومصر ٨٠
٢. يقيم من الخطاة كارزين ٨١
٣. ساعة موته لم تكن قد حانت بعد!.....٨٢
٤. لماذا سمح بقتل أطفال بيت لحم؟ ٨٢
٥. راحيل تبكي على أولادها.....٨٢
ملامح هذا الميمر ٨٣
٦. لماذا أرسل كلمة الله كوكبًا منيرًا كرسولٍ يبشر المجوس؟ ٨٣
أقسام الميمر.....٨٤
٢ كوكب إلى بابل ٨٥
أشرِقْ نورك على أفكاري لأصف خبرك! ٨٥
كوكب مُنِير يُشرِق على ظلمة الوثنيين ٨٥
المسيح يدعو القريبين والبعيدين.....٨٥
إرسال الكوكب.....٨٦
المسيح يقتنص التنجيم ٨٦
المجوسية لا تعترف بالنبوات ٨٨
استنارت المجوسية بولادة الابن ٨٨
حوار بين المجوس عن ميلاد الابن.....٨٩
نبوة بلعام.....٩٠
الذهب واللبان والمُرّ رمز للملوكية واللاهوت والموت.....٩٠
المجوس ينشرون البشارة ٩١
انشغال الغُلف بالعريس بينما كان المختونون نيامًا ٩٢
ارتعاب هيرودس من الأخبار ٩٢
صوت النبوة.....٩٣
أتينا لنسجد له ٩٣
النبوة والكوكب يشهدان لميلاد المسيح.....٩٤
هيرودس يُفَكِّر بالشر ٩٤
النجم المعجزة.....٩٥
كل أمور ربنا جديدة!.....٩٦

جاء الكوكب إلى حيث يوجد الطفل ٩٦
هدايا المجوس ٩٧
بين الشعب والشعوب ٩٧
لم يُجادِلْ المجوس بخصوص المسيح ٩٨
إيمان بدون مناقشات غبية ٩٨
سجود المجوس للمسيح..... ٩٨
مناجاة المجوس للمولود ٩٩
القديسة مريم تخاطب المجوس..... ٩٩
شهادة المجوس له ١٠٠
القديسة مريم تشهد له أمام المجوس..... ١٠٠
المجوس يقرأون مُستقبل الابن ويُشَجِّعون مريم ١٠١
تتعبَّد له كل الشعوب..... ١٠١
بميلاد الابن صارت الأرض سماء ١٠٢
الكوكب على باب ربِّه والمستيقظون في خدمته ١٠٢
حلم المجوس وفضيحة الملك الغاش ١٠٣
المجوس يسخرون بهيرودس الغاش ١٠٣
٣ هروب المسيح إلى مصر ١٠٥
هروب المسيح إلى مصر لأن ساعة موته لم تدنُ بعدُ ١٠٥
سقوط أصنام مصر ١٠٦
خدمة بابل ومصر ١٠٧
هروبه إلى مصر ١٠٧
غضب هيرودس ومكيدته ١٠٨
الأطفال الشهداء ١٠٨
راحيل تبكي على أولادها ١٠٩
أصدقاء العريس ١٠٩
شهداء هادئون..... ١١٠
المسيح يبشر أطفال بيت لحم بنزوله إلى الهاوية ليُقِيمهم..... ١١٠

من إصدارات خاصة بالقديس مار يعقوب السروجي

١. **ميامر عن والدة الإله**، تعريب ناهد فؤاد، ٢٠٠٥، مع مراجعة بعض المخطوطات.
٢. حول ميامر عن **لقطات من حياة القديس إيليا النبي**، ٢٠٠٦.
٣. **عظمة الإنسان** عند القديس مار يعقوب السروجي، ٢٠٠٧.
٤. حول ميامر عن لقطات رائعة من **حياة اللص اليمين**، ٢٠٠٧.
٥. **روح القوة** عند القديس مار يعقوب السروجي، ٢٠٠٨.
٦. **هيكل في البحر، أم دير جديد؟** أم سماء خفية؟ ٢٠١٠ الطبعة الثانية معدلة.
٧. ميمر على **مار أفرام السرياني**، تعريب الشماس بيشوي بشرى فايز، ٢٠١٠.
٨. مؤتمر خطير **حول طفل المذود**، ٧ يناير ٢٠١٠.
٩. **القديس مار يعقوب السروجي**، حياة إنجيلية مُعاشة، ٢٠١٠.
١٠. **برقع وجه موسى النبي**، للقِدِّيس مار يعقوب السروجي يعقوب السروجي، ٢٠١٠.
١١. **البتولية** عند القديس مار يعقوب السروجي، ٢٠١٠.
١٢. **نور القيامة المفرح واسترداد اللؤلؤة المفقودة**، ٢٠١٠.
١٣. **كوكب إلى بابل وزيارة إلى مصر**، ٢٠١١.
١٤. حول ميمر عن **توما الرسول والأحد الجديد**.
١٥. حول ميامر عن لقطات من **حياة القديس أليشع النبي**.
١٦. **حكم سليمان والزانيتان** عند القديس مار يعقوب السروجي.
١٧. **تجلي ربنا على الجبل وظهور إيليا وموسى**.
١٨. **سلطان اللسان** عند القديس مار يعقوب السروجي.

في السنوات الأخيرة التهب قلبي شوقًا أن أتمتع مع بقية إخوتي بمشاعر الفرح العجيبة التي تهز قلب القديس مار يعقوب السروجي. فمع كل ميمر أقرأه له، أشعر بالحق أن أعماقه الداخلية تتمتّع بعربون السماء المُتهلِّلة بحب الله الفائق نحو خلاص البشر ومجدهم الأبدي.

أما ما اشتهته نفسي ليس كدارس، وإنما كخادمٍ مُشتاق إلى رفع كل قلوب البشرية إلى خبرة عربون السماء، فقد وضعتُ في قلبي أن أُرَكِّزَ على فكر القديس. هذا ما دفعني إلى اقتباس بعضًا مما ورد في كتاباته عن عيد الميلاد المجيد.

وقد جاءت كتاباته في هذا الصدد تُصَوِّر لنا الكثير مما يسند قلوبنا في هذا العالم حتى نلتقي بكلمة الله المتجسد المهتم بأن يُعِدَّ لنا مكانًا في أحضان أبيه ليأتي بموكبه السماوي على السحاب، ويضمنا إليه، وينطلق بنا إلى الأمجاد الأبدية بروح الفرح والتهليل.

كنيسة الشهيد مارجرجس
سبورتنج - الإسكندرية
كنيسة الملكة القديسة مريم والأمير تادرس
ساوث برانزويك - نيوجيرسي